المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة جازان

مجلة

دورية علمية محكمة

المجلد ٤ العدد ١ ربيع أول ١٤٣٦هـ (يناير ٢٠١٥م)

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٨٧٧٧

إدارة النشر العلمي والمطابع بجامعة جازان
الرقم: ٨١٠٠١٧

ردمد: ١٦٥٨-٦٩٠٥

مجلة جامعة جازان

فرع العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة

المجلد ٤ العدد ١ ربيع أول ١٤٣٦هـ (يناير ٢٠١٥م)

المشرف العام

أ.د.محمد بن علي ربيع عبدالله

رئيس هيئة التحرير

أ.د.عبدالله بن يحيي باصهي

مدير التحرير

أ.إبراهيم بن أحمد مسملي

هيئة التحرير

أ.د.علي بن محمد عريشي

أ.د.علي بن أحمد الكاملي

أ.د.سلطان بن حسن الحازمي

أ.د.يحيي بن محمد حكمي

د. محمد بن حسن أبوراسين

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلي:

رئيس هيئة التحرير

مجلة جامعة جازان

٤٤٢١- حي الروابي

وحدة رقم ٨

جازان ٨٢٨٢٢-٦٥٦١

المملكة العربية السعودية

أو علي البريد الإلكتروني

jju@jazanu.edu.sa

© ٢٠١٥م (١٤٣٥هـ) جامعة جازان

جميع حقوق الطبع محفوظة. لا يسمح بإعادة طبع أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير أو التسجيل أو الإدخال في أى نظام حفظ معلومات أو استعادتها دون الحصول على موافقة كتابية من رئيس تحرير المجلة.

فهرس المحتويات

الموضوع صفحة

التعريب في مصطلحات الفقهاء جمعًا وتأصيلًا كتاب "معجم لغة الفقهاء" نموذجًا
محمد عبدالرحمن أحمد محمد..... ١-٤٨

صورة المرأة في النمط المثلي السعودي
عصام العصام وعاصم بني عامر..... ٤٩-٦٧

محفزات السلوك التطوعي في الفقه الإسلامي
رجا غازي رجا العمرات ومحمد غازي رجا العمرات..... ٦٨-٩٣

ظواهر موسيقية في شعر الخنساء
محمود حسين العزازمة..... ٩٤-١١٧

النقد الأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي دراسة نقدية للأخبار والمأثورات"
مختار الغوث..... ١١٨-١٤٢

أبحاث باللغة الإنجليزية

العلاقة بين التحصيل الأكاديمي للطلبة وكل من: مناحي التعلم، الجنس، والحالة الأقتصادية والأجتماعية
مروان زايد بطاينه..... ١-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أما بعد،،،

رأت جامعة جازان استكمالاً لدورها الريادي في تطورها الأكاديمي أن يواكب هذا التطور السير بخطوات كبيرة لدفع عجلة البحث العلمي بمجلة علمية ، فكانت ولادة هذه المجلة في حلة قشيبة وبثقة عالية وبكل فخر واعتزاز كانت البداية إصدار عددين في العام حيث بدأت هذه الأعداد في بداية شهر محرم للعام ١٤٣٣هـ (ديسمبر ٢٠١١م). ولقد احتوت المجلة على فرعين من فروع العلم أحدهما فرع للعلوم الإنسانية و الآخر للعلوم التطبيقية.

فمنذ ذلك التاريخ والمجلة تصدر بشكل دوري مستمر متلمسة خطىً ثابتة وقوية فيما تنشره من أبحاث في مجالاتها المختلفة ساعية أن تلحق بركاب المجلات العالمية المتخصصة في حصولها على تصنيف عالمي عالٍ وفقاً لمقدار وجودة ما تنشره من بحوث علميةُ مُتبعة المعايير المعمول بها سائرين بها إلى تميز يضعها في مصاف المجلات ذات التميز العالمي. ونحن نسعى أن يكون النشر فيها بعون الله في أوعية نشر عالمية في القريب العاجل. ونسعى جاهدين أن يستمر تزايد الأعداد سنوياً في فروع العلوم الإنسانية نظراً للإقبال الشديد من الباحثين على النشر في هذا الفرع إلى جانب سعينا الحثيث في اختيار هيئة استشارية للمجلة من ذوي الخبرة الكبيرة في الاختصاصات المختلفة ممن نرى فيهم وبهم أن يبلغ هذا الصرح العلمي شأواً كبيراً في رسالته التي تصبوا إليها.

ونحن على يقين بعون الله تعالى وبمساعدة أصحاب القرار والرؤى في الجامعة أن نصل بهذا الصرح العلمي إلى مراتب عليا تتناسب وطموحات جميع العاملين فيه والباحثين على حد سواء.

وفق الله على طريق النور خُطانا... والحمد لله رب العالمين.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. عبدالله بن يحيى باصهي

التعريب في مصطلحات الفقهاء جمعًا وتأصيلًا كتاب "معجم لغة الفقهاء" نموذجًا

محمد عبدالرحمن أحمد محمد
قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة جازان – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

هذا البحث جمعت فيه الألفاظ المعربة التي جاءت في كتاب "معجم لغة الفقهاء"، وقد تركزت أهدافه فيما يلي:

- الكشف عن الألفاظ التي استعملها الفقهاء من غير لغة العرب.
- بيان أصل الألفاظ التي وردت في معجم لغة الفقهاء، وما حدث لها من تغيير في الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.
- الموازنة بين ما جاء في معجم لغة الفقهاء وما ورد في غيره أملًا في بيان تأثره بمن سبقه وتأثيره فيمن لحقه.

وقد استخرجت كل ما نص عليه أنه معرب، مُتَّبِعًا في دراستها: المنهج الوصفي، ثم المنهج التحليلي، فذكرت في أول كل مسألة عنوانًا مناسبًا لها، ثم ذكرت نص الكتاب مبينًا موقف المؤلف. مردفًا ذلك بموقف من سبقوه ومن جاءوا بعده مُرجحًا ما أراه راجحًا، ومُضعِّفًا ما أراه ضعيفًا. محاولًا الوصول إلى أصل الكلمة. ومن ثمَّ جاء هذا البحث مشتملًا بعد المقدمة على تمهيد، وخصصته للحديث عن التعريب ومستوياته. وثلاثة مباحث هي: التعريب على المستوى الصوتي. التعريب على المستوى الصرفي والنحوي. التعريب على المستوى الدلالي. ثم خاتمة واشتملت على أهم النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة، والتي منها: أنه من المعرب ما له اسم أي لفظ مرادف في لغة العرب. أنهم كانوا ينقلون اللفظ بعينه دون تغيير، ويجرون عليه أحكام العربية من تنوين ودخول لام التعريف... إن تحديد أصل اللفظ لإلحاقه باللغة التي أخذ منها يحتاج إلى نظر لا يكفي فيه المشابهة اللفظية، فكثيرًا ما تتفق كلمتان من لغتين في لفظ واحد ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة وإنما يقع ذلك على سبيل النوادر بالاتفاق.. إلا إذا دلت القرائن على انتقال إحداهما من لغة إلى أخرى، وساعد الاشتقاق على ذلك. كل كلمة فارسية ختمت بالهاء المختفية يبدلونها بجيم أو قاف أو يحذفونها. كل كلمة جاءت على وزن فَعلول بفتح الفاء عند تعريبها يضمون الفاء؛ لعدم ورود فَعلول في لغة العرب. كل ما كان على وزن فَعليل بفتح الفاء عند التعريب يكسرون الفاء؛ لعدم ورود فَعْليل في لغة العرب إلا ما ندر. وأخيرًا ذكرت فهرس بأهم مصادر الدراسة. هذا، وصَلِّ اللهم على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسَلِّمْ.

الكلمات المفتاحية: التعريب، المصطلحات، دلالة ألفاظ القرآن، الدلالة (المعنى)، فقه اللغة، الأصوات، الصرف، الاستدلال، المعاجم، الفقه، اللغات.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين أنزل على عبده الكتاب، وجعله هُدىً وذكرى لأولي الألباب "لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيهِ ولا مِن خَلْفِه تَنْزِيلٌ مِن حَكيمٍ حَميدٍ"[١]، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بلغة الضاد سيدنا محمد خير العباد، وعلى آله وصحبه ومن سلك طريق الهدى والرشاد. فالعرب قد استعاروا من معظم الأمم ألفاظًا للتعبير عن أشياء دعت إليها الحاجة أو الضرورة، وقد عمدوا إلى بعض تلك الألفاظ فحوروا في بنيتها وجعلوها على نسج الكلمات العربية، وتركوا بعضها الآخر على صورته حينًا آخر. ويكاد يتفق علماء اللغة على أن معرفة نشأة اللغة العربية وتطورها التاريخي قبل

١- سورة فصلت : ٤٢.

البريد الالكتروني: mmjazan@yahoo.com
ردمد: ٦٩٠٥- ١٦٥٨

الإسلام من المسائل الشائكة التي تتسع فيها الآراء، ويقبل فيها اختلاف وجهات النظر؛ وذلك لعدة أسباب، منها: أن اللهجات العربية القديمة المروية في الكتب العربية لا توجد آثارها جلية واضحة في الشعر الجاهلي (السبع الطوال)، كما أننا نفتقر إلى نصوص مكتوبة، أو آثار نستطيع أن نحدد على ضوئها تاريخ العربية قبل الإسلام. لذلك نقول: إن اللغة التي نستخدمها اليوم في الكتابة والتأليف والأدب، هي: اللغة التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي، والقرآن الكريم، والسنة النبوية. لقد ضَمِن القرآن لهذه اللغة الخلود، وقد ساعدت تلاوته على ثبات تلك اللغة، ولا سيما في جانبها الصوتي، وهو أكثر جوانب اللغة تعرضًا للتغيير والانحراف والتشويه، ولم يمنع ذلك من حدوث بعض التطورات في الأداء الصوتي من جانب، وفي المفردات والتراكيب من الجانب الآخر، وهذا من طبائع الأشياء. وليس معنى هذا أن المتأخرين يخترعون الألفاظ، أو يخلقون لغة من العدم، فالمادة الأولية للغة ثابتة، ولكن أشكالها متجددة، وأي باحث يدرك بأدنى تأمل أن الأشكال اللغوية لا تثبت على حال، فهناك صِيغ تولد لم يكن الناس يعرفوها من ذي قَبْل – كما ولدت كلمات: سوكرة، وتأمين، وتأميم... وغيرها – فتشيع وتنتشر وتأخذ مكانها في الاستعمال إلى أمد، ثم لا يلبث بعضها أن يذبل، أو يموت لِتَخْلُفَ مكانَها كلمةٌ أخرى، كما كانت كلمة "النشيطة" وحل محلها كلمة "صفي"، أو تموت لا إلى خلف كما ماتت كلمات: المرباع، والمكس، والإتاوة، والحلوان بمعنى الأجر... وغيرها من مئات الكلمات. وهناك أسباب كثيرة تدعو إلى التطور في عناصر اللغة، ومدلولات ألفاظها، وولادة بعض الألفاظ فيها، فاللغة مرآة تنعكس عليها حضارة الأمة، ونظمها، وعقائدها، واتجاهاتها العقلية. وبعد الفتوحات الإسلامية دعت مرافق العمران من: زراعة، وصناعة، وتجارة، وملاحة، وحياكة، وطراز، وهندسة، وبناء... وما أشبه ذلك من الحِرَفِ والفنونِ إلى الأخْذ عن الأمم الأخرى عادات، ومصطلحات، ومسميات جديدة في: المأكل، والمشرب، والملبس، والفرش، والزينة، والحلي، والأواني، والأدوات، والأسلحة، والأجهزة، والطب، والصيدلة، ولما لم يعهد العرب التعبير عن هذه المستحدثات في حياتهم الأولى، أخذوا في نقل قسم من ألفاظها الأعجمية بعد تعريبها والتصرف بها، كما لجأوا إلى الاشتقاق والتوسع في الكناية والمجاز، وهكذا تولدت ألفاظ لم تكن معروفة في العربية. فكان هذا الموضوع "التعريب في مصطلحات الفقهاء جمعًا وتأصيلًا كتاب "معجم لغة الفقهاء" نموذجًا". وقد تركزت أهدافه فيما يلي:

- الكشف عن الألفاظ التي استعملها الفقهاء من غير لغة العرب.
- بيان أصل الألفاظ التي وردت في معجم لغة الفقهاء، وما حدث لها من تغيير في الناحية الصوتية والصرفية والدلالية.
- الموازنة بين ما جاء في معجم لغة الفقهاء وما ورد في غيره أملًا في بيان تأثره بمن سبقه وتأثيره فيمن لحقه.

وقد استخرجت كلَّ ما نصَّ عليه أنه معرب، مُتَّبِعًا في دراستها المنهج الوصفي، ثم المنهج التحليلي، فذكرت في أول كل مسألة عنوانًا مناسبًا لها، ثم ذكرت نص الكتاب مبينًا موقف المؤلف. مردفًا ذلك بموقف من سبقوه ومن جاءوا بعده مُرجحًا ما أراه راجحًا، ومُضعِّفًا ما أراه ضعيفًا. محاولًا الوصول إلى أصل الكلمة. وقد اكتفيت بدراسة مجموعة من الألفاظ؛ منعًا لطول البحث، ومراعاة لشروط النشر في المجلة، أما الكلمات

الأخرى فوضعتها في جدول في ذيل البحث ذاكرًا الكلمة، والنصّ الذي ورد في معجم لغة الفقهاء، ورقم الصفحة. ومن ثمَّ جاء هذا البحث مشتملًا بعد المقدمة على: تمهيد، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة، وفهارس بأهم مصادر الدراسة. فأما المقدمة فقد دار الحديث فيها حول أهمية الموضوع، ومنهج البحث، وخطته، وأهم الصعوبات التي صادفت الباحث أثناء بحثه. وأما التمهيد: فخصصته للحديث عن التعريب ومستوياته.

* **المبحث الأول: التعريب على المستوى الصوتي.**
* **المبحث الثاني: التعريب على المستوى الصرفي والنحوي.**
* **المبحث الثالث: التعريب على المستوى الدلالي.**
* **الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج التى تمخضت عن هذه الدراسة.**

وقد واجهتنى بعض الصعوبات فى سبيل إتمام هذا البحث، أهمها وجود بعض الكلمات التي لم أعرف أصلها، واللغة التي أخذت منها.ومع ذلك كله فقد قمت – بعون الله وتوفيقه – بإعداد هذا البحث، فإن وفقت فمن الله وحده، له "الأمْرُ مِن قبلُ ومِن بعْدُ"[١]، "وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ"[٢]. هذا، وصَلِّ اللهم على سيدنا محمد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسَلِّمْ.

التمهيد

١– مفهوم التعريب:

التعريب في اللغة هو: الإيضاح والإبانة، قال الزبيدي: "التَّعْرِيبُ: تَهْذِيبُ المَنْطِقِ مِنَ اللَّحْنِ، ويقال: عَرَّبتُ له الكلامَ تَعْرِيبًا، وأَعْرَبتُ له إِعرَابًا إِذَا بيَّنْتَه له حتى لا يَكُونَ فِيه حَضْرَمَةٌ. وقيل: التَّعْرِيب: التَّبيينُ والإِيضاحُ، وفي الحَدِيثِ "الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عن نَفْسِها". قال الفرَّاءُ: إنما هو تُعرِّب بالتَّشديد، وقيل: إِنَّ أَعربَ بمعنَى عَرَّبَ. وقال الأَزْهَرِيُّ: لإِعْرَابُ والتَّعْرِيبُ معنَاهُمَا وَاحِدٌ، وهو الإِبَانَةُ. يقال: أَعربَ عنه لسانه وعَرَّبَ أَي أَبانَ وأَفصحَ"[٣]. أما في الاصطلاح فهو: اللفظ "الَّذِي تَلَقَّتْهُ الْعَرَبُ مِنْ الْعَجَمِ نَكِرَةً، نَحْوُ: إبريسم، ثُمَّ مَا أَمْكَنَ حَمْلُهُ عَلَى نَظِيرِهِ مِنْ الْأَبْنِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَمَلُوهُ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا لَمْ يَحْمِلُوهُ عَلَى نَظِيرِهِ بَلْ تَكَلَّمُوا بِهِ كَمَا تَلَقَّوْهُ، وَرُبَّمَا تَلَعَّبُوا بِهِ فَاشْتَقُّوا مِنْهُ وَإِنْ تَلَقَّوْهُ عَلَمًا فَلَيْسَ بِمُعَرَّبٍ، وَقِيلَ فِيهِ: أَعْجَمِيٌّ، مِثْلُ: إبْرَاهِيم وَإِسْحَاقَ"[٤].

١– سورة الروم: ٤.
٢– سورة هود: ٨٨.
٣– تاج العروس:٣٣٩/٣ (ع ب ر). وجزء الحديث في:سنن ابن ماجه: ٦٠٢/١، رقم:١٨٧٢. مسند الإمام أحمد:١٩٢/٤، رقم:١٧٧٦٠.
٤– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: (ع ر ب). وقيل هو: "لَفْظٌ غَيْرُ عَرَبِيٍّ وَاسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ بِتَغْيِيرٍ مَا، أَيْ فِي الْغَالِبِ. ينظر: تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج: ٣٨٠/١٢. أو هُوَ: لَفْظٌ اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي مَعْنًى وُضِعَ لَهُ فِي غَيْرِ لُغَتِهِمْ". ينظر: حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب: ٧٤/١. والراجح أن التعريب يطلق على كل ما دخل العربية وليس منها. ومن المصطلحات التي اقترنت بالمعرَّب ما يُعرف بالدخيل، وهو اللفظ الذي أخذته اللغة العربية من لغة أخرى في مرحلة متأخرة من حياتها، من غير أن تدخل عليه من التغيير مَا يجعلُه موافقًا لأبنية كلام العرب. أي أن الدخيل هو اللفظ المستعار من اللغات الأجنبية؛ لحاجة التعبير به مع بقائه على وزن غريب على اللغة العربية، وذلك مثل: (جمرك، وتليفون، وتلفزيون، وكمبيوتر) وغيرها. فما يميّز المعرَّب من الدخيل، إذن أن المعرَّب يطرأ عليه تحوير في بنيته مما يجعله موافقًا لأبنية الكلمات العربية، في حين يبقى الدخيل على صورته مع إمكانية حصول تحريف طفيف في نطقه بما يوافق النطق العربي.
وكان العرب إذا عربوا كلمة صاغوها على غرار الأوزان التي تعرفوا عليها إلا ما ندر يقول الجواليقي موضحًا مذهب العرب في النطق بالالفاظ الأجنبية: "اعلم أنهم كثير ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجا وربما أبدلوا ما بعد مخرجه – أيضًا – وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب وهذا التغيير بإبدال حرف من حرف أو زيادة حرف أو نقصان حرف أو إبدال حركة بحركة أو إسكان محرك أو تحريك ساكن وربما تركوا الحرف على حاله ولم يغيروه، أي أن العرب لنفورهم من العجمة واستثقالهم لها كانوا يتصرفون في اللفظ الأجنبي بأي طريق؛ ليبعدوه بذلك عن أصل لغته ويلبسوه ثوبًا جديدًا. ينظر: المعرب: ١٢.
يمكننا أن نقسم الألفاظ التي دخلت العربية إلى ثلاثة أقسام:

والتعريب من القضايا التي شغلت العرب منذ عهد مبكّر، وكان سيبويه من أوائل الذين تحدثوا عنه وسمّاه إعرابًا، وتحدث عن طريقة العرب في التعريب مشيرًا إلى ما كان العرب يغيّرونه من الحروف الأعجمية من إبدال أو تغيير حركات أو حذف لإلحاقها بالأوزان العربية. كما أشار إلى ما أخذه العرب من اللغات الأخرى وأبقوه على حاله دون تغيير. وكانت القواعد التي وضعها أساسًا لِمَنْ جاء بعده. وقد ذكر ابن حيَّان، أن عُجمَة المعرَّب تُعرَف بجملة من الأمور منها: خروجُه عن أوزان الأسماء العربية (مثل: إبراهيم)، وتَتابُع الراء والنون في أوّله أو آخره (مثل: نرجس، وَدَنر)، وبتتابع الزاي والدال فيه (مثل: مهندز). وقد ذكر "ابن جني" أنّه متى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من بعض هذه الأحرف الستة (ر، ل، ن، ف، ب، م) المسماة بأحرف الذلاقة والشفوية، فاقض بأنّه دخيل في كلام العرب وليس منه. ومن المصطلحات التي اقترنت بالمعرَّب ما يُعرف بالدخيل، وهو اللفظ الذي أخذته اللغة العربية من لغة أخرى في مرحلة متأخرة من حياتها، من غير أن تدخل عليه من التغيير مَا يجعلُه موافقًا لأبنية كلام العرب. أي أن الدخيل هو اللفظ المستعار من اللغات الأجنبية لحاجة التعبير به مع بقائه على وزن غريب على اللغة العربية، وذلك مثل: (جمرك، وتليفون، وتلفزيون، وكمبيوتر) وغيرها. فما يميّز المعرَّب من الدخيل، إذن أن المعرَّب يطرأ عليه تحوير في بنيته مما يجعله موافقًا لأبنية الكلمات العربية، في حين يبقى الدخيل على صورته مع إمكانية حصول تحريف طفيف في نطقه بما يوافق النطق العربي.

وبمرور الزمن، تطور مفهوم التعريب وأصبح له دلالات زادته تشعّبًا، كما اكتسب معنى عصريًّا استهدف العملَ الاصطلاحي، المتمثلَ اليوم في إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية، وذلك لتعميم اللغة العربية واستخدامها في كل ميادين المعرفة البشرية. وبهذه النظرة الجديدة التي قدّمت التعريبَ الفكريّ النفسيَّ على التعريب اللفظي المعروف قديمًا، يكون المفهوم قد حمل صبغةً إنسانية شاملة تُعنَى بالفرد العربي وأصالة فكرِه وشخصيتِه. وقد رافق هذا المفهوم النهضة العربية منذ مطلع القرن العشرين، حين بدأ الحديث عن تعريب التعليم وتعريب الإدارة والتعريب الفكري والاجتماعي، أي استخدام العربية في مختلف هذه المجالات وغيرها.

ولهذا بدأ علماء اللغة في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي العمل بالتعريب بنِيَّة النقل، أي ترجمة الألفاظ والأفكار الأعجمية الغريبة عن العربية، وأصبح المعرَّب والدخيل ضروريَّيْن لازدهار اللغة. وأثيرت بصدد التعريب قضايا لغوية حلَّلتْه بحثًا وتنقيبًا من زاوية الاقتباس من اللغات الأجنبية، وتداخل اللغات، وتأثرها بعضها ببعض. وقد شهد عصرنا الحاضر إقبالًا واضحًا من العلماء على اللغات الأجنبية يأخذون منها الكلمات، ويقتبسون من المصطلحات ما يسهم في إثراء

أ- لفظ ليس له مرادف عربي استعمله العرب للدلالة على شيء لم يعرفه العرب في بيئتهم، وذلك مثل قولهم: الخشكان وهو دقيق الحنطة إذا عجن بشيرك وبسط وملئ بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد ثم جمع وخبز وأهل الشام يسميه المكفن، وأيضًا كقولهم: الديباج والدرياق. وينبغي في هذا النوع أن نحاول النظر في المعاجم والمراجع لعلنا نجد لفظًا عربيا مساويًا له في الوفاء بالمعنى، فنعرضه للاستعمال حتى تتمرن عليه الألسنة، فإذا لم يتحقق ذلك وجب الالتجاء إلى تعريب ما تدعو إليه الضرورة.

ب- ماله مرادف عربي مساو له في السهولة والجرس وهذا يجوز استعماله، وذلك مثل: الخريز والبطيخ.

ج- ماله مرادف عربي لا يساويه في الجرس والاستساغة ولا في الاستعمال، وهذا محل نظر، فقد يفضل المعرب - حينئذ - إذا كان مرادفه العربي مهجورًا، وذلك مثل: كلمة التوت سهل النطق والجرس؛ ولذلك فهي اكثر استعمالًا من مرادفها العربي. ينظر: الراموز على الصحاح. محمد بن السيد حسن: ٢٧.

العربية وجعلها مواكبة لضرورات العصر الحديث[١].

٢- التعريف بكتاب "معجم لغة الفقهاء".

معجم لغة الفقهاء عربي - إنكليزي مع كشاف إنكليزي - عربي بالمصطلحات الواردة في المعجم وضع. د/محمد روا قلعة جي. د/حامد صادق قنيب. جمعا فيه ما يقرب من (٤٣٩٠) مصطلحًا عربيًّا و(٤٣٧٠) مصطلحًا إنجليزيًّا. وقد سلكا المنهج التالي:

- ردا هذه الكلمات الاصطلاحية إلى أصولها اللغوية، وأثبتا تعريفها اللغوي، ثم أردفاه بمراد الفقهاء اصطلاحًا، ثم حاولا إثبات ما يقابل هذه المصطلحات قديمها وحديثها باللغة الإنجليزية أولًا فإن أعياهما المراد الإنكليزي ذهبا إلى ما توفر لديهما من المصطلح الفرنسي. الترتيب: لقد راعيا ما يلي:

١- أل التعريف لم تحتسب في الترتيب الهجائي، فلفظ "النفل" في حرف النون، و"الهدنة" في حرف الهاء، و"اليتيم" في حرف الياء.

٢- الألف الممدودة اعتبرت ألفين، فلفظة "الآبق" تأتي قبل "الآفة"، و"الآيسة" قبل "الآية"، وكلها تأتي قبل "الإباحة" و"الأبد" و"الأبراء".

٣- اعتبرا الحرف المشدد حرفًا واحدًا، ولم يفكا إدغامه في الترتيب الألفبائي، فلفظة "البت" قبل "البتر".

٤- اعتبرت الهمزة حرفًا سابقًا للألف، وفي كل أشكالها رُسمت على ألف أو واو أو ياء، فلفظة "بائن" قبل "الباب"، ولفظة "بئر" قبل "البأس".

٥- في المصطلحات المركبة يعتد بالجزء الأول ويقدمه، فمثلًا: "بنو الأخياف" قبل "بنو الأعين" وكلاهما يسبق "البهرج".

٦- أما رموز "معجم لغة الفقهاء" فهي:

أ - (=) للفصل بين المترادفات، أي أن المعنى الثاني يماثل المعنى الأول.

ب- (؛) فاصلة منقوطة/ للانتقال إلى شرح المعنى اللغوي الذي يعني الدلالة العامة للفظ، وقد يتفق هذا المعنى (أي) الدلالة العامة مع المفهوم الاصطلاحي في كثير من الأحيان؛ لأن الكلمات التي لم يثبت لها معان معينة في لغة الفقهاء تُحمل على مقتضى اللغة العربية.

ج- (o) دائرة صغيرة: للدلالة على بدء المعنى الفقهي الاصطلاحي للكلمة، وقد وضع المعنى الاصطلاحي بعد المعنى اللغوي.

د- (ج) لبيان الجمع، والأصل تفضيل المصدر المفرد، ولم يعدل عن المصدر أو المفرد إلى غيره من وصف أو جمع إلا إذا كان هو الغالب في لغة الفقهاء، أو كانت له دلالة خاصة لا تحصل بالمصدر أو المفرد من نحو: مواقيت، البدن، تراويح... وهلم جرا.

هـ- (* *) الأقواس المزهرة للآيات القرآنية.

و - () الأقواس الكبيرة المفردة للحديث النبوي الشريف، وقد تستعمل - أيضًا - للعبارة الإضافية الموضحة.

ز - " " القوسين الصغيرين المزدوجين للاستشهاد بنص بلفظه.

ح - (-) الخط الأفقي يقوم مقام لفظ المصطلح، ويغني عنه.

ط - (/ /) الخطان المائلان يشيران إلى تبدل المعنى، أي أن المصطلح يحمل معنى آخر غير ما سبق ذكره.

ي - (ر) فعل أمر من رأى: انظر (للإحالة).

ق - (مص) للمصدر.

---

١ - ينظر: المسوعة العربية العالمية: ٣.

ل – (،) فاصلة للمترادفات الإنكليزية.

م – (F) مختزل كلمة فرنسية، وحيث لا يوجد هذا الرمز فهي إنكليزية.

٣– مستويات التعريب:

من المعروف أن العربي لم يكن يستعمل الكلمة الأعجمية كما هي في لسان الأعجمي (غالبًا) بل يدخل عليها بعض التغيرات بحيث يجعلها ملائمة لنطقه وطبيعة لغته، ووفقًا للنظام العام الذي تخضع له الألفاظ العربية والتغيرات كثيرة منها: الجانب الصوتي، والجانب الصرفي، والجانب النحوي، والجانب الدلالي[١]. وهذه الجوانب المختلفة التي يحدث فيها التعريب هي ما نطلق عليها مستويات التعريب[٢]. وقد حوى التراث الفقهي – من خلال الكتاب محل الدراسة – هذه المستويات، حيث أمكن تقسيم الألفاظ التي نصّ الفقهاء علي أنها معربة وردها إلى المستويات السابقة.وسوف أعرض لما ورد من ألفاظ معربة في مصطلحات الفقهاء مصنفة تبعًا لمستويات التعريب، ذاكرًا ألفاظ كل جانب مرتبًا إياها تبعًا للترتيب الألفبائي المعروف.

١– التعريب على المستوى الصوتي

المعلم الصوتي المتمثل في طابع العربية في تلاقي الأصوات وعدم الجمع بين صوتين يستكره أو يثقل الجمع بينهما، أي كون الحروف غير مؤتلفة في اجتماعها غريبة في تواردها وتلاقيها[٣]. وقد عنى سيبويه في الحديث عن هذه الناحية الصوتية في التعريب عندما تحدث في الباب الذي عقده للتغيير الذي يحدث في الكلمة عند تعريبها وهو "باب ما أعرب من الأعجمية"[٤] حيث حصر فيه كلامه على أمرين هما:

– خضوع الكلمة المنقولة للنظام الصوتي للغة العربية، وذلك بأنه إذا اشتمل اللفظ الأعجمي على وحدة صوتية لا توجد ضمن وحدات النظام الصوتي للعربية، فإن العرب أبدلوها وحدة أخرى قريبة منها مما يتضمنه النظام الصوتي العربي، فهم يُغيِّرون الحرف غير الملائم.

– إلحاق اللفظ بأبنية الكلام العربي بتغيير الصيغة غير الملائمة[٥]. ويقصد بذلك خضوع الكلمة الأعجمية عند تعريبها إلى النظام المقطعي للعربية وليس الوزن التصريفي الذي يبين الحروف الأصلية والزائدة؛ لأن الراجح أن هذه الكلمات لا توزن؛ لتوقف الوزن على معرفة الأصلي والزائد وذلك لا يتحقق في الأعجمية[٦]. وقد ورد النوعان في مصطلحات الفقهاء المعربة أوضحهما في الآتي:

– تغيير الحرف غير الملائم سواء غُيّر فيه البناء اللغوي عما كان عليه في لغته الأصلية أو لا. ومنه:

١– إبدال مطرد: وذلك في كل حرف في الكلمة الأعجمية ليس من حروف العربية يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية، وهو يطرد في خمسة أحرف، هي: الباء، والفاء، والكاف، والجيم، والقاف.

وقد اشتملت على مصطلحات الفقهاء التي صرحوا فيها بأنها معربة على ما يلي:

أ – الجيم الأعجمية (الخالية من التعطيش):

وهي توجد بالفارسية فقط، وتكتب جيمًا بثلاث

١– ينظر:العربية خصائصها وسماتها. أ. د/عبد الغفار حامد هلال:٤٧٤.
٢– ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية. أ. د/ عبدالفتاح البركاوي: ١٦٣.
٣– ينظر: قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة أ.د/أحمد عبد التواب الفيومي: ٤٥.
٤– ينظر: الكتاب لسيبويه: ٣٠٣/٤، ومقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية: ١٦٣.
٥– ينظر: العربية خصائصها وسماتها: ٤٧٤، ومقدمة في فقه اللغة اللغة العربية واللغات السامية: ١٦٤.
٦– ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية: ١٦٤.

نقط (چ)، وهي من الناحية الصوتية الجيم المهموسة (الجيم التي كالشين)[١]، وهي التي نسمعها الآن على ألسنة القاهريين وغيرهم من بعض أبناء البلاد العربية، وقد تناولها العرب القدماء بالتغيير أو التعريب"[٢]. فأبدلوا منها بعض الحروف، هاك سردها:

- **الكاف:** تبدل الكاف من الجيم الأعجمي كما في الأمثلة الآتية:
- **الآجر:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الآجُر: بضم الجيم وتشديد الراء. لفظ معرَّب واحدته: آجرة، الطين يشوى بالنار، ويستخدم في البناء، ويعرف باللبن المشوي، وبالقرميد"[٣]. وهو فارسيّ الأصل قال سيبويه: "اعلم أنهم مما يُغَيِّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتّة، فربّما ألحقوه ببناء كلامِهم وربما لم يُلحقوه. فأما ما ألحقوه ببناء كلامهم فدِرْهم ألحقوه ببناء هِجْرَع وبَهْرَج ألحقوه بسَلْهَب ودينار ألحقوه بديماس وديباج ألحقوه بذلك... وربما غَيَّروا الحرف الذي ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه في الفارسية نحو: فِرِنْد وبَقَّم وآجُرٍّ وجُرْبُز. و"يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم الجيمَ؛ لقربها منها ولم يكن من إبدالها بُدٌّ؛ لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو الجُرْبُز والآجُرِّ والجَوْرَب"[٤]، والآجُرُ بالمدِّ وضمِّ الجيم على فاعُل.. والجمْع أَآجِرُ، قال ثعلبةُ بن صُعَير المازِنيُّ يصفُ ناقةً:

تُضْحِي إذا دَقَّ المَطِيُّ كأنَّها
فَدَنُ ابنِ حَيَّةَ شادَهُ بالآجُرِ[٥]

وليس في الكلام فاعُل بضمِّ العين.. والآجَرُ بفتحِ الجيم والآجِرُ بكسرِ الجيم، والآجِرُون بضمِّ الجيم وكسرِها على صِيغة الجمْع، قال أبو دُوَاد:

ولقد كانَ في كَتائبَ خُضْرٍ
وبَلاطٍ يُلاطُ بالآجِرُونِ[٦]

وهو تعريب آكُور وهو تراب يحكم عجنه وتقريصه ثم يحرق ليبنى.. وقيل: إن أصل اللفظة أرامي، وهو موجود في اللغة الأشورية القديمة[٧]. وهو بلغة أهل مصر الطوب، وبلغة أهل الشام القِرميد"[٨]. وقي سورة القصص قال: "فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ"[٩].

- **البَنج:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "البَنج: بفتح الباء وسكون النون لفظ معرب، نوع من المخدرات يستعمل في الطب"[١٠]. وهو "تركي (باشك أوتي) وهو نبات مُسبت مُنوم"[١١]. وهو "معرب بنك Bang بالفتح وهو بذره الـ (أجواين) الخراساني، "وهو مخدر يسمى بالعربية الحشيش[١٢]، قال أدي شير: "تعريب بُنك وهو تغير بُنه ومعناه: الأساس، والأصل البَنْجَ نَجسْت نبات ينبت في المواضع القريبة

١- ينظر: سر صناعة الإعراب: ٤٦/١، أسرار العربية لابن الأنباري: ٣٥٨: ٣٥٩ شرح جمل الزجاجي: ٤٤٧.
٢- من أسرا اللغة: ١٢٨.
٣- معجم لغة الفقهاء. محمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قنيبي: ٣٥، وينظر : المعرب، والمصباح المنير: (أ ج ر)، البحر الرائق: ٣٨٨/١٦، المطلع على أبواب المقنع: ٤٠٤، حاشية الجمل: ٨٥/١٣، شرح النيل وشفاء العليل: ٢٣/٣،
٤- الكتاب: ٢٢٦/١، جمهرة اللغة، الصحاح: (أ ج ر)، المخصص: ٣١١/٣، المعرب: ١٧، القاموس: (أ ج ر)، شفاء الغليل: ٥.
٥- والبيت من بحر الكامل، ينظر: المفضليات: ٩٥، منتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك: ٣٣٩.
٦- تاج العروس: زأ ب ق، والبيت من بحر الخفيف، وهو لأبي دؤاد الإيادي ديوانه: ٣٤٧، لسان العرب: (ب ل ط)، المعجم المفصل: ٢٣٧/٨.
٧- ينظر: الألفاظ الفارسية المعربة: ٧.
٨- ينظر: معجم البلدان: ٥٨/١.
٩- من الآية: ٣٧. يتظر: روح المعاني: ٨٢/٢٠، وينظر: الكشاف: ٣/ ١٨٠، ورسالتان في المعرب: ١١١.
١٠- معجم لغة الفقهاء: ١١٠.
١١- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٨.
١٢- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٣١، القاموس المحيط: ١٧٠/١، ب ن ج.

من المياه وأغصانه صلبة وورقه كورق الزيتون معرب بَنْج اَنْكشت، وأصل معناه: خمس أصابع، ويقال له بالتركية: بش مارماق وآيد أغاجي، وبالعربية ذو خمس أوراق وذو خمس أصابع ولحبه حب الفقد، قيل: إن حبه ينفع من علة الاستسقاء"(١)، وقد "صرَّحَ به غيرُ واحدٍ من الأَئِمّة"(٢)، وتكلمت به العرب قال ابن الرومي:

وأصـــبح الهَفْتُ كَشَـــطْرِ البَنْج
.:.
مـا كُنَّ في الحَجِّ ولا في الـدّجِ(٣)

وقال رجل من بني عذرة:

عنـا وعن قيـس غـداة المـرج
.:.
إذ يـثـقـفـون ثـقـفًـا بـنـج(٤)

- **الْجَوْرَبُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الجورب: بفتح الجيم والراء، لفظ معرب، ج جوارب، ما يلبس من القماش ونحوه بالقدمين إلى ما فوق الكعبين"(٥). فَالْجَوْرَبُ: على وزن فَوْعَل، وَهُوَ مُعَرَّبٌ من الفارسية، وَجَمْعُه جَوَارِبَةٌ بِالْهَاءِ، وَرُبَّمَا حُذِفَتْ(٦)، "وقد كثر حتى صار كالعربي. قال رجل من بني تميم لعمر بن عبيد الله بن معْمَر:

انْبِـذْ بِرَمْلَـةِ نَبْـذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ
.:.
وعِشْ بعيشـــةَ عيْشًـــا غيْرَ ذِي رَنَقِ(٧)

.. وقال الشاعر:

ومُـأَوْلَقٍ أَنْضَـــجْتُ كَيَّـةَ رأسِـــهِ
.:.
وتَـرَكْـتُـهُ ذَفـرًا كَـريـح الـجَـوْرَبِ(٨)

فهو "تعريب كُورْب، وأصله كُوربا، أي قبر الرجل، ومنه التركي جُوارب والكردي كُوزه.. "ونظيرُه من العرَبِيَّةِ: القَشَاعِمَةُ"(٩)، ويقال له حاليًا: جوارب، وفي العامية شَرَاب بلهجة أهل القاهرة"(١٠). فالتعريب حدث بإبدال الكاف حرفًا بين الكاف والجيم وهو الجيم، إذ أصله الفارسي كورب أبدلت فيه الكاف جيمًا، حيث كانوا يجعلون الجيم الخالية من التعطيش وهي أحد الأصوات الفارسية كافاً أو جيمًا أو قافًا(١١).

وذهب بعض الباحثين إلى أن جوارب أصلها: جواريب، أُسقط منها الصائت الطويل عند تعريبها فصارت جوارب على وزن فواعل. وهذه اللفظة (جواريب) دائرة على ألسنة العراقيين، ومفردها جُوْراب على وزن فُوْعال، مثل: طُوْمار بمعنى الصحيفة، وهو قليل الاستعمال في العربية. وعليه فيصِح جواريب قياسًا على طوامير، ولما أرادوا تعريبه أسقطوا الصائت الطويل، فقالوا: جوارب فوافق زنة العربية؛ لأن فواعل كثير شائع فيها، مثل: جوائز بالإضافة إلى خفة اللفظ بعد إسقاط حرف المد(١٢).

ب- الكاف الأعجمية:

وهي توجد في جميع اللغات التي أخذت منها العرب، وتكتب بالفارسية كافًا بزيادة خط على جزئها الأول (گ)، وهي من الناحية الصوتية الكاف المجهورة، ورمزها في الكتابة الصوتية الدولية هو (گ)K وتبدل

١- الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٧.
٢- تاج العروس: (ب ن ج).
٣- من الرجز ينظر: ديوانه: ٢٣١.
٤- البيتان من بحر الرجز ينظر الأغاني: ٩/ ٣٤٥.
٥- معجم لغة الفقهاء: ١٦٨.
٦- ينظر: المصباح المنير: (ج ر ب)، تحرير ألفاظ التنبيه: ٢٢. تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٢٢.
٧- البيت من بحر البسيط، وهو لرجل تميمي في جمهرة اللغة: ١١٧٥/٣، المعجم المفصل: ٢٣٦/٥.
٨- المعرب: ٥٥، لسان العرب، القاموس المحيط: (ج و ر ب)، شفاء الغليل: ٥، والبيت من بحر الكامل، وهو لنافع بن لقيط الفقعسي الأسدي في لسان العرب، تاج العروس: (أ ل ق، د ف ر)، وبلانسبة في تهذيب اللغة: ٤٢٨/١٤، أساس البلاغة، لسان العرب: ذ ف ر، المعجم المفصل: ٤١٨/١.
٩- الألفاظ الفارسية المعربة: ٤٨، تاج العروس: (ج و ر ب).
١٠- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١١٨.
١١- من أسرار اللغة: ١٢٨.
١٢- ينظر: قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة أ.د/أحمد عبد التواب الفيومي: ١٧٤، ١٧٥.

منها الجيم في بعض اللغات والقاف في أُخرى، وربما عرّبت كلمة واحدة بالحرفين، نحو: قريزوجريز من كَريز لكن إبدال الجيم منها أكثر، وربما أبدلت منها الكاف كما في: كردن من كَردن، وأبدلت منها – أيضًا – الغين كما في: جغرافيا من جكَرافيا، ومما ورد من هذا الإبدال ما يلي:

– **الْجُزَافُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الجزاف: بتثليث الجيم، الحدس والتخمين في البيع والشراء، فارسي معرب، وقولهم: ألقى قوله جزافا، أي: بغير وزن أو تبصر"(١). فـ"الجزاف: بَيْعُ الشَّيْءِ لا يُعْلَمُ كَيْلُهُ وَلا وَزْنُهُ وَهُوَ اسْمٌ مِنْ جَازَفَ مُجَازَفَةً مِنْ بَابِ قَاتَلَ، وَالْجُزَافُ بِالضَّمِّ خَارِجٌ عَنْ الْقِيَاسِ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ تَعْرِيبُ كُزَافٍ وَمِنْ هُنَا قِيلَ: أَصْلُ الْكَلِمَةِ دَخِيلٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ. قَالَ ابْنُ الْقَطَّاعِ: جَزَفَ فِي الْكَيْلِ جَزْفًا أَكْثَرَ مِنْهُ، وَمِنْهُ الْجِزَافُ وَالْمُجَازَفَةُ فِي الْبَيْعِ، وَهُوَ الْمُسَاهَلَةُ وَالْكَلِمَةُ دَخِيلَةٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَيُؤَيِّدهُ قَوْلُ ابْنِ فَارِسٍ: الْجَزْفُ الأَخْذُ بِكَثْرَةٍ كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ، وَيُقَالُ لِمَنْ يُرْسِلُ كَلامَهُ إرْسَالًا مِنْ غَيْرِ قَانُونٍ: جَازَفَ فِي كَلامِهِ فَأُقِيمَ نَهْجُ الصَّوَابِ مُقَامَ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ"(٢). فجزاف الحدس والتخمين في البيع والشراء تعريب كِزاف، وأصل معناه: الأخذ بكثرة دون تقدير، وقالت فيه العرب: جزف وجازف واجتزف وتجزَّف وغير ذلك"(٣). فأَصلُه كَزَاف بالفَتْحِ فلما أرادوا تعريبه أبدلوا الكاف جيمًا؛ لوجود علاقة صوتية سوغت التبادل بينهما وهي قربهما في المخرج، واشتراكهما في معظم الصفات "وبعد التعريب خضع لقواعد العربية فأخذ منه المصدر والفعل وبقية المشتقات، فيقال: جازف يجازف وجازِفْ مجازفة وجِزافًا بالكسر(٤)، وقد ورد كلام العرب قال الهمذاني:

ضـــربـت صـــروفهـا أنفًـا وعينًـا
فـألفيـت المنى قســـم الجزاف(٥)

ومنه حديث: "رأيت الناس في عهد النبي (ﷺ) إذا ابتاعوا الطعام جزافا يُضْرَبُونَ"(٦).

– **الْجِصُّ** : جاء في معجم لغة الفقهاء: "الجص: بفتح الجيم وكسرها، لفظ مُعَرَّبٌ، ما تطلى به البيوت من الكلس"(٧). "وَهُوَ مُعَرَّبٌ؛ لأَنَّ الْجِيمَ وَالصَّادَ لا يَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ، وَلِهَذَا قِيلَ: الإِجَّاصُ مُعَرَّبٌ(٨). وهو "يوناني يسميه العوام جبصين، وفي الأكدية (Gassu) وفي اللاتينية (Plaster) وهو سلفات الكلس الممتزج بالماء يطلى به"(٩) قال الجواليقي: "والجِصُّ ليس بعربي صحيح"(١٠)؛ لأن القافُ والجيم لا يجتمعان في كلمةٍ واحدة في كلام العرب، والجيم والتاء لا تجتمعُ في كلمة من غير حرف ذَوْلَقِيّ، ولهذا ليس الجِبْت من مَحْض العربية، والجيم والصاد لا يَأْتلفان في كلام العرب، ولهذا ليس الجصّ ولا الصَّوْلجان بعربيّ.. وقال ابنُ درستويه في شرح

١- معجم لغة الفقهاء: ١٦٣، ٢١٤.
٢- المصـــباح المنير: (ج ز ف)، التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٤٣، الدر المختار: ٣٩٠/٤، تحرير ألفاظ التنبيه: ١٩٣، المطلع على أبواب المقنع: ٢٤٠، درر الحكام شرح غرر الأحكام: ١٦٦/٦، ٣٣٢، شرح النيل وشـــفاء العليل: ٢٣٥/١٤، طلبة الطلبة: ١١٤/٣، القاموس الفقهي: ٦٢، شفاء الغليل: ٦٩.
٣- الألفاظ الفارسية المعربة: ٤١.
٤- ينظر: التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارســـية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٧١.
٥- البيت من بحر الوافر.
٦- صـــحيح مســـلم باب بطلان البيع قبل نقل القبض: ٧٦/٨، النهاية: ١٦٢/١.
٧- معجم لغة الفقهاء: ١٦٤.
٨- المصـــباح: ج ص ص، وتحرير ألفاظ التنبيه: ٤٢، والمجموع: ٢١٥/٢، والمطلع على أبواب المقنع: ٣٤، ٢٨٠.
٩- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٢٠.
١٠- المعرب: ٥٣، وشفاء الغليل: ٦٦.

الفصيح: "الجَص فارسيٌّ معرب كچّ Gach، أُبْدلت فيه الجيم من كاف أعجميّة لا تُشْبه كاف العرب، والصاد من جيم أعجميّة، وبعضُهم يقول: القَصّ بالفتح، وهو أفصح، وهو لغةُ أهل الحجاز"[١] "وقيل: فارِسيُّة الجَصِّ كَچّ بالكَافِ العَرَبِيَّةِ والجِيم، وقِيلَ: بالكَافِ الفارِسِيَّةِ"[٢] "وليس يجتمع في كلام العرب جيم وصاد في كلمة ثلاثية ولا رباعية إلا ما لا يثبت، فأما الجِصُّ ففارسيّ معرَّب، وقد قالوا جَصَّص الجرْو إذا فتَّح عينيه"[٣] وكلمة كج تستعمل اليوم في إيران بمعنى الطباشير الذي يكتب به على السبورة"[٤].

وذهب بعض الباحثين إلى أنه "ليست هناك صلة لفظية أو نطقية بين اللفظين حتى يقال، أو يصح أن يقال: إن هذا معرب ذاك. فهنا يلاحظ أنهم يربطون بين ألفاظ أو كلمات بمجرد تقارب معانيها مع أن الصلة الصوتية بينهما منقطعة"[٥]، وقد تكلمت به العرب قال العجاج: مِن عاتِقِ الجِصِّ وَمَلبونِ المِدَر[٦].

– **الجوهر**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الجوهر: لفظ معرب، وهو الذي يخرج من البحر، وما يجري مجراه في النفاسة، كالياقوت والزبرجد، واحدته جوهرة"[٧]، وهو "معرب كَوْهَر"[٨]، قال الجواليقي: "وجوهر الشيء: أصله فارسي معرب.. قال المعري: ولو حمل على أنه من كلام العرب لكان الاشتقاق دالًا عليه، فإنهم يقولون: فلان (جهير)، أي حسن الوجه والظاهر، فيكون الجوهر من الجهارة التي يراد بها الحُسْن. وقد تكلمت به العرب قال حسان:

يَمانونَ تَدعونا سَبا فَنُجيبَها
إلى الجَوهَرِ المَكنونِ خَيرِ الجَواهِرِ[٩]

وقال أبو دهبل الجمحي، أو عبدالرحمن بن حسان:

وهي زَهْراءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الغَوَّا
صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ[١٠]

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَنتِ في الجَوهَرِ المُهَذَّبِ مِن تَيـ
ـمٍ ذُرى المَجدِ بَينَ خالٍ وَعَمّ[١١]

وقال المعري: "عربي وأما استعماله لمقابل العرض فمولد، وليس في كلامهم بهذا المعنى"[١٢]، فهذا خارج عن العربية في الأصل ومجري فيها بالاستعمال.

– **السرجين**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "السرجين: بفتح السين وكسرها، وسرقين لغة فيه، لفظ معرب، الزبل (ر: زبل)"[١٣] من سَرْگين، ومعناه الروث، ولا يصح بفتح السين؛ لأنه ليس من كلامهم فَعلين، ومجري فيها بالاستعمال، وهو "لاتيني (stercus) وفي الإيطالية (sterco)، وهو الدمال، والزبل،

١- المزهر: ٢٧٣/١، وقوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٠١.
٢- تاج العروس: ج ص ص.
٣- الجمهرة: (ج س ر).
٤- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية هامش رقم (٤) ص: ١٦٩.
٥- قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٠٢.
٦- من الرجز ديوانه: ٣٢١.
٧- معجم لغة الفقهاء: ١٦٨، وينظر: المطلع على أبواب المقنع: ٩، ومجموع فتاوي ابن تيمية: ٣٤٠/٢.
٨- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٥٥، والألفاظ الفارسية المعربة: ٤٦.
٩- البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه: ١٢٢.
١٠- المعرب: ٥٣: ٥٤، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس: ج و هـ ر، والبيت من بحر الخفيف، وهو في ديوان أبي دهبل: ٦٩، والكامل في اللغة: ٣٨٨، ولسان العرب خ ص ر، س ن ن، والمعجم المفصل: ٢٤٧/٨.
١١- البيت من بحر الخفيف، وهو في ديوانه: ٤٣.
١٢- شفاء الغليل: ٦٧.
١٣- معجم لغة الفقهاء: ٢٤٣، وينظر: الصحاح، والقاموس المحيط: س ر ج ن، ورسالتان في المعرب: ١٦، المعرب: ٩٣، والبصائر والذخائر: ٢٣٣، وشفاء الغليل: ١١٨. وتحرير ألفاظ التنبيه: ١٧٦، والمجموع: ١٨٤/١، ٥٠٩/٢.

والفرث، والسلح، والنجو، أي الخراء والدمن"[١].

– **الْمِهْرَجَانُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الْمِهْرَجَانُ: بكسر فسكون لفظ معرب، عيد الخريف عند الفرس...Festival"[٢] فهو "يَوْمٌ فِي طَرْفِ الْخَرِيفِ مُعَرَّبُ مِهْر گان، وَقِيلَ: هُمَا عِيدَانِ لِلْمَجُوسِ"[٣] "وقيل: عيد للفرس كان يقع في السادس عشر من شهر (مهرماه) في الاعتدال الخريفي، وهو منحوت من (مِهر) أي حُبّ وشمس و(كَان) أي متصل"[٤]، ومعناه محبة الروح"، ووقع في شعر البحتري، ولم يرد في الكلام القديم"[٥]. فقال:

رَدَدتَ هَدايا المِهرَجانِ وَلَم تَكُن
لِتَسخو النُفوسُ الوُفرُ عَن مُستَفادِها[٦]

إبدال الدال طاء وقد ورد ذلك في لفظ واحد. هو:

– **الشِّطْرَنْجُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الشِّطْرَنْجُ: بكسر الشين وسكون الطاء. لفظ مُعَرَّبٌ، لعبة تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعا، تمثل دولتين متحاربتين باثنتين وثلاثين قطعة تمثل الملكين والوزيرين والخيالة والقلاع والفيلة والجنود.."[٧].

"قَالَ ابْنُ الْجَوَالِيقِيِّ فِي كِتَابِ مَا تَلْحَنُ فِيهِ الْعَامَّةُ: وَمِمَّا يُكْسَرُ وَالْعَامَّةُ تَفْتَحُهُ أَوْ تَضُمُّهُ وَهُوَ الشِّطْرَنْجُ بِكَسْرِ الشِّينِ قَالُوا: وَإِنَّمَا كُسِرَ؛ لِيَكُونَ نَظِيرَ الأَوْزَانِ الْعَرَبِيَّةِ مِثْلُ: جِرْدَحْلٍ إِذْ لَيْسَ فِي الأَبْنِيَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَعْلَلٌ بِالْفَتْحِ حَتَّى يُحْمَلَ عَلَيْهِ[٨]، واختلف في تعريبه، فقيل: هو "مُعَرَّبُ ششرنك[٩]، وقيل: "مُعَرَّبُ شِدْرَنْجَ"[١٠]، وقيل: معرب جتورنك، وهو لفظ هندي، وجتور بمعنى أربعة، وأنك بمعنى عضو؛ لأن الشطرنج له أربعة أركان وهي الفيل والفرس والرخ والبيدق"[١١] قال الجواليقي: "والشطرنج فارسي معرب. وبعضهم يكسر شينه؛ ليكون على مثال من أمثلة العرب كجِرِدَحْل؛ لأنه ليس في الكلام فَعْلَلّ بفتح الفاء"[١٢] "وقيل: هو عربي من المشاطرة؛ لأن لكل شطرا ومن جعله أشطرا والصحيح أنه معرب صدرنك أي مائة حيلة والمقصود التكثير، وقيل: معرب شدرنج أي من اشتغل به ذهب عناؤه بطلا"[١٣] أو شُدْرَنْك... وقيل: شتْرَنْك أي ستة ألوان؛ لأن له ستة أصناف من القطع التي يلعب بها فيه... وعندي أن الفارسي شترنك أصله: شاه تُرَنْك، أي الشاه لطيف، أو الشاه اللطيف، أو مركب من شَتْ، وهو تخفيف شتل، ويطلق على الحصة التي المقامر يعطيها بعد نهاية اللعب للذين حضروا المجلس، ومن رَنْك ومعناه القمار، أو مركب من شَتْر وهو العدو باللغة الهندية ورَنْك، ومعناه الحيلة والمشية، أي حيلة العدو أو مشيته"[١٤]، و"شَتْرَنْكك، بكاف فارسية، هو لعبة معروفة من مخترعات داهر الحكيم الهندي... وذهب قوم إلى أن هذه اللعبة اخترعت في زمان أنوشروان، وأن وزيره بزرجمهر اخترع قبالتها لعبة النَّرد،

١- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٣٥، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٩٨، والألفاظ الفارسية المعربة: ٨٩.
٢- معجم لغة الفقهاء: ٤٦٧.
٣- ينظر: معجم لغة الفقهاء: ٤٦٧، والعناية شرح الهداية: ١٧٥/٩.
٤- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٧١، وينظر: رسالتان في المعرب:١٩٦،التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية :٢٠٣، والألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٧.
٥- شفاء الغليل: ٢٠٦. وينظر: رسالتان في المعرب: ١٩٧.
٦- البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه: ٦٧.
٧- معجم لغة الفقهاء : ٢٦٣.
٨- المصباح المنير: ش ط ر ج، وتحرير ألفاظ التنبيه: ٣٤٢، والمطلع على أبواب المقنع: ٤٠٩، ورد المحتاج: ١٥/ ٣٠٨، وحاشيته: ٢٦٤/٤، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير: ٣٩٢/٩.
٩- الفواكه الدواني على رسالة بن أبي زيد القيرواني: ١٨٦/١٧.
١٠- رد المحتاج: ٤٩٥/٢٦، وينظر: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٤١.
١١- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٣٦.
١٢- المعرب: ١٠٣.
١٣- شفاء الغليل: ١٣١.
١٤- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٠١.

والشطرنج معرب عن شترنكك"[١]. وقد تكلمت به العرب، قال امرؤ القيس:

ولاعَبتُها الشِّـطرَنج خَيلى تَرَادَفَت
ورُخّى عَليها دارَ بِالشـاهِ بالعَجَل[٢]

وقال رسول الله (ﷺ): "الشِّطْرنج مَيْسِرُ العَجَم"[٣]. وقال: "لا يُسَلَّمُ عَلَى أَصْحَابِ النَّرْدَشِيرِ وَالشِّطْرَنْجِ"[٤]. "وقياس كلام العرب أن تكسر؛ لأن من مذهبهم أنه إذا عرب الاسم الأعجمي رد إلى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزنا وصيغة وليس في كلامهم فعلل بفتح الفاء، وإنما المنقول عنهم في هذا الوزن فعلل بكسر الفاء؛ فلهذا وجب كسر الشين من الشطرنج؛ ليلحق بوزن جردحل وهو الضخم من الإبل..."[٥]. وهذا ليس بصحيح؛ لقول سيبويه: "ربما ألحقوه بأبنية كلامهم، وربما لم يلحقوه، وذكر مما ألحق بأبنيتهم قولهم درهم بهرج، وما لم يلحق نحو آجر وفرند وإبريسم"[٦].

إبدال الهاء جيمًا خالية من التعطيش. ورد ذلك في لفظين. هما:

- **الْبَهْرَجُ :** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الْبَهْرَجُ: لفظ مُعَرَّبٌ، الباطل.. الرَّدِيءُ"[٧] "وَهُوَ فَارِسِيٌّ.. وَفَارِسِيَّتُهُ نَبْهَرَهْ وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ مَعَ النُّونِ، فَيُقَالُ: النَّبْهَرَجُ"[٨] بسكون الهاء – وهو لفظ معرب[٩] أَوْ (نَبَهْرَجَةٌ)، و"أَصْلُهُ نَبْهَرُ (وقيل: نابَهْرْ) وَهِيَ وَالزَّيْفُ كِلاهُمَا مِنْ جِنْسِ الدَّرَاهِمِ وَفِضَّتُهُمَا غَالِبَةٌ"[١٠]. قال الجواليقي: "البهرج الباطل وهو بالفارسية نَبْهَرَهْ وأنشد للعجاج:

وكَانَ ما اهتَضَّ الجحافُ بَهْرجا"[١١]

والبهرج لفظة معربة هنديه نقلت إلى الفارسية"[١٢] "وأصل معناه بلا حصّة"[١٣] "واللفظة معرّبة. وقيل: هي كلمة هِنْدية أصلها نَبَهله، وهو الرَّديء فنقلت إلى الفارسية، فقيل: نبهره ثم عُرّبت، فقيل: بَهْرَج"[١٤] قال أدي شير: "البهرج: الباطل والرديء والدرهم الذي فضته رديّة معرب بَهْره الفارسية عن الأزهري وعن ابن الأعرابي المبطَل السّكة، وقد استعير لكل رديء. قلت: وإن بهره بالفارسية معناها الحصة والنصيب فالبهرج إذًا معرب عن نَبَهرَه أي عديم الحصة أو عن نَبَرَه وهو بمعنى البهرج.. ويقال فيه: نبهرج وبهرج ... ويقال: بَهْرَجْتُ الشيء بهرجَة فهو مُبَهْرَج"[١٥] فالأصل المشتق منه بهرج الرباعي[١٦] وهي كلمة فارسية قد استعملها العرب وتصرفوا فيها، قال: محارمُ اللَّيلِ لهن بهرج "[١٧].

وحديث الحجاج "أنه أُتِيَ بِجِرَاب لؤلؤ بَهْرَجٍ"[١٨]، وحديث "أمّا إذْ بَهْرَجْتَنِي فلا أشْرَبُها أبدا"[١٩].

- **الْهِمْلاجُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الهملجة:

١- ينظر: برهان قاطع: ١٠٠، والمفصل في الألفاظ الفارسية: ١٣٠.
٢- البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه: ٦٧.
٣- النهاية: ٢٦٠/٤، ونيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار. الشوكاني: ١٧٥/٨.
٤- منتخب كنز العمال: ١٧٥/٦.
٥- درة الغواص:١٧٦، ورسالتان في المعرب لابن كمال والمنشي:٨٢.
٦- ينظر: الكتاب:٣٤٢/٢.
٧- معجم لغة الفقهاء: ١١١.
٨- طلبة الطلبة: ١٠٣/٣، والمطلع على أبواب المقنع: ١٣٥.
٩- معجم لغة الفقهاء: ٤٧٤.
١٠- مجمع الأنهار: ١٢٤/٤.
١١- المعرب: ٣٠، ٣١، وشطر البيت من الرجز في ديوانه: ٧٤/٢، تاج العروس: ط ر ف، المعجم المفصل: ٢٤١/٩.
١٢- ينظر: لسان العرب: ب هـ ر ج، وشفاء الغليل: ٣٩.
١٣- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٥٠.
١٤- النهاية: ١٠٠/١، ولسان العرب، وتاج العروس، والمعجم الوسيط: (ب هـ ر).
١٥- الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٩، وينظر: رسالتان في المعرب: ١٩٩.
١٦- التعريب بين القديم والحديث: ١٥٦.
١٧- من الرجز ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة: ٣٣١/٢، والفائق: ١٢٢/١.
١٨- غريب الحديث لابن الجوزي : ١/ ٩٢، والنهاية: ٤٣٦/١.
١٩- النهاية: ٤٣٦/١.

بفتح الهاء واللام وسكون الميم. لفظ معرب، حسن السير مع شيء من التبختر"[١]، فـ "الهِمْلاجُ فارسيٌّ معرَّب"[٢] "هِمْلَه أي البِرذَون"[٣]. وهو بكسر الهاء اسم الفاعل للذكر والأنثى. فهو لفظ فارسي أصله هِمْلَهْ، فلما أراد العرب تعريبه أبدلوا الهاء جيمًا، وأضافوا ألفًا قبلها. وقد ورد في كلام العرب قال الراعي:

وَنَصِّيَ العيسَ تَهديهِم وَقَد سَدِرَت
كُلُّ جُماليَّةٍ كَالفَحلِ هِملاج[٤]

- **إبدال الهاء قافًا:** ورد ذلك في لفظين. هما:

١- الإستبرق: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الاستبرق: معرب، الديباج الغليظ - الثوب الغليظ الذي يكون سداه ولحمته من الحرير"[٥].

في هذا النص إشارة إلى أن لفظ استبرق معرب من الفارسية ومعناه غليظ الديباج، وهذا دليل وجود المعرب في القرآن الكريم.

"وأصله (استفرْ)، وقال ابن دريد: (اسْتَرْوَه)، ونقل من العجمية إلى العربية، فلو حُقّر استبرق، أو كُسِّر لكان في التحقير (أُبَيْرِق)، وفي التكسير (أبارق) بحذف التاء والسين جميعًا"[٦].

"قال ابن أبي حاتم: "... الاستبرق: الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم: استبره... وممن صرح بأنه بالفارسية أبو عبيد، وأبو حاتم وآخرون"[٧] وعللوا ذلك بأن "هذا البناءَ من ليس من كلامهم وليس مَنْقُولًا عن الفِعْل إذ لو كان ذلك لكانت ألفُه موصولةً ولا نعلم أحدًا وَصَلها، فأما قراءةُ ابنِ مُحَيْصن ﴿وإِسْتَبْرَقَ﴾[٨] فإنه على هذا فِعْل استَفْعَل من بَرَق بَيْرُقُ"[٩] وهو "معَرَّبٌ بلا خِلافٍ عندَ أَئمَّةِ اللُّغَةِ ونَصُّ اللَّيْثِ: ولم يَخْتَلِفْ أَهلُ اللُّغَة فيهِمَا أَنَّهما مُعَرَّبَانِ، أَي السُّنْدُس والإِسْتَبْرَق. قالَ شيخُنَا: ويُشْكِلُ عَلَيْه أَنَّه وَقَع ذِكْرُه في القُرْآنِ والشافِعِيُّ -رحمه الله تَعَالى- وجَمَاعَةٌ مَنَعُوا وُقُوعَ المعَرَّبِ في القُرْآنِ فكيف بَنْفِي الخِلافِ والشّافِعِيُّ الذي لا يَنْعَقِدُ إِجْمَاعٌ بدونِه مُصرِّحٌ بالخِلافِ كما في الإِتْقَانِ وغيرِه؛ ولذلِك قالَ جماعَةٌ: لعلَّه من تَوَافُقِ الُّلغَاتِ كما أَشَارَ إِليه المانِعُونَ.."[١٠]، وقرىء: و﴿استبرق﴾ بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق، وليس بصحيح -أيضًا-؛ لأنه معرب مشهور تعريبه، وأن أصله استبره"[١١] وأصل معناه الغليظ"[١٢]. "فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتي بلفظ آخر لم يمكنه، لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة، ولا يجد العربي لفظًا واحدًا يدل عليه؛ لأن الثياب من الحرير عرَفها العرب من الفرس، ولم يكن لهم بها عهد ولا وضع

١- معجم لغة الفقهاء: ٤٩٥.
٢- ينظر: الصحاح: هـ م ل ج، والمعرب: ١٦٥، ولسان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس: هـ م ل ج، وشفاء الغليل: ٢٣٥، ورسالتان في المعرب:٢٠٢. منح الجليل شرح مختصر خليل: ٢٧٠/١١، والمجموع: ٢٢/١٥، والمطلع على أبواب المقنع: ٢٣٣.
٣- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٥٨، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٦٨.
٤- البيت من بحر البسيط، وهو في ديوانه: ٦٥. وينظر:ديوان زهير:١٧٢، وديوان رؤبة: ٣٠، ولسان العرب، وتاج العروس: (هـ م ل ج).
٥- معجم لغة الفقهاء: ٥٨، وينظر: المصباح المنير: ١٤/١(ا س ت ب ر ق) والتوقيف على مهمات التعاريف: ٥٤.
٦- المعرب من الكلام الأعجمي: ١٤، وينظر: جمهرة اللغة، والصحاح، والقاموس المحيط، وتاج العروس، والمعجم الوسيط: ا س ت ب ر ق، ورسالتان في المعرب: ١٣٥. وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه: ٣، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٨٢.
٧- الزينة: ٢/ ١٣٦، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب: ٣، والاتقان: ١٣٠/٢، والبحر المديد: ٢١٨/٦.
٨- الكهف: ٣١، والرحمن: ٥٤، وينظر: القراءة إملاء من به الرحمن: ٢٥٢/٢، والبحر المحيط: ٤٤٥/٧، ١٠/ ٤٠٩، وفتح القدير: ١٨١/٧.
٩- المخصص: ١٣٣/١.
١٠- تاج العروس: س ن د س.
١١- البحر المحيط: ٤٠٩/١٠، وتفسير القرطبي: ١٩/ ١٤٦.
١٢- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٠.

في اللغة العربية للديباج الثخين اسم، وإنما عربوا ما سمعوا من العجم واستغنوا به عن الوضع؛ لقلة وجوده عندهم وندرة تلفظهم به. وأما إن ذَكره بلفظين فأكثر فإنه يكون قد أخل بالبلاغة؛ لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ تطويل، فعلم بهذا أن لفظ إستبرق يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ولا يجد ما يقوم مقامه، وأي فصحاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله؟"[١].

وقيل معرب: "عن كلمة (سْتبرك) بكاف في آخره علامة تصغير (ستبر) بمعنى ثخين.. فأبدلوا الكاف قافًا خشية اشتباه الكاف بكاف الخطاب، والذي في القاموس: الإستبرق: الديباج الغليظ معرب (اسْتَرْوَه)"[٢].

وقيل: "بل هو الفعل العربي، سُمّي به فهو استبرق من الريق فغُيّر حين سمي به بقطع الألف، ويقوي هذا القول أن ابن محيصن قرأ ﴿مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ﴾ فجاء موصول الهمزة حيث وقع ولا يجزمه، بل بفتح القاف، ذكره الأهوازي، وذكره أبو الفتح، وقال هذا سهو أو كالسهو"[٣]. قال أبو حيان: "وقرأ ابن محيصن ﴿واستبرق﴾ بوصل الألف وفتح القاف حيث وقع جعله فعلًا ماضيًا على وزن استفعل من البريق، ويكون استفعل فيه موافقًا للمجرد الذي هو برق كما تقول: قر واستقر بفتح القاف.. قال ابن محيصن وحده: {واستبرق} بالوصل وفتح القاف حيث كان لا يصرفه.. فظاهره أنه ليس فعلًا ماضيًا بل هو اسم ممنوع من الصرف. وقال ابن خالويه: جعله استفعل من البريق "ابن محيصن" فظاهره أنه فعل ماض وخالفهما صاحب اللوامح قال ابن محيصن: {واستبرق} بوصل الهمزة في جميع القرآن فيجوز أنه حذف الهمزة تخفيفًا على غير قياس، ويجوز أنه جعله عربيًا من برق يبرق بريقًا. وذلك إذا تلألأ الثوب لجدته ونضارته، فيكون وزنه استفعل من ذلك فلما تسمى به عامله معاملة الفعل في وصل الهمزة، ومعاملة المتمكنة من الأسماء في الصرف والتنوين، وأكثر التفاسير على أنه عربي وليس بمستعرب دخل في كلامهم فأعربوه"[٤] وقالوا "فيه: أعجمي وعربي مخلط من كلام العرب وكلام العجم"[٥]. فـ "هي لفظة أعجمية مُعَرَّبة أصلها اسْتَبْرَه. وقد ذكرها الجوهري في الباء من القاف على أن الهمزة والسين والتاء زوائد وأعاد ذكرها في السين من الراء وذكرها الأزهري في خُمَاسِيّ القاف على أن همزتها وحدها زائدة، وقال: أصلها بالفارسية اسْتَفَرَه. وقال أيضًا: إنها وأَمثالها من الألفاظِ حروف عربِيَّة وقع فيها وفاق بين الأعجمية والعربية. وقال هذا عندي هو الصواب"[٦]. "والإستبرق الغليظ بالفارسية بحذف القاف"[٧]. ويشير التونجي إلى أن أصلها إستبرك ومعناها: حرير قماش منسوج من الحرير والذهب، معربها "استبرق"[٨]، والقاف في الكلمة تمثل الكاف الفهلوية[٩].

من هذا وضح لنا أنهم اتفقوا على أن الكلمة أعجمية إلا أنهم اختلفوا في أصلها إلى رأيين:

الأول: أنها فارسية. غير أن أصحاب هذا الرأي لم يتفقوا على أصل له في الفارسية؛ فقال بعضهم: استبره

١- الإتقان: ١/١٥٨، ١٥٩.
٢- التحرير والتنوير: ١٤/٣١٠.
٣- المحرر الوجيز: ٤/ ٣٠٨.
٤- البحر المحيط: ٧/٤٤٥، ويراجع: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٦٧، والكشاف: ٤/١٩٩، والدر المصون: ١/٥٧١١. وروح المعاني: ٨/٣٣٢، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١/٦٥٧. وتفسير الألوسي: ١١/٢٤٦.
٥- البحر المديد: ٥/٤٠٩.
٦- النهاية: ١/١٠٥.
٧- البرهان في علوم القرآن: ١/٢٨٨.
٨- المعجم الذهبي فارسي عربي: ٦٦.
٩- المعرب والدخيل في اللغة العربية: ٧، والمعرب في القرآن الكريم دراسة تأصيلية دلالية: ١٥٩.

واستفْرَه، وقال آخرون: أصله: استروه، وقالوا: سَتْبر واستبر. الثاني – أنها رومية، وأصلها: اسْتَبرَهَ. ومن الواضح أن لفظة "استبرة" ليس لها جرس اللغة اللاتينية؛ إذ يعني: الديباج في اللاتينية "brocus"[١].

كذلك نجد بعض المحدثين يخرج هذه اللفظة من العجمية، ويصرح بأنها عربية، فيقول: "أما الزعم بأنه فارسية فيبطله الحقائق الآتية:

- ليس في الفارسية (اس ت) في أول الكلمة؛ إذ هذه سمة عربية خالصة، وهي أحرف الزيادة في صيغة استفعل؛ فيبقى من الكلمة ثلاثة أحرف هي (ب ر ق) سبق بيان دلالتها في "إبريق".
- تصغيرها على أُبيرق، وتكسيرها على أبارق، وهذه سمة عربية أخرى ليست من خصائص الفارسية.
- قول "ابن جني": "إن استيرق صورة الفعل البتة بمنزلة استخرج، وكأنه سُمي بالفعل، وفيه ضمير الفاعل. فحكى كأنه جملة. وهذا باب إنما طريقه في الأعلام. كـ"تأبط شرًّا" وذرَّ حبًّا، وشاب قرناها، وليس الإستبرق علَمًا يسمى بلاجملة، وإنما هو قولك: بِزْيَوُن (سندس). وعلى أنه إنما استبرقَ: إذا بلغ البصرَ إلى البرَق. قال الشاعر:

يَسْتَبْرِقُ الأفُقُ الأقْصَى إذا ابتسَمَت
لمْعَ السُّيُفِ سِوَى أَغْمادِها القُضُبِ[٢]

هذا إن شئت قلت: معناه: تستبرق أبصار أهل الأفق، وإن شئت قلت: تُبرقه، أي تأتي بالبرَق منه"[٣]، وفي كلام العرب: استبرق المكان: إذا لمع بالبرْق"[٤]،

-من المعروف أن تعريب الكلمة يعني إبدال الحروف العربية بحروف اللغة الأخرى التي ليست في العربية وقد وضح أن حروف العربية تامة، وعددها اثنان وأربعون حرفًا، فَلِمَ تُغير العربية حروفًا موجودة فيها؟ ولِمَ لا تكون الفارسية هي الآخذة؟[٥]،

-عرَّف المعجم العربي الإستبرق بأنه الغليظ من الديباج، والديباج عربي خالص[٦]،

-الإستبرق في اللسان الفارسي: ديبا ستِبر[٧]. وديباي هي ديباج العربية بعد إبدال الجيم ياء، وهو ما يعرف في العربية بالعجعجة، وأمثلتها في العربية كثيرة[٨] (علج، العشج في علي وعشيّ). فأين هذا من إستبرق التي تدل دلالة وثيقة على معناها المشتق من اللمعان.

والديباج في الفارسية: ديبا، بحذف الياء من آخرها، أو جامِهِ أبْريشمين كِه تار وبودِ آنْ هَمِه انْ ابرِيشمْ باشَدْ، والسندس في الفارسية: ديباي تَنْكَ، أو: ديبا تَنْكَ[٩]، وقد تفسر إستبرق بأنها جمْعُ بين بَرَق وسَرَق؛ ولا سيما أن السرقَ في العربية هو الحرير[١٠]، كل هذا يدل على أن الكلمة عربية الأصل.

وقد حدث في اللفظ تطور دلالي إذ في الأصل تطلق على الغليظ ثم خص بغليظ الديباج. قال براجشتراسر: "والاستبرق مشتقة من (استبْر) أي الشديد والثخين بإلحاق (ak) وهي كثيرة جدًّا في الأوصاف الفارسية، فأصل المعنى: نسيجة ثخينة، ثم أطلقت على غليظ الديباج"[١١].

١- معجم وبستر: ١٣٢، معرب القرآن الكريم عربي أصيل: ٣٣.
٢- البيت من بحر البسيط ينظر: لسان العرب، تاج العروس: (ب ر ق).
٣- المحتسب: ٣٠٤/٢، والخصائص: ٦٦/١.
٤- ينظر: لسان العرب: (ب ر ق).
٥- معرب القرآن الكريم عربي أصيل: ٣٨.
٦- يراجع: الخصائص: ١٢٢/١.
٧- مقدمة الأدب: ٣٥٥.
٨- ينظر: سر صناعة الإعراب: ١٧٥/١.
٩- مقدمة الأدب: ٣٥٥.
١٠- معرب القرآن الكريم عربي أصيل: ٤٤، ٤٥.
١١- التطو النحوي للغة العربية: ٢١٥.

٢- الْبَاذَقُ: ومما عرب من ألفاظ الأشربة الباذق، جاء في معجم لغة الفقهاء: "الباذق: - بكسر الذال - مُعَرَّبٌ، ويسمى القنديد، عصير العنب إذا طبخ فتبخر منه أقل من نصفه"[١] "فَصَارَ شَدِيدًا وَهُوَ مُسْكِرٌ... وأصله باذَه[٢]، وهو"معرب من الفارسية من بادَه، أي خمر ونبيذ"[٣]، ولما كانت الباءُ عَرَبِيَّةً أبْقَوْها علَى حَالِهَا[٤]، وأبدلوا الهاء قافًا. وأَوَّل من وَضَعَه بَنُو أُمَية؛ لينْقلُوه عن اسم الخَمر وكُلُّ مسْكِر خَمْر؛ لأن الاسمَ لا يَنقله عن معناه الموْجُودِ فيهِ... قلتُ: كَيف يكونُ ذلِك، وقد سئلَ عَنْهُ ابنُ عَبّاسٍ، فَقالَ: سبق محمد (ﷺ) الباذق وما أسكر فهُوَ حرام" فهذا يدل على أنه معروف قبلِ بني أمَيّةَ، ومَعنى الحديث، أي سَبَق قولُه فيهِ وفي غيره من جنسه، وقِيلَ: أَي لم يكن في زَمانِه فتأمل"[٥]. قال أبو الأسود:

لَســـتُ وَإِن عَزَّ الشَـــرابُ بِمُفطِرٍ
عَلى بـاذَقٍ مِمّـا تَقومُ بِـهِ الســـوقُ[٦]

ومن وهِم أن "بادَه" في لغة الفرس يرادف "ميْ" فقد وهم "مي" في لغتهم الخمر"[٧].

- إبدال الفاء باء، وقد ورد ذلك في لفظ واحد. هو:

- البندق: جاء في معجم لغة الفقهاء: "البندق: "بضم الباء والدال، بينهما نون ساكنة، لفظ معرَّب، واحدته بندقة، ما يرمى به مطلقًا، سواء أكان من الحجر أم الطين أم الحديد، أو نحو ذلك..- Bullet النبات المعروف"[٨]. وهو "المأكول ليس بعربي محض.. لكنهم استعملوه، والذي يرمى به كأنه من هذا على طريق التشبيه، وقد ورد في... حديث عدي "وَلَا تَأْكُلْ مِنْ الْبُنْدُقَةِ إِلَّا مَا ذَكَّيْتَ"[٩]. وهو "فارسي "فندق"، وهو شجر"[١٠].

- إبدال الكاف خاء، ورد ذلك في لفظ واحد.هو:

- الْفَرْسَخُ: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الْفَرْسَخُ: بفتح فسكون لفظ مُعَرَّبٌ (ج) فراسخ، مقياس من مقاييس المسافات مقداره ثلاثة..."[١١]، وهو "فَارِسِيّ (فَرْسَنْك) معناه: بعثة ومسير ساعة على ظهر الخيل نحو: ثمانية كيلو مترات"[١٢]، والأرجح أنه عربي؛ لكثرة معانيه[١٣] وقد ورد في حديث حُذَيْفة: "ما بَيْنكم وبين أنْ يُصَبَّ عَلَيْكم الشَّرُّ فَراسِخَ إلاَّ موْت رجلٍ"[١٤]، يعنى: عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فَلَو قَدْ ماتَ صُبَّ عَلَيْكم الشّر فراسخَ"[١٥].

فلفظ فرسخ أصله الفارسي فرسنك، فلما أرادوا تعريبه أبدلوا الكاف خاء؛ لأن (گ) ليس في العربية؛ ولهذا استبدلوا به الخاء، وحذفوا النون التي قبلها؛ تخفيفًا فصارت فرسخ.

١- معجم لغة الفقهاء: ١٠٢.
٢- المصباح المنير: ب ذ ق، وسبل السلام: ٩٤/٦، وطلبة الطلبة: ٦٧/٤.
٣- ينظر: تعريب الكلمة الأعجمية: ٧٦، وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٨، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٧٨.
٤- تاج العروس: س ل ف.
٥- تاج العروس: ب ذ ق،
٦- البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه: ٣٤.
٧- رسالتان في المعرب: ٩١.
٨- معجم لغة الفقهاء: ١١٠، وينظر: المطلع على أبواب المقنع: ١٢٨.
٩- شفاء الغليل: ٤٢، وبرهان قاطع: ١٧٠٨. وجزء الحديث في مسند الإمام أحمد: ٣٨٠/٤، رقم: ١٩٤١١.
١٠- تفسير الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية: ١٤.
١١- معجم لغة الفقهاء: ٣٤٣، وينظر: سبل السلام: ٣٧٣/٢، والمطلع على أبواب المقنع: ١٠٤، ونيل الأوطار: ٢٢٣/٥، ومعجم لغة الفقهاء: ٣٤٣، والقاموس الفقهي: ٢٨٢، وينظر المعرب: ١٢٣، والصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس: ف ر س خ.
١٢- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٥٠، والألفاظ الفارسية المعربة: ١١٨.
١٣- ينظر هامش ص: ١٢٣ من المعرب، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٤٥.
١٤- غريب الحديث لأبي عبيد: ١٢٢/٤، والفائق: ١١٢/٣، والنهاية: ٨٢٣/٣.
١٥- تهذيب اللغة: ف ر س خ.

إبدال اللام همزة: ورد ذلك في لفظ واحد.هو:

– **الأُشْنَانُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الأُشْنَانُ لفظ معرب، الحرض، وهو نبات من فصيلة السرمقيات تستخرج منه الصودا المستعملة في صناعة الزجاج، وكان يستعمل قديمًا "في غسل الثياب كأداة من أدوات التنظيف"(١). "وَيُقَالُ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ: الْحُرْضُ وَتَأَشَّنَ غَسَلَ يَدَهُ (بِالأُشْنَانِ)(٢). "وفارسيته لُشْنان"(٣)، وهو "وهمزته أصل؛ لأنك إن جعلتها زائدة لم تصادف شيئًا من أصول أبنيتهم. وحكم النون أن تكون اللام كررتها للإلحاق بـ قرطاس"(٤). فـ"إن كان عربيًّا فهو فُعلال ولا يكون أُفعالًا؛ لأن هذا البناء ليس في الكلام ولا يُجعل أصلًا لموضع الإشكال"(٥)، فالأشنان "لا نظير له في العربية، وعربيته حرض"(٦).

– **إبدال الذال دالًا:** ورد ذلك في لفظ واحد، هو:

– **الأستاذ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الأستاذ: لفظ معرب بضم الهمزة، الماهر في صناعة يعلمها غيره"(٧)، وهي عجمية معربة من "الفارسية"(٨)؛ لأن السين والذال ألبته لا يجتمعان في كلمة عربية"(٩). قال الجواليقي: "فأما الأستاذ فكلمة ليست بعربية يقولون للماهر بصنعة: أستاذ. ولا توجد هذه الكلمة في الشعر الجاهلي. واصطلحت العامة إذا عظموا الخَصِيّ أن يخاطبوه بالأستاذ. وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذي هو الصانع؛ لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم. فكأنه أستاذ في حسن الأدب ولو كان عربيًّا لوجب أن يكون اشتقاقه من السّتذ، وليس ذلك بمعروف"(١٠)، ويرجع الحكم بعدم عربيتها عدم وجود مادة (س ت ذ) في العربية(١١)، "وفارسيته أستاد، ومنه أست بالتركية والكردية"(١٢). فلفظ أستاذ أصله الفارسي أستاد، فلما أرادوا تعريبه أبدلوا الذال دالً، فقالوا: أستاذ، وقيل: أستاذْ فحركوا الذال(١٣).

إبدال الشين سينًا: ورد ذلك في لفظ واحد، هو:

– **المُستقة:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "المستقة: بضم الميم والتاء وسكون السين... لفظ معرب، فرو طويل الكمين"(١٤)، وقيل: "الجُبَّةُ الواسعةُ"(١٥)، "وأصلها بالفارسية (مُشْتَقَهْ) فعُرِّب. وروي عن عمر أنه كان يصلي وعليه مُسْتُقَةٌ، وفيها لغة أخرى (مستَقة) بفتح التاء، وعن أنس بن مالك: "أنَّ مَلِكَ الروم أهدَى إلى رسول الله مُستَقة من سندس، فلبسها رسول الله (ﷺ) فأني أنظر إلى يديها تذبذبان فبعث بها إلى جعفر فقال: أبعثَ بها إلى أخيك النجاشي وأُنشِدَ:

١- معجم لغة الفقهاء: ٧٠.
٢- المصباح المنير: أ ش ن، والمجموع: ٥٨٣/٢، وتحرير ألفاظ التنبيه: ٣٢، والمطلع على أبواب المقنع: ٣٥، والقاموس الفقهي: ٢٠.
٣- الألفاظ الفارسية المعربة: ١١.
٤- المعرب: ١٩، وينظر: جمهرة اللغة: ٢٢٤/٢، المخصص: ٤١٨/٢. لسان العرب، القاموس المحيط، وتاج العروس: أ ش ن.
٥- المخصص: ٤١٨/٢، وحياة الحيوان الكبرى. الدميري: ٨٦/٦.
٦- شفاء الغليل: ١٣، وينظر: المزهر: ٨٨/١، وبرهان قاطع: ١٢٩٨، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٢٧.
٧- معجم لغة الفقهاء: ٥٦.
٨- تفسير الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية: ٢.
٩- التوقيف على مهمات التعاريف: ٥٤، وحاشية رد المختار: ٤١١/١، وتكملة حاشية رد المختار: ٤١١.
١٠- المعرب: ١٩، والمعجم الوسيط: ٣٥/١.
١١- شفاء الغليل: ١٣، والتعريب بين القديم والحديث: ٥١.
١٢- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٠، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٥١.
١٣- رسالتان في المعرب: ١٣٤.
١٤- معجم لغة الفقهاء: ٤٢٧.
١٥- المعرب: ١٤٧، والفائق: ٢٨/٣، وشفاء الغليل: ٢٠٦، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٧.

إذا لبِسَـــتْ مَســـاتقَهـا غنيٌّ
.:.
فيَـا وَيْحَ المَســـاتقِ مـا لقينـا[١]

... ومنه حديث عمر "أنه صلَّى بالناس ويداهُ في مُسْتَقَّه"[٢].

إبدال السين صادًا: ورد ذلك في لفظ واحد.هو:

– **الصَّنْجُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الصنج: بفتح فسكون لفظ معرَّب... صحيفة مدورة من نحاس ونحوه تضرب إحداهما بالأخرى تثبت على الدف؛ لتعطي صوتًا معيَّنًا حسب ضربة الضارب به، أو تثبت في الأصابع يضرب بها الراقصون ونحوهم"[٣]. (وَمِنْهُ) قَوْلُهُ: "**وَيُكْرَهُ الصُّنُوجُ وَالْكُوبَاتُ**"، وَيُقَالُ لِمَا يُجْعَلُ فِي إطَارِ الدُّفِّ مِنْ الْهَنَاتِ الْمُدَوَّرَةِ: صُنُوجٌ – أَيْضًا..."[٤] قال الجواليقي: "والصَّنْجُ الذي تعرفه العرب هو: الذي يُتَّخَذُ مِنْ صُفْرٍ يُضْرَبُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، قال الأعشى:

والنَّـاي نَـرْمٍ وبَـرْبَطٍ ذي بُـجَّـةٍ
.:.
والصَّـنْجُ يبْكِي شَـجْوَهُ أن يُوضَـعَا[٥]

... فأَمَّا الصَّنْجُ ذُو الأَوْتَارِ فَتخْتَصُّ بِهِ الْعَجَمُ، وَهُمَا مُعَرَّبان، وسموا الأعشى صنَّاجة العرب؛ لجودة شعره... وصنجة الميزان معرَّبة. قال ابن السكيت: ولا تقل سنجة"[٦]، وقال الأعشى:

وَمُسـتَجيبٍ تَحالَ الصَـنجَ يَسـمَعُهُ
.:.
إذا تُرَجِّعُ فيـهِ القَينَـةُ الفُضُـــلُ[٧]

وقيل: "صنجة الميزان: عياره تعريب سَنْجه"[٨]. فالصَّنْجُ العربيّ الذي يكون في الدُّفُوفِ ونحوها. فأما الصَّنْجُ ذو الأوتار فهو دخيلٌ.

– **إبدال الكاف قافًا:** ورد ذلك في لفظ واحد. هو:

– **الْقُمْقُمُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الْقُمْقُمُ: بضم القافين وسكون الميم، لفظ مُعَرَّبٌ ج قماقم، ما يسخن فيه الماء من نحاس عادة، ويكون ضيق الرأس..."[٩].

وذكر الفيومي أنه "رُومِيٌّ مُعَرَّبٌ"[١٠]، وقيل هو: "فارسي "كم كم" (ويقال: كم)، وعربيه مِنضحة ومِحَمّ"[١١]، "وقد تكلَّمت به العرب في الشعر الفصيح. قال عنترة:

وكـأن رُبًـا أو كُـحَـيْـلًا مُـعْـقَـدًا
.:.
حَش الوَقودُ بـه جوانـبَ قُمْقم[١٢]

وقد قالوا في الدعاء: قَمْقَمَ اللّهّ عَصَبَه. وقال قوم من أهل اللغة: قَمْقَمَه: قبضه وجمعه. ورجل قَمْقام، وهو السيد، وأحسب أن اشتقاقه من قولهم: بحر قَمْقام: كثير الماء"[١٣]. "وفي المثل: على هذا دارَ القُمْقُمُ، أي إلى هذا صار معنى الخَبَر، يضرب للرجل إذا كان خبيرًا

١- البيت من بحر الوافر، ينظر: تهذيب اللغة: ٩/ ٣٩٣، لسان العرب: س ت ق، م ت ق، والقاموس المحيط، وتاج العروس: س ت ق، والمعجم المفصل: ٨/٨٤.
٢- النهاية: ٤/٩٣.
٣- معجم لغة الفقهاء: ٢٧٧.
٤- المغرب، والمصباح المنير: ص ن ج، وتحفة المحتاج: ٢١/٢٣٩، ونهاية المحتاج: ١٥/١٢١، وحاشية البجيرمي على الخطيب: ٩/٥٣، وينظر: مختار الصحاح: ص ن ج، والمنجد في اللغة والأعلام: ٤٣٦، وجامع التعريب: ١٩٨.
٥- البيت من بحر المتقارب، وهو في ديوانه: ٥٤، والشعر والشعراء: ١٣٧.
٦- المعرب: ١٠٧، وينظر: العين، وتهذيب اللغة، والصحاح، ولسان العرب، والقاموس: ص ن ج، وشفاء الغليل: ١٤١.
٧- البيت من بحر البسيط، وهو في ديوانه:، ٦١٥٩، ٦٨، والمخصص: ١٢/٤، المحكم، ولسان العرب، وتاج العروس: (ص ن ج).
٨- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٠٨، والمفصل من الألفاظ الفرسية: ٥٤.
٩- معجم لغة الفقهاء: ٣٧٠.
١٠- المصباح المنير: ق م ق م.
١١- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٥٨، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٩١.
١٢- البيت من بحر الكامل، ديوانه: ٢٠٤، جمهرة اللغة: ١/٢٢٠، تهذيب اللغة: ١/١٩٧(ق م م) . المخصص: ١٤/٤١، تاج العروس: ك ح ل، وبلا بسبة في: لسان العرب: ع ق د، المعجم المفصل: ٧/٣٩٥.
١٣- ينظر: جمهرة اللغة: ١/٢٢٠، وينظر: المعرب: ١٢٨، ولسان العرب، والقاموس: ق م ق م، وشفاء الغليل: ١٧٦.
١٤- الصحاح: ق م ق م.

وهو"معرب كمكم"[١].

إبدال التاء طاء: ورد ذلك في ثلاثة ألفاظ. هي:

- **الطَّسْتُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الطست: بكسر فسكون، لفظ معرب، إناء كبير مستدير يوضع فيه الماء للغسل ونحوه..."[٢]. و"أَصْلُهَا: طَسَّ فَأُبْدِلَ مِنْ إِحْدَى الْمُضَعَّفَيْنِ تَاءٌ؛ لِثِقَلِ اجْتِمَاعِ الْمِثْلَيْنِ؛ لأَنَّهُ يُقَالُ فِي الْجَمْعِ: طِسَاسٌ مِثْلُ: سَهْمٍ وَسِهَامٍ، وَفِي التَّصْغِيرِ طُسَيْسَةٌ وَجُمِعَتْ – أَيْضًا – عَلَى طُسُوسٍ بِاعْتِبَارِ الأَصْلِ، وَعَلَى طُسُوتٍ بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ. قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ: قَالَ الْفَرَّاءُ كَلامُ الْمُعَرَّبِ طَسْتٌ، وَقَدْ يُقَالُ: طَسَّ بِغَيْرِ تَاءٍ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ وَمُذَكَّرَةٌ، فَيُقَالُ: هُوَ الطَّسْتُ وَهِيَ الطَّسْتُ... وَقَالَ السِّجِسْتَانِيُّ: هِيَ أَعْجَمِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ وَلِهَذَا قَالَ الأَزْهَرِيُّ: هِيَ دَخِيلَةٌ فِي كَلامِ الْعَرَبِ؛ لأَنَّ الطَّاءَ وَالتَّاءَ لا يَجْتَمِعَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ"[٣]، وهو "تعريب (تَشْت) الفارسي...، ومنه الدست عند العامة، أي حلَّة من نحاس كبيرة"[٤]، والتركي تاس وتست وتشت، والكردي تَشت، وطشت، وطست، وطاس. قال الجواليقي: "ومما دخل في كلام العرب الطِّست والتَّوْرُ والطاجن، وهي فارسية كلها، قال الفراء: طيء تقول: طَسْت، وغيرهم يقول: طَس، وهم الذين يقولون: لصت للص وجمعهما طُسُوت ولصوت عندهم. وفي الحديث عن أبي بن كعب في ليلة القدر: "أن تطلع الشمسُ غدتئذٍ كأنها طَسٌّ ليس لها شُعاع"[٥]. قال سفيان الثوري: الطَّسُّ هو الطَّسْت: ولكنَّ الطّسْ، بالعربيّة. فلمّا أعربوه قالوا: طَسٌّ، ويجمع طيساسًا، وطُسُوسًا..."[٦].

فالتغيير هنا بسبب الإدغام؛ إذ أصلها طس، وهي لغة طيء أبدلت إحدي السينين تاء؛ لدفع ثقل التضعيف. وقد وردت في كلام العرب قال الأخطل:

لَقَـد تَرَكَ النِكـاحُ أَبـا سُـــلَيمٍ
كَظَهرِ الطَسْـــتِ لَيسَ بِذي قِبالِ[٧]

ومن ذهب إلى أنها أعجمية فقد أخطأ؛ لما عرفت أنها معرّبة، والأعجمية لفظة لفظت طشْت... والطس: تعريبها؛ لأن الطس مرخم من الطست، كما أن الطش مرخم من الطشت... وكذلك جانب الصواب الجوهري ومن لفّ لفه فيما ذهبوا إليه من أنه قد أبدلت إحدى السينين تاء؛ للاستثقال، فإذا جمعت أو صغرت ردت السين؛ لأنك فصَلت بينهما بألف أو بياء، فقلت: طِساس، أو طُسَيْس[٨].

- **الطَّسُّوجُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الطَّسُّوجُ: بفتح فضم، لفظ مُعَرَّبٌ، القرية ونحوها..."[٩]. "وَيُقَالُ: أَرْدَبِيلُ مِنْ طَسَاسِيجِ حُلْوَانَ"[١٠]. قال الأزهري: "الطّسُّوجُ لمقدار من الوزن كقوله: فربيون بطَسُّوج، وكلاهما معرب"[١١]، وقيل: معناه الناحية وهو مركب من (تا)، أي إلى ومن (سو)، أي جانب"(١٢). فطسوج معرب عن طسو. فله معنيان: أحدهما – ربع الدانق ووزنه حبتان من حبّ الحنطة، الثاني – الناحية.
- **الطُّنْبُورُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الطُّنْبُورُ: بضم

١- تاج العروس: ق م ق م.
٢- معجم لغة الفقهاء: ٢٩١.
٣- حاشية الجمل: ٥٦/١٢.
٤- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٤٦، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٢١، والألفاظ الفارسية المعربة: ١١٣.
٥- مسند أحمد: ١٣٠/٥.
٦- يراجع: المعرب: ١١٠، تهذيب اللغة: ١٩٣/١٢، المجمل: ٥٨٢، الصحاح، القاموس المحيط: (ب ر د) ولسان العرب، وتاج العروس: (ط س س)، وشفاء الغليل: ١٤٧، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ١٣٥،٢٣٤.
٧- البيت من بحر الوافر، وهو في ديوانه: ٥٠.
٨- ينظر: رسالتان في المعرب: ٩٥.
٩- معجم لغة الفقهاء: ٢٩١.
١٠- المغرب: ط س ج، ومعجم لغة الفقهاء: ٢٩١.
١١- تهذيب اللغة: ط س ج، وينظر: الصحاح، والقاموس المحيط، وتاج العروس: ط س ج، والمعرب: ٧٦.
١٢- الألفاظ الفارسية المعربة: ١١٢، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٣٤.

فسكون فضم لفظ معرب، آلة من آلات اللهو والطرب. ذات أوتار...Guitar, harp"[١]. أي الذي يُلْعَبُ به من آلات الملاهي. "وَهُوَ فُنْعُولٌ بِضَمِّ الْفَاءِ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَإِنَّمَا ضُمَّ حَمْلًا عَلَى بَابِ عُصْفُورٍ[٢] "وقد استعمل في لفظ العربيّة"[٣]. "قال أبو حاتم عن الأصمعي: الطُّنبور دخيل؛ وإنما شبِّه بألية الحَمَل، وهو بالفارسية دُنْبَهِ برهْ (دُنْب بَرَه)، فقيل: طُنْبُور"[٤] "بضمّ الدال المهملة وسُكُون النّون وفتح الموحَّدَة، وبَرَّهُ بفتح الموحّدة وتَشْدِيد الراءِ المفتوحة شُبّه بأَلْيَةِ الحَمَلِ فدُنْبَه هي الأَلْيَة وبَرَه: الحَمَلِ"[٥] فهو تعريب عن تنبور، وأصله دُنْبَه بَرَه، أي ألية الحمل؛ سُمي به على التشبيه"[٦].

- **إبدال الهاء همزة:** ورد ذلك في لفظ واحد. هو:
- **الهندام:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الهندام: بكسر فسكون لفظ معرب، حسن القد واعتداله"[٧]، وهو "فارسي (أندام) معناه: القامة، وهيئة الجسم.. وقالوا فيه: هَنْدَمَ، وهندمة"[٨]. قال الجوهري:"يقال: هذا شيء مُهَنْدَمٌ، أي مُصْلَحٌ على مقدار. وهو معرّب، وأصله بالفارسية أَنْدامْ، مثل: مهندس، وأصله أَنْدازَهْ"[٩]. فهندام إما معرب أندام أو هَندام بالفتح وهي لغة فيه، وهذا أفضل؛ لأنهم صرحوا بأن فَعْلاَل من غير المضاعف لم يرد فيه سوى: خَزْعَال، وخَرْطال وقَسْطَال، وزاد ثَعْلَبٌ: قَهْقَار[١٠].

ب- إبدال غير مطرد: ويتحقق ذلك عندما تشتمل الكلمة الأعجمية على حروف لا تأباها العربية، وبرغم ذلك يبدلونها إلى حروف عربية أخرى، وذلك في حروف لا يطرد فيها الإبدال وهي: السين، والشين، والعين، واللام، والزاي[١١].

فمن إبدال الشين الفارسية سينًا لفظ الدست، فقالوا: دست للصحراء، وهي في الفارسية دشت. وكذلك لفظ إبريسم أصله الفارسي: إبريشم عندما أرادوا تعريبه أبدلوا الشين سينًا، فقالوا: إبريسم. وكذلك لفظ مسيح أصله مشيح بالشين فأبدلت الشين عند التعريب سينًا. وكذلك لفظ عسكر، أصله الفارسي: لشكر. فالعرب كانوا يبدلون الأصوات التي ليست من أصوات كلامهم إلى أقربها مخرجًا؛ لئلا يدخل في كلامهم أصوات أعجمية.

- **إبدال الواو ياء:** ورد ذلك في لفظ واحد.هو:
- **النَّيْرُوزُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "النَّيْرُوزُ: بفتح النون وسكون الياء وضم الراء. لفظ معرّب، اليوم الحادي والعشرون من شهر مارس من السنة الميلادية، وهو عيد الفرح عند الفرس = عيد رأس السنة

١- معجم لغة الفقهاء: ٢٩٣.
٢- المصباح المنير: ط ب ر، وتحرير ألفاظ التنبيه: ٣٢٦، والمطلع على أبواب المقنع: ٢٧٧، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: ١٣٨/٩، والفواكه الدواني: ٤٥٧/١٨، والمجموع: ٢٤٨/١، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج: ٦٨/ ٤٤٣، ومغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المحتاج: ٤٤٢/١٦، وحاشية البجيرمي على الخطيب: ٢٨٥/١٢.
٣- العين، ولسان العرب، وتاج العروس: ط ن ب ر.
٤- تهذيب اللغة: ٤٣٤/٤ ط ن ب ر، والمعرب: ١١٢، القاموس المحيط: ط ن ب ر، وشفاء الغليل: ١٤٧.
٥- تاج العروس: ط ن ب ر.
٦- ينظر: المخصص: ١٣/١٣، الألفاظ الفارسية المعربة: ١١٣، برهان قاطع: ٥١٦، المفصل من الألفاظ الأعجمية: ٥٤.
٧- معجم لغة الفقهاء: ٤٩٥.
٨- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٥٩، وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٧٥.
٩ - الصحاح: (هـ ن د م)، تهذيب اللغة، اللسان، القاموس المحيط، التاج، المعجم الوسيط: (هـ ن د م).
١٠- ينظر: المحيط في اللغة: ١٩٨/٢(خ ز ع ل)، وتاج العروس: (ك ر ب س)، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١١٣،١٩١.
١١ - ينظر: المزهر: ٣٧٤/١، العربية خصائصها وسماتها: ٤٧٥، قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٠٤.

عندهم..."[١]. وزنه "فَيْعُولٌ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالنَّوْرُوزُ لُغَةٌ، وَهُوَ مُعَرَّبٌ وَهُوَ أَوَّلُ السَّنَةِ لَكِنَّهُ عِنْدَ الْفُرْسِ عِنْدَ نُزُولِ الشَّمْسِ أَوَّلَ الْحَمَلِ، وَعِنْدَ الْقِبْطِ أَوَّلَ تُوتٍ، وَالْيَاءُ أَشْهَرُ مِنْ الْوَاوِ؛ لِفَقْدِ فَوْعُولٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ"[٢].

وهو "مُعَرَّبُ نَوْرُوزْ، وَمَعْنَاهُ: الْيَوْمُ الْجَدِيدُ، فَنُو بِمَعْنَى الْجَدِيدِ وَرُوزْ بِمَعْنَى الْيَوْمِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ: يَوْمٌ تَحِلُّ فِيهِ الشَّمْسُ بُرْجَ الْحَمَلِ. وَمِهْرَجَانُ مُعَرَّبُ مهركان، وَالْمُرَادُ مِنْهُ: أَوَّلُ حُلُولُ الشَّمْسِ فِي الْمِيزَانِ، وَهَذَانِ الْيَوْمَانِ عِيدَانِ لِلْفُرْسِ"[٣]، فهو "وقد تكلمت به العرب قديمًا..."[٤]. وقيل: "أصله بالفارسية نيع روز، وتفسيره: جديد يوم"[٥]. من السنة الإيرانية، اليوم الأول من شهر فَرْوَرْدين الذي يعتبر عيدًا وطنيًّا لدى الإيرانيين، ويوافق الحادي والعشرين من شهر آذار من كل سنة، وهو عيدان نَوْروز عامة ونوروز خاصة، وكل عيد ستة أيام[٦].

- **إبدال القاف جيمًا:** ورد ذلك في لفظ واحد. هو:
- **الكرباج:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الكرباج: بكسر الكاف، لفظ معرب، ج كرابيج، السوط"[٧]. "قال سيبويه: والجمع كَرَابَجَةٌ أَلْحَقوا الهاءَ للعُجْمة. قال: وهكذا وُجِدَ أَكثرُ هذا الضَّرْب من الأَعجميّ؛ وربما قالوا: كَرابجُ. ويقال للحانوت: كُرْبُجٌ، وكُرْبُق، وقُرْبُجٌ"[٨]. فالصوت الذي بين الجيم والكاف.. استبدل به – أحيانًا – صوت الجيم العربية، فيقال: الكربج، وأحيانًا صوت الكاف، فيقال: الكربك، وأحيانًا صوت القاف، فيقال: الكُرْبَق[٩].
- **إبدال الزاي شينًا:** ورد ذلك في لفظ واحد. هو الروشن: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الرَّوْشن: بفتح فسكون، لفظ معرب معناه بالفارسية الضوء، ج رواشن، الكُوة"[١٠]. وهو "معرب روْزن"[١١]. وأصل معناه بالفارسية: المضيء، المنير، المصقول، الواضح، والمراد به الكُوة. معناه: جيزمي بَيرونْ أورده براي روشني"[١٢].
- **إبدال حركة بحركة:** كما وقع التعريب في مصطلحات الفقهاء عن طريق إبدال حرف بآخر وقع بإبدال حركة بأخرى حيث تناول "التعريب تغيير في عدد من الصوائت (vowels) سواء أكانت صوائت طويلة (vowelslon)، أم صوائت قصيرة (vowels short)، فالطويلة: الألف، والواو، والياء إذا سبقتا بحركة مجانسة لهما، والقصيرة: الفتحة، والضمة، والكسرة.

أولًا: ما يتعلق بالصوائت الطويلة: له صورتان، هما:

١– إسقاط الصائت الطويل عند التعريب:

ضمت الألفاظ التي نصَّ عليها الفقهاء أنها معربة إسقاط صوت المد عند التعريب؛ تيسيرًا على الناطق، ووصولًا إلى ما يلائم الوزن العربي، وتمييزًا للمعرّب من الدخيل[١٣]. ومن الألفاظ التي وردت في مصطلحات

١ – معجم لغة الفقهاء: ٤٩٠.
٢ – المصباح المنير: ن ر ز، ودرر الحكام: ٢٨١/٦.
٣ – رد المحتاج: ٣٢٩/٧، وحاشيته: ٤١٣/٢، والعناية شرح الهداية: ١٧٥/٩
٤ – المعرب من الكلام الأعجمي: ١٦٠، التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٦٢، الألفاظ الفارسية المعربة: ١٥٢.
٥ – لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس: ن ر ز.
٦ – ينظر: رسالتان في المعرب لابن كمال والمنشي: هامش (٥) ص:٢٠٠.
٧ – معجم لغة الفقهاء: ٣٧٨.
٨– يراجع: لسان العرب، وتاج العروس، والمعجم الوسيط: ك ر ب ج.
٩– ينظر: فقه اللغة د/ علي عبدالواحد وافي: ٢٠٤، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٤٨.
١٠– معجم لغة الفقهاء: ٢٢٨.
١١– التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٩٧، الألفاظ الفارسية المعربة: ٧٣.
١٢– قصد السبيل: ٧٢٦. ورسالتان في المعرب: ١٥٨.
١٣– ينظر: قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٧٤،

الفقهاء، وتدخل في هذا النطاق ما يلي:

– **الْبُسْتَانُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الْبُسْتَانُ: لفظ معرب، الحديقة من النخل ونحوه.."[١]. ووزنه فُعْلانٌ، ومعناه: الْجَنَّةُ "قَالَ الْفَرَّاءُ: عَرَبِيٌّ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رُومِيٌّ مُعَرَّبٌ، وَالْجَمْعُ الْبَسَاتِينُ"[٢]. فلفظ البستان من الألفاظ التي اختلف العلماء في بيان أصلها إلى رأيين:

الأول: ذهب بعض العلماء – وعلى رأسهم الفراء – إلى أن بستان كلمة عربية الأصل، ومعناها الجنة. وقد تكلمت به العرب، قال الأعشى:

يَهَبُ الجِلّةَ الجَراجِرَ كالبسْ
ـــــتَانِ تحنو لِدَرْق أطفالِ[٣]

الثاني: ذهب كثير من العلماء إلى أن اللفظ مُعَرَّبُ بوسِتانْ، لكنهم اختلفوا في تحديد اللغة التي أخذ منها، فقيل: من الرومية، وقيل: من الفارسية، ومعنى "(بُوى)، أي رائحة ذكية، و(سِتان)، أداة تدل على ظرف المكان"[٤] "أي محل.. ومنه – أيضًا – بستان بالتركية والكردية، ومن الفارسي مأخوذ البستان أبروز، وهو: نبات نحو ذراع القضان وفرفيري الزهر، دقيق الأوراق لا ثمر له، ونستان كار وهو ضرب من ألحان الموسيقى يتفرع من الحجاز"[٥]. قال الجواليقي: "ومن لفظ البستان هذا الذي يقال له: (بَسْتٌ) ولم يحك أحد من الثقات كلمة عن العرب مبنية من باء وسين وتاء"[٦]. "ومعناه بحسب الأصل: آخذ الرائحة. وقيل: مجمع الرائحة، كما يقال: هندوستان، ثم خفف، وقيل: ستان هنا ناحية، وخطيء من فسره بغيره وليس بشيء، وهو الحديقة، ويطلق على الأشجار"[٧]. و"مقتضَى تركيبه من (بو) و(ستان) أَنّ يكون آخِذَ الرّائحة...، وهو المعروف في اللِّسان، وسقط الواوُ عندَ الاستعمال، ثم تُوُسِّع فيه حتّى أَطلقوه على الأَشجار"[٨].

فلفظ بستان معرب عن الفارسية، وأصله بُوْ سْتان، ولما أرادوا تعريبه حذفوا منه الواو؛ لالتقاء الساكنين؛ لأنه غير جائز في العربية، وجائز في غيرها من اللغات، ومن ثم فعندما يلتقي ساكنان في معرّب لابد من إزالته عند التعريب بحذف أحد الساكنين.

– **البَيدر**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "البيدر: بفتح الباء وسكون الياء... لفظ معرب، الموضع الذي يجمع فيه الحب"[٩]. وهي "أرامية (بِيت إِدرا) بمعنى أي موضع تُدرس فيه الحنطة"[١٠] والشعير معرب باي در أي الرجل الساحقة الدائسة"[١١].

– **الخز**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الخز والقز والقهْز لغات فيه: لفظ معرب، ضرب من الثياب، وفيه أقوال: قيل: ثوب نسج من الصوف والحرير أو من الحرير فقط * النسيج الذي سداه الحرير الخالص ولحمته غيره"[١٢]. ومنه حديث على "أنه نَهَى عن رُكُوب الخَزّ والجلوس عليه"[١٣]. قيل: أراد به الخز المعروف الآن وهو المصنوع جميعه من الحرير، وقال

١٧٥.

١- معجم لغة الفقهاء: ١٠٧.

٢- المصباح المنير: ب س ت، وتحرير ألفاظ التنبيه: ١٨٣، والمطلع على أبواب المقنع: ٢٣١، ومغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج: ١٠٣/٧، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج: ١٨/ ٢٧٧، وحاشية البجيرمي على الخطيب: ٣٦/١١.

٣- البيت من بحر الخفيف ديوانه: ٥٩، وجمهرة اللغة، وتهذيب اللغة، ولسان العرب: ج ر ر، ب غ ا.

٤- تفسير الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية: ١١.

٥- الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٢، ٢٣.

٦- المعرب: ٣٢، ٣٣، وينظر: لسان العرب، والقاموس، وتاج العروس: ب س ت، ورسالتان في المعرب: ١٤٣.

٧- شفاء الغليل: ٤٠.

٨- تاج العروس: (ب س ت).

٩- معجم لغة الفقهاء: ١١٢.

١٠- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ١٥.

١١- الألفاظ الفارسية المعربة: ٣٢.

١٢- معجم لغة الفقهاء: ١٩٥، وينظر: تبين الحقائق شرح كنز الدقائق: ٣٤٨/١٦، والبحر الرائق: ٦٥/١٦.

١٣- النهاية في غريب الحديث والأثر: ٧٤/٢.

في المغرب: الخز اسم دابة، ثم سُمي الثوب المتخذ من وبرها خزًّا.. وقال فرنكل: إن هذه اللفظة إما فارسية أو أرامية.. قلت: والأرجح أنها معربة عن خاز بالفارسية، وهو ثوب منسوج بغاية الإتقان والإحكام، أو عن خَز، وهو الثوب المنسوج من الحرير أم القز بمعنى الحرير أو ضرب منه، فهو معرب عن كز، وهو الإبريسم الغير المشغول، أما الأكراد فيطلقون اسم كز على المرعز"[١]. "والظاهر أن اللفظة صينية حيث منشأ دود القزّ"[٢].

٢- إضافة صائت طويل:

قد يلجأ العربي عند تعريب لفظ ما إلى إضافة صائت طويل يقتضيه الوزن كما في: دملوك وتبل اللتان عربتا إلى: دمالوك، وتابل، لكن هذه الصور لم تأت في معجم لغة الفقهاء محل الدراسة.

ثانيًا: ما يتعلق بالصائت القصير:

قد يكون التعريب المتعلق بالصوائت حذفًا للصائت وإحلال السكون محل الصائت القصير، أو إبدال حركة قصيرة محل حركة قصيرة أخرى، وقد جاء هذا بإحلال الكسرة فتحة، وبإحلال الضمة محل الفتحة، وإليك البيان والتفصيل:

- **إبدال الفتحة كسرة:** وردت ألفاظ أعجمية محركة بالكسر، وعندما أراد العرب تعريبها وإخضاعها لنظامهم أبدلوا الكسرة فتحة، وذلك في ألفاظ سبعة، هي:
- **الأبْرِيْسَمُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الإبريسم: بكسر الهمزة والراء وفتح السين. لفظ معرب، أجود أنواع الحرير، أو الحرير المنقوض قبل أن تخرج الدودة من الشرنقة"[٣]، فهو "أعجمي معرب بفتح الألف والراء، وقال بعضهم: إبريسم بكسر الألف وفتح الراء. وترجمته بالعربية: الذي يذهب صُعُدًا، قال ذو الرمة:

كـأنَّمـا اعتَمَّـتْ ذُرَى الأجيـالِ
بـالقَزِّ والإبريســـم الهَـلْهَـال"[٤]

وقيل: أصل الإبريسم - بفتح الهمزة أو كسرها - الأبْرِيْشُم[٥]. وفيه لغات: "فتح السين وضمها، فتح الهمزة والراء، كسر الهمزة وفتح السين، كسر الهمزة والسين والراء، ومنعها ابن السكيت؛ لأنه ليس في كلام العرب إفعِليل بكسر العين واللام، فإن لقب به رجل انصرف؛ لأن العرب أعربته في نكرته وأدخلت عليه الألف واللام وأجرته مجرى ما أصل بنائه لهم، وكذلك الفرند، والديباج، والراقود، والشهريز، والآجر، والنيروز، والزنجبيل[٦].

- **البرسام:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "البرسام: بكسر الباء، لفظ معرب، ورم في الدماغ يتغير منه عقل الإنسان فيهذي، ويقال لمن ابتلي به: "مبرسم"[٧]. وهو "فارسي مركب من (بَر)، أي صدر و(سام) أي التهاب"[٨]، وقالوا فيه: بَرْسَم وبُرْسِم وبَلْسَم"[٩].
- **إبراهيم:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "قال الماوردي معناه بالسريانية أب رحيم: قال الجواليقي وغيره:

١- الألفاظ الفارسية المعربة: ٥٤.
٢- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٢٤.
٣- معجم لغة الفقهاء: ٣٩، ١٠٦، ٤٠٠، وينظر: المغرب: ٧١/١، وتحرير ألفاظ التنبيه: ٨٣، والمطلع على أبواب المقنع: ٢٩٢، ٣٥٢، والمصباح المنير: ب ر س م، والتوقيف على مهمات التعاريف: ١٢٤، والمجموع: ٤٣٧/٤، ورد المحتاج: ٢٧٦/١٩، والتوقيف على مهمات التعاريف: ١٢٤، والقاموس الفقهي: ١١.
٤- المعرب: ٢٠، وجمهرة اللغة: ١٨١/٢، ولســـان العرب، والقاموس المحيط، وتاج العروس، والمعجم الوسط: (ب ر س م)، وشفاء الغليل: ٣٩، والألفاظ المعربة والدخيلة في شعر الجاحظ: ٩، والبيت من الرجز ديوانه: ٢٧٨، والمعجم المفصل: ٤٠٢/١١.
٥- ينظر: رسالتان في المعرب: ١١٢.
٦- ينظر: تاج العروس: (ب ر س م).
٧- معجم لغة الفقهاء: ١٠٦، ٤٠٠.
٨- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٩.
٩- الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٠.

أسماء الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليه – كلها أعجمية إلا محمدًا وصالحًا وشعيبًا وآدم"[١]. ف "إبراهيم اسم قديم ليس بعربي. وقد تكلمت به العرب على وجوه، فقالوا: إبراهيم "وهو المشهور و"إبراهام" قرأ ابن عامر وابن الزبير وغيرهما "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِامَ"[٢]، و"إبراهَمُ" وإبراهُم على حذف الياء، و"إبْرَهَم" – بحذف الألف وفتح الهاء، وعلى هذا لا يكون إبراهيم معربًا..."[٣]. "وقيل: معناه قبل النقلِ: أبٌ رحيمٌ"[٤] "إبراهيم بلغة توافق السريانية"[٥]. هذا وإبراهيم معربة عن العبرية وأصله (ابرام) وهو لغة في (أبرام) ومعناه: الأبّ، رفيع أو عال. أو الأب في الأعالي[٦]، والهمزة في الأصل مفتوحة إلا أنها كسرت عند التعريب، وقلبت الألف ياء احتذاءً بإسماعيل وإسرائيل[٧].

- **الزِّرْنِيخُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الزرنيخ: – بكسر الزاي – لفظ معرب، حجر كثير الألوان، يخلط بالكلس فيحلق الشعر"[٨]. "وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ"[٩]، "زَرْنيخ بالفتح"[١٠] وقيل: "معرب زرنه"[١١] و"معناه شياطين وجان "وديوانه" معناه مجنون أي الشيطان حال فيه فقد نقل من الفارسية إلى الأرامية "ديوا" ومعناه شيطان ثم نقل على سبيل المجاز؛ ليدل على كتاب القوانين والحسابات ومجلس العمال"[١٢]. وهو "يوناني (ARSENIKON) معناه مذكر وهو مادة صلبة شبيهة بالمعدن لونها أبرش بصاص وهو عنصر بسيط أما تعريفه في كتب اللغة بأنه حجر له ألوان كثيرة ففيه نظر"[١٣] وهو "تعريب زَرْيَ"[١٤].
- **الفهرس**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الفهرس: بكسر الفاء والراء وسكون الهاء لفظ معرب... ملحق يذكر فيه محتويات الكتاب من الموضوعات والأعلام ونحو ذلك مرتبة ترتيبًا خاصًا"[١٥] و"اللفظة فارسية وفارسيتها بكسر الفاء وإسكان الهاء وكسر الراء المهملة تليها سين مهملة ساكنة ثم مثناة فوقية ساكنة أيضًا ومعناه إجمال الأشياء؛ لتعديد أسمائها وحصرها مطلقًا على الترتيب. ثم إنهم عربوه فقالوا: فهرس يفهرس فهرسة كدحرج"[١٦] فهو "ليسَ بعَرَبِيٍّ مَحْضٍ ولكنَّه مُعَرَّبٌ... فِهْرِسْت. وقَد اشْتَقُّوا منه الفِعْلَ فقالوا: فَهْرَسَ كِتَابَهُ فَهْرَسَةٌ"[١٧] أو هو تعريب عن فِهْرَسْت[١٨] بفتح الراء.
- **النَّرْدُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "النَّرْدُ: بفتح فسكون لفظ مُعَرَّبٌ: لعبة تعتمد على الحظ، ذات صندوق وحجارة وزهرين وينتقل فيها الحجارة حسبما

١- تحرير ألفاظ التنبيه: ٧١.
٢- روح البيان: ١/ ١٧٦. روح المعاني: ١/٣٧٤. إتحاف فضلاء البشر: ١/ ٢٧٣.
٣- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي: ١٢، شفاء الغليل: ١٢.
٤- الدر المصون: ٢/٤، اللغات في القرآن: ١، المهذب: ١، وتعريب الكلمة الأعجمية: ١٢٠.
٥- اللغات في القرآن: ١.
٦- قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها: ١٩.
٧- ينظر: المعرب والدخيل في اللغة العربية. د/ عبدالرحيم عبدالسبحان: ٣، المعرب في القرآن الكريم دراسة تأصيلية دلالية: ١٤٨.
٨- معجم لغة الفقهاء: ٢٣٢ .
٩- المعرب: ٨٩، لسان العرب، المصباح المنير، تاج العروس: ز ر ن خ، المطلع على أبواب المقنع: ١٣٣، شفاء الغليل: ١١٤.
١٠- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٤٥.
١١- أقرب الموارد: ١/٣٢١.
١٢- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٣٠.
١٣- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٣٢.
١٤- الألفاظ الفارسية المعربة: ٧٩.
١٥- معجم لغة الفقهاء: ٣٥٠.
١٦- شفاء الغليل: ١٧٤.
١٧- تاج العروس: ف ه ر س، ف ذ ل ك، وينظر: لسان العرب، والقاموس المحيط: ف ه ر س، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٧٠.
١٨- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٢٢.

يأتي به الزهران، وتعرف اليوم بـ"الطاولة"[١]. "وَيُقَالُ لَهُ: النَّرْدَشِيرُ بِفَتْحِ الدَّالِ وَكَسْرِ الشِّينِ وَالشَّيِّرُ اسْمُ مَلِكٍ وُضِعَ لَهُ النَّرْدُ ... قِيلَ: إنَّ الشَّيِّرَ مَعْنَاهُ الْحُلْوُ، وَفِيهِ نَظَرٌ قَالُوا: هُوَ مِنْ مَوْضُوعَاتِ سَابُورَ بْنِ أَرْدَشِيرَ ثَانِي مُلُوكِ السَّاسَانِيَّةِ وَهُوَ حَرَامٌ مُسْقِطٌ لِلْعَدَالَةِ بِالإِجْمَاعِ قُهُسْتَانِيٌّ[٢]، وهو "في الفارسية (نَرد) وهو لعبة اخترعها أردشير ملك الفرس أو بزرجمهر أو غيرهما، وتعرف عند العامة بلاعبة الطاولة"[٣]. وفي الحديث "مَن لَعِب بالنَّرْدَشِير فكأنما غَمَس يَدَه في لحم خنزير"[٤]. و"مَثَلُ الَّذِى يَلْعَبُ بِالنَّرْدِ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى مَثَلُ الَّذِى يَتَوَضَّأُ بِالْقَيْحِ وَدَمِ الْخِنْزِيرِ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى"[٥]. و"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى قَدْ كَلَّمْتُكُمْ فِى هَذَا النَّرْدِ وَلَمْ أَرَكُمْ أَخْرَجْتُمُوهَا وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحُزَمِ الْحَطَبِ ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى بُيُوتِ الَّذِينَ هِىَ فِى بُيُوتِهِمْ فَأُحَرِّقَهَا عَلَيْهِمْ"[٦]. وهنا فقد يحدث أن تستعير أمة من أمة أخرى نوعًا من ألعابها، وتستعير معه الألفاظ الأجنبية التي تصطنع فيه. فقد استعرنا لعبة النرد من الفرس واستعرنا معها طريقة الفرس في العدّ كاليك والدوه...[٧]. ولعلنا ندرك أثر الاستعارة في تطور الدلالة.

- **الْهِمْيَانُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء: "الْهِمْيَانُ: بكسر الهاء. لفظ معرّب... كِيسٌ تُجْعَلُ فِيهِ النّقود وَيُشَدُّ عَلَى الْوَسَطِ"[٨] "قَالَ الأَزْهَرِيُّ: وَهُوَ مُعَرَّبٌ دَخِيلٌ فِي كَلامِهِمْ، وَوَزْنُهُ فِعْيَالٌ، وَعَكَسَ بَعْضُهُمْ فَجَعَلَ الْيَاءَ أَصْلا وَالنُّونَ زَائِدَةً فَوَزْنُهُ فِعْلانٌ"[٩] وهو "في الفارسية (هَميان). "وقد سمَّت العرب (هُمْيان) وهو هُمْيان بن قُحافة السَّعْديّ أحد الزُّجاز"[١٠] "قال ابن دريد: "أحسبه فارسيًا معربًا"[١١]"من هَمْيان"[١٢]، وقد ورد في كلام العرب، قال الحارث بن حلزة:

يحبوك بالزغف الفيوض على
.:.
هميانها والأدم كالغرس[١٣]

ومنه الحديث: "إن يوسف حل الهميان، وقعد منها مقعد الخاتن"[١٤].

- **إبدال الضمة كسرة**: ورد ذلك في لفظ واحد.هو:
- **الْمِسْكُ**، جاء في معجم لغة الفقهاء: "المسك: بكسر فسكون لفظ مُعَرَّبٌ كانت الْعَرَبُ تُسَمِّيهِ الْمَشْمُومَ، وهو أطيب من دم الغزال..."[١٥]. و"أَفْضَلُ الطِّيبِ"[١٦] "فارسي"[١٧] مُسْك بالضمِّ

١- معجم لغة الفقهاء: ٤٧٧، ينظر: المصباح المنير: ن ر د، والمطلع على أبواب المقنع: ٤٠٩، والقاموس الفقهي: ٣٥٠، وأسنى المطالب: ٤١٤/٢٢، ونيل الأوطار: ٤١٧/١٢.
٢- رد المحتاج: ٤٩٥/٢٦، والبحر الرائق: ٢١٩/١٣، وفتاوي الأزهر: ١٦٣/١٠.
٣- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٧٣، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية : ١٣٥.
٤- ينظر: المعرب: ١٥٧، ولسان العرب، والقاموس، وتاج العروس: ن ر د، وشفاء الغليل: ٢٠٦، والتعريب في الثقافتين العربية والفارسية: ١٤٧، والألفاظ الفارسية المعربة: ١٥١، والحديث في مسند الإمام أحمد ٣٥٢/٥، والنهاية: ٤/ ١٣٦.
٥- مسند الإمام أحمد ٣٧٠/٥، حديث رقم: ٢٣١٨٧، وشعب الإيمان: ٢٤٠/٥، حديث رقم: ٦٥١٥.
٦- السنن الكبرى: ٢١٥/١٠، حديث رقم: ٢٠٧٤٥، ومنتخب كنز العمال: ١٧٥/٦، ينظر: القاموس المحيط: (ن ر د)، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ١٥٣.
٧- دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس: ١٥١، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م.
٨- معجم لغة الفقهاء: ٤٩٥.
٩- المصباح المنير: هـ م ن، والمطلع على أبواب المقنع: ١٧١، والقاموس الفقهي: ٣٥٦.
١٠- المعرب للجواليقي: ١٦٣، وينظر: جمهرة اللغة، تهذيب اللغة، اللسان، القاموس: هـ م ي، شفاء الغليل: ٢٣٤، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٧٥.
١١- لسان العرب: هـ م ي.
١٢- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٥٨.
١٣- البيت من من مجزوء الكامل، وهو في ديوانه: ٥٤.
١٤- غريب الحديث لابن قتيبة: ١٤٩/٢، والنهاية: ٦٤١/٥.
١٥- معجم لغة الفقهاء: ٤٢٨.
١٦- المصباح المنير: م س ك، وتحرير ألفاظ التنبيه: ٤٠، ومنح الجليل شرح مختصر خليل: ٦٨/١، والمطلع على أبواب المقنع: ١٧٢، وتحفة المحتاج: ٢١٥/٣، ومغني المحتاج: ٣٤٧/١، والإقناع: ٦٤/١٤، والقاموس الفقهي: ٣٣٨.
١٧- المعرب: ١٥٣، وينظر: المزهر: ٨٦/١، والقاموس: م س ك، وشفاء الغليل: ٢٠٦، ورسالتان في المعرب: ١١٢.

وسُكُونِ المعْجَمة، فهو "ليس بعربي محض "وكانَت العَرَبُ تُسَمِّيه المِشْمُومَ"[١]، وقيل: "اللفظ عربي لكثرة اشتقاقه"[٢] وقد تكلمت به العرب، قال الأعشى:

بـادَ الـعـتـادُ، وفـاحَ ريـ
ـــحُ المســكِ، إذْ هجمتْ قبابهْ[٣]

كما ورد في شعر عدي بن زيد، وأبي الذيّال اليهودي، وجرير، وجِرانِ العَوْدِ، ونُصَيْب بن رَباح.[٤]

قال تعالى: "خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"[٥]، وفي الحَدِيثِ "أَطْيَبُ الطِّيبِ المِسكُ"[٦]، و"المسك فارسيته مُشگ. قال في منتهى الأرب مِسك بالكسر مُشْكْ فارسي اسْت معرب"[٧].

والحقيقة أنه سنسكريتي، ولفظه فيها مشكا[٨]. دخلت الفارسية مُشگ، ومنها دخلت إلى الآرامية (muska)، ومنها عربت بعد إبدال الشين سينًا كما دخلت هذه الكلمة في كثير من اللغات الأوربية فهي: (uooxos) باليونانية، و(muscus) باللاتينية، ومنها (musk) بالإنجليزية، و(musc) بالفرنسية[٩]. فهو موجود في العربية والفارسية والسنسكريتية وفروعها... فإذا عرفنا أن المسك يحمل إلى العالم من توكين وتبت ونيبال والصين، وأن الهنود القدماء كانوا يحملون الطيب إلى الأمم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب، ترجح عندنا أن العرب أخذوا هذه اللفظة عن الهنود، كما أخذها الفرس منهم... أو هي في الفارسية باعتبار أنها فرع من السنسكريتية كما هي في الإنجليزية بطريق التفرع، وكما هي في اللاتينية؛ لأنها أخت السنسكريتية، ومن اللاتينية انتقلت إلى الفرنسية؛ لأنها فرع من اللاتينية"[١٠].

التغيير لإزالة البدء بالسكون (تحريك الساكن):

قد يبدأ المعرب بالسكون وهو ما يقبله كثير من اللغات، وترفضه العربية فغيروه إما بزيادة همزة متحركة في بداية الكلمة أو بتحريك الساكن ومما ورد من هذا النوع ما يلي:

- **الْخِوَانُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الخوان ما يوضع عليه الطعام ليؤكل فارسي معرب"[١١]، وأصله (xvan) بالفهلوية فلما أريد تعريبه حرك أوله لإزالة البدء بالسكون، ومنه قوله (ﷺ): "... حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خِوَانِهِمْ..."[١٢] و"أصل معناه ما يؤكل أي طعام مشتق من خوردن أي أكَل، ثم ما يوضع عليه الطعام ليؤكل من سماط أو ملاءة أو ريطة أو صينية، وفي أيامنا مائدة أي لوحة ذات أربع قوائم وكانوا يبسطون جلدًا تحت الخوان أي السماط يقال له: سُفرة"[١٣]. وهو "أعجمي معرب، وقد تكلمت به العرب قديمًا"[١٤] قال عدي:

زَجَـلٌ عَـجـزُهُ يُـجـاوِبُـهُ دُف
ف لِـخُـوانٍ مَـأدوبَـةٍ وَزَمَـيـرُ[١٥]

١- الصحاح، وتهذيب اللغة، ولسان العرب، وتاج العروس: م س ك.
٢- هامش المعرب رقم: ٧ ص: ١٥٣.
٣- البيت من مجزوء الكامل، وهو في ديوانه:٣٣، ٥٤، ٥٥.
٤- ديوانه: ٢٣. طبقات فحول الشعراء: ٢٩٣/١. ديوانه: ٢٣٤، وجمهرة اللغة، والصحاح: ب ذ ل، ديوانه: ٤٠، والأغاني: ٣٠٤/٢٢.
٥- المطففين: ٢٦.
٦- سنن الترمذي باب ماجاء في المسك للميت: ١٠٥/٤، وسنن النسائي باب المسك: ٤٧١/٦.
٧- المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٥،٧٥.
٨- اللغة العربية كائن حي: ١٧.
٩- ينظر: التطور النحوي للغة العربية: ٢١٥، والمعرب والدخيل في اللغة العربية: ٤٨٠.
١٠- اللغة العربية كائن حي: ٤١، والمعرب في القرآن الكريم دراسة تأصيلية دلالية: ٣٠٢.
١١- معجم لغة الفقهاء: ٢٩. وينظر: المصباح المنير: خ و ن، والقاموس الفقهي: ١٢٥.
١٢- مسند الأمام أحمد: ٣٢١/١٢، حديث رقم: ٧٩٣٧، والنهاية: ١٨٣/٢. ٤/ ٨٩، وسيرة ابن هشام: ٦٥/١.
١٣- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٢٥.
١٤- المعرب: ٦٧.
١٥- البيت من بحر الخفيف، وهو في ديوانه:٨٥، ومقاييس اللغة:(أ د ب).

"وقال الشاعر:

كثيرٌ إلى جَنْبِ الخِوَانِ ابْتِرَاكُهُ[١]

وحكي عن ثعلب أنه قال، وقد سئل: أيجوز أن يقال: إن الخِوان إنما سمي بذلك؛ لأنه نتخون ما عليه، أي نتنقص؟ فقال: ما يبعُدُ ذاك. والصحيح أنه معرب"[٢] "خَوان، وأصل معناه: الطعام والوليمة"[٣]، ثم اتسع معناه عن طريق المجاز فأصبح يطلق على الذي يؤكل عليه.

– **الْمَرْزُبَانُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الْمَرْزُبَانُ: بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي. لفظ مُعَرَّبٌ... وهو عند الفرس: الرئيس دون الملك في المرتبة"[٤]. "وَيُقَالُ لِلأَسَدِ: مَرْزُبَانُ الزَّأْرَةِ عَلَى الاسْتِعَارَةِ؛ لأَنَّ الزَّأْرَةَ الْأَجَمَةُ وَهِيَ فَعْلَةٌ مِنْ زَئِيرِ الأَسَدِ وَهُوَ صِيَاحُهُ"[٥] وهو فارسي "مركب من مرْز وبان، حافظ الحدود وحارس التخوم"[٦] مرز بالفارسية: حدود البلاد، وبان: الحامي والحارس. "وقد تكلمت به العرب...أنشدني أبو زكريا لجميل:

وأنتِ كَلُؤْلُؤَةِ المَرْزبانِ
بماءِ شبابيكِ لم تُعْصَرِ[٧]

وقال أوس في صفة أسدٍ:

كالمَرزُبانيِّ عيَّالٌ بآصالِ[٨]

وقال أبو الصلت الثقفي في وصف الفرس:

غُرٌّ جَحاجِحَةٌ بيضٌ مَرازِبَةٌ
أَسدٌ تُرَبِّبُ في الغُيضاتِ أَشبالا[٩]

وقال عدي بن زيد في المرازب:

بعدَ بَنِي تُبصعٍ نَخَاوِرَةً
قد اطمأنتْ بها مَرَازبُها"[١٠]

وقال أمية بن أبي الصلت:

ماذا بِبَدْرٍ والعَقَنْقَلِ
مِنْ مَرَازِبةٍ جَحَاجحْ

ومنه حديث "أتيتُ الحِيرةَ فرأيتُهم يسجدون لمَرْزُبانٍ لهم" وحديث "كَانَ أَنُوشِرْوَانُ يَكْتُبُ إِلَى مَرَازِبَتِهِ: عَلَيْكُمْ بِأَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – "وتفسيره بالعربية: حافِظُ الحَدّ"[١١].

- **لزيادة:** وردت ألفاظ تصرف فيها العرب عند تعريبها بالزيادة على الأصل الأعجمي وتكون الزيادة إما بالقاف، أو الجيم في آخر اللفظ وغالبًا ما يكون في الكلمات المنتهية بالهاء، أو بالواو، أو الهمزة منها:

- **يادة الجيم:** ورد ذلك في لفظين، هما:

– **لدِّيبَاجُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "الديباج: بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا – لفظ معرب، الثوب الذي سَدَاهُ وَلُحْمَتُهُ من الحرير.."[١٢]. قال الجواليقي: "والديباج معرب (ديبا). وقد تكلمت به العرب قال مالك بن نويرة:

١- شطر البيت من بحر الطويل .
٢- المعرب: ٦٧، وينظر لسان العرب، والقاموس، وتاج العروس: خ و ن، والمزهر: ٢٧٣/١، وشفاء الغليل: ٨٧.
٣- الألفاظ الفارسية المعربة:٥٨، والمعجم الذهبي:٢٤٤، وبرهان قاطع:٧٨٣.
٤- معجم لغة الفقهاء: ٤٢١.
٥- المغرب: ر ز ب، والمجموع: ٥٩٨/٢، والمحلي: ٣٣٦/٧، والمحلى: ٣٣٦/٧.
٦- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٥، وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٦٩، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ٢٠٠.
٧- البيت من بحر المتقارب، وهو في ديوانه: ٥٨.
٨- عجز البيت من بحر البسيط وصدره: لَيثٌ عَلَيهِ مِنَ البَرْدِيِّ هِبرِيَةٌ، وهو في ديوانه: ١٠٥.
٩- البيت من بحر البسيط، وهو في سيرة ابن هشام: ٦٨/١.
١٠- المعرب: ١٥٠، ١٥١، وشفاء الغليل: ٢٠٧، والبيت من بحر المنسرح ينظر: ديوانه: ٤٧، وتهذيب اللغة: ٣٤٥/٧، وشعراء الجاهلية: ٤٥٧، ولسان العرب: ن خ ر، والمعجم المفصل: ٢١٢/١.
١١- ينظر: النهاية: ٤/ ٨٩، وسيرة ابن هشام: ٦٥/١.
١٢- معجم لغة الفقهاء: ٢١٢، وينظر: المصباح المنير: د ب ج، وتحرير ألفاظ التنبيه: ٨٤، والمجموع: ٤٣٥/٤، تحفة المحتاج في شرح المنهاج: ٥٥/١٠، والقاموس الفقهي: ١٢٨.

ولا ثيابُ مِنَ الدِّيباج تَلْبَسُهَا
هي الجِيادُ وما في النفس من دبَبِ[١]

قال الأُحَيمِر السعدي:

وَيَترُكو الخَزَّ وَالديباجَ يَلبَسُهُ
بيضُ المَوالي ذَوو الأعناقِ وَالعُكَنِ[٢]

"وأصل الديباج بالفارسية "دِيوْ بَافْ أي نِسَاجَةُ الجِنِّ"[٣]، وقيل: "إن ديبا مركب من ديو أي جن، وباف أي نسيج، وقالت فيه: العرب دبَج، أي نقش، ودبّج أي زين، والدبّاج والديباجة إلى غير ذلك"[٤]، والصحيح أنه معرب "ديبا"[٥]. فأصله الفارسي ديبا ثم أضافوا إليه حرف الجيم عند التعريب، فقالوا: ديباج.

- **السَّفْتَجَةُ:** جاء في معجم لغة الفقهاء: "السفتجة: بفتح السين – وقيل بضمها – والتاء بينهما فاء ساكنة لفظ مُعَرَّبٌ... وتعرف اليوم بالحوالة المالية، وهي: دفع شخص ماله في بلد لشخص آخر ليقبضه من وكيله في بلد آخر، درءًا لخطر الطريق ومؤنة الحمل"[٦]. وهو "فَارِسِيٌّ"[٧]. وَيُسَمِّيهِ التُّجَّارُ الآنَ بوليصة، وَكِلاهُمَا لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ"[٨] و"أَصْلُهُ سُفْتَةٌ: وَهُوَ الشَّيْءُ الْمُحْكَمُ، سُمِّيَ هَذَا الْقَرْضُ بِهِ لِإِحْكَامِ أَمْرِهِ"[٩] "وأصلها أنْ يكون لواحد متاع ببلد عند رجل أمين فيأخذ من آخر عوض ماله ويكتب له خوفًا من غائلة الطريق"[١٠] وهو "فارسي (سُفتَه) – وقد أخذ منه العرب الفعل والمصدر فقالوا: سفتج سفتجة – معناه مثقوب، وفي الجرمانية ZETTEL معناه حوالة"[١١].

– زيادة الياء، ورد ذلك في لفظ واحد هو:

البازي: جاء في معجم لغة الفقهاء: البازي معرب... من جوارح الطير يصاد به"[١٢] وهو ضرب من الصقور وهو أشد الجوارح تكبّرًا وأضيقها خلقًا يوجد بأرض الترك ويؤخذ للصيد فارسيته باز وتركيته طوغان"[١٣].

٢– التعريب على المستويين الصرفي والنحوي

أ – التعريب على المستوى الصرفي:

يتمثل المعلم البنائي (الصرفي) في خروج الكلمة على ما هو مألوف مشهور في أبنية كلام العرب ومجيئها على وزن ليس من أصول أوزان كلامهم[١٤]. قال سيبويه لما أرادوا تعريبه ألحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية"[١٥].

أي أنهم غيروا الأبنية التي لا توافق الأبنية العربية واستبدلوا بها أبنية العربية، وذلك بتعديل البناء الأعجمي بحذف أو زيادة أو بإبدال حركة بحركة أو تحريك ساكن أو إسكان متحرك.غير أن هذا التغيير لم يتيسر في جمع الكلمات بل هناك كلمات لا تقبل التغيير؛ والتعديل لكون بنائها بعيدًا كل البعد عن البناء العربي، مثل: خراسان حيث فعالان ليس من الأوزان العربية ولا يمكن تعديله فتركوه على حاله[١٦].

١– البيت من بحر البسيط ينظر: الجيم: ٢٧٥/١، والمعجم المفصل: ٣٨٣/١.
٢– البيت من بحر البسيط، وهو في ديوانه: ١٣٨.
٣– المعرب: ٧٢، ولسان العرب، وتاج العروس: د ب ج، وشفاء الغليل: ٤، ٩٤، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٦١.
٤– الألفاظ الفارسية المعربة: ٦٠، والمعرب: ٧٣، وبرهان قاطع:٩٠٨، والمعجم الذهبي: ٦٨٦.
٥– المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ٣٧.
٦– معجم لغة الفقهاء: ٢٤٥
٧– المصباح المنير: س ف ت ج، والعناية شرح الهداية: ١٩٩/١٠، والقاموس الفقهي: ١٧٣ .
٨– مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: ٥٤/١٠.
٩– رد المحتاج: ٢٥٤/٢١.
١٠– شفاء الغليل: ١٢٩.
١١– تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٣٥، والألفاظ الفارسية المعربة: ٩٠، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٢١.
١٢– معجم لغة الفقهاء: ١٠٢.
١٣– الألفاظ الفارسية المعربة: ١٥.
١٤– ينظر: قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة ا. د / أحمد عبد التواب الفيومي: ٤٥.
١٥– الكتاب: ٣٠٤/٤.
١٦– السابق: ٣٠٤/٤.

– **إدخال أل**: تبدأ بعض الكلمات المعربة بالألف واللام وهما من بناء الكلمة غير أنهم اعتبروهما أداة التعريف وحذفوهما عند التعريب، ومما ورد من هذا النوع في مصطلحات الفقهاء لفظ السندان: جاء في معجم لغة الفقهاء: "**السندان**: بفتح أوله وسكون ثانيه لفظ معرب، الآلة التي يطرق الحداد عليها الحديد، أو الاسكاف الجلد.وقولهم: بين المطرقة والسندان، أي: بين أمرين كلاهما شر..."[١] فهو "ما يضرب عليه بالمطرقة معرب وفي كلام العامة وأمثالها: قد كان مطرقة وصار سندانا"[٢] "فارسيته سِنْدان، ومنه سندان بالتركية والكردية"[٣].

– **الاشتقاق**: إذا أردنا أن نبين الأصل الاشتقاقي للفظ المعرب، إما أن ندعي أن الأصل عربي أو أعجمي، فإذا ادعينا أن اللفظ المعرب مأخوذ عن أصل عربي, فهذا ادعاء باطل "لأن اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى, مواضعةً كانت في الأصل أو إلهامًا"[٤].

ولا نستطيع أن ندعي أن لفظا مشتقا من أصل عربي إلا إذا تحقق فيه شرطان "أن العرب تكلموا به باللفظ، وأن معناه له علاقة اشتقاقية بمعنى اللفظ الذي ادعينا أنه المأخذ (المشتق منه)، ونقصد بالعلاقة العلمية أن تكون علاقة حقيقية على نمط سائر العلاقات المعتد بها بين المشتقات ومآخذها، لا علاقة تخييلية تقوم على المهارة الكلامية"[٥].

أما إذا ادّعينا أن اللفظ المعرب مأخوذ عن لفظ أعجمي آخر فهذا ليس من شأننا، وقيمة هذا ترجع إلى تحقيق أعجمية اللفظ، وهذا شأن مؤرخ المفردات أو يندرج تحت علم متن اللغة (Etymology).

هذا بالنسبة لغير الأعلام، أما الأعلام المعرَّبة، فلا تشتق ففي المزهر " فجملة الجواب أن الأعجمية لا تُشْتَقُّ"[٦] يقصد الأعلام الأعجمية.

يجوز لنا أن نشتق من المصطلحات أو الألفاظ المعربة كأن نستخرج منها فعلًا أو اسم فاعل أو مصدرًا..إلخ , واستعمال العرب أنفسهم يؤيد ذلك "ألا تراهم قالوا في اللجام– وهو معرب لغام.. – قالوا في جمعه:لُجُم, فهذا كقولك:كتاب وكتب, وقالوا:لُجَيِّم في تصغيره كقولك:كتيب، ويصغرونه مرخمًا لُجَيْمًا، فهذا يدل على حذف زائده.. ويشتق منه الفعل أمرًا وغيره، فتقول: ألْجِمه وقد ألجمه، ويؤتى للفعل منه بمصدر وهو الإلجام والفرس مُلْجَم"[٧].

وقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا الاشتقاق تنظيرًا وتطبيقًا، أما على الجانب النظري فقد وضع بعض القواعد للاشتقاق من الاسم الجامد المعرَّب–على سبيل المثال– ونصه:"ويشتق الفعل من الاسم الجامد المعرَّب الثلاثي على وزن (فَعَّل) بالتشديد متعديا, ولازمه (تفعَّل), ويشتق الفعل من الاسم الجامد المعرَّب غير الثلاثي على وزن (فعلل)، ولازمه (تفعلل)، وفي جميع هذه المشتقات يقتصر على الحاجة العلمية, ويعرض ما يوضع منه على المجمع للنظر فيه"[٨].

وأما على الجانب التطبيقي فنجد في مصطلحات الفقهاء أمثلة كثيرة جدًا للألفاظ المعربة، اشتقوا منها أفعالًا ومصادر وغيرها منها ما يلي:

١– معجم لغة الفقهاء: ٢٥١.
٢– شفاء الغليل: ١٢٥، وبرهان قاطع: ٤١٥.
٣– الألفاظ الفارسية المعربة: ٩٦، ومنتهى الأرب: ١/١٠٠، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ١٧٨.
٤– المزهر: ١/٢٧٦، ٢٧٧.
٥– علم الاشتقاق: ١٧١.
٦– المزهر: ١/٢٩٢٧.
٧– السابق: ١/١/٢٨٧، ٢٨٨.
٨– مجموعة القرارات: ١٩.

– **درهم** : جاء في معجم لغة الفقهاء: "حكى أبو علي عن ابن الأعرابي أظنه قال: درهمت الخُبَّازي أي صارت كالدراهم فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجمي، وحكى أبو زيد رجل مدرهم قال: ولم يقولوا منه دُرْهِمَ إلا أنه جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل في الكف ولهذا أشباه... ولكن العرب إذا اشتقت من الأعجمي خلَّطت فيه"(١). أي قاربوا فيه إلى حد كبير دون تعنت للنفس في إعادة صياغته ورسم حدِّه على نحو عربي مألوف في لغة القوم(٢). فصرحوا بأنه معرب ولم يذكروا أصله كما فعل الجواليقي(٣). إلا أن ابن منظور صرح بأصله الفارسي دون أن يذكره(٤). وقال بعضهم: "الأصح أن أصلها من اليونانية، وأخذتها الفارسية منها، ومن الفارسية انتقلت إلى العربية(٥).

وزعم الأب أنستاس ورفائيل نخلة أن الدرهم مأخوذ من اليونانية (drakhme) واللفظة في الحبشية: دِرْهم، وجمعها دِرْهمات ودَراهم، وهي نقد ذهبي[٦]. في حين ذكر بعضهم أنها دخلت الحبشية من اليونانية عن طريق الفارسية والعربية[٧] وهي في الأمهرية (derim) و(derhkma). وفي الأرامية (darkemona). وفي السريانية (derakma)، وفي العبرية (darkemon-ot)[٨]. وورود الكلمة في هذه اللغات العروبية دليل واضح على عروبتها. ويبطل عجمتها اليونانية أمران: أولهما ـ أن اللفظة في اليونانية لا تدل إلا على النقد. ثانيهما – أن اليونان أخذوا الحضارة والكتابة عن العرب(٩). أما عجمتها الفارسية فيبطلها ما أبطل اليونانية، وأن الدرهم في الفارسية محذوف الهاء، أي دِرِمْ وليس له جمع كما في العربية والحبشية. وأما عروبتها فتتضح من الآتي:

– كثرة اشتقاقاتها في العربية الفصحى، وعدم اقتصارها على النقد من ذلك قولهم: "المُدْرَهِمُّ الساقط من الكِبَرِ وقيل هو الكبيرُ السِّنِّ أَيًّا كان، وقد ادْرَهَمَّ يَدْرَهِمُّ ادْرِهْمامًا، أَي سقط من الكبر، وقال القُلاخُ:

ويَدْرَهِمَّ هَرَمًا وأَهْرَما[١٠]

وادْرَهَمَّ بصرُه أَظلم، والدِّرْهَمُ والدِّرْهِمُ لغتان... وقالوا في تصغيره دُرَيْهِيم شاذة كأَنَّهم حَقَّرُوا دِرْهامًا وإن لم يتكلموا به هذا قول سيبويه وحكى بعضهم دِرْهام قال الجوهري وربما قالوا دِرْهام قال الشاعر:

لو أَنَّ عِنْدي مائتي دِرْهامِ
لجاز في آفاقِها خاتامي[١١]

ثم اتسعت دلالتها لتشمل الإظلام، فقالوا: ادرهمّ بصرُه، إذا أظلم. وليل مدلهمّ: مظلم. وانتقلت دَلالة الاستدارة من النقود إلى النبات فقالوا: دَرْهمت الخُبَّازَي أي صارت كالدراهم (مستديرة) فاشتُقَّ من الدرهم[١٢]. ثم اتسعت لتشمل الحديقة، قال الفيروزأبادي: "والدِّرْهَمُ كمنْبَرٍ: الحَديقَةُ"[١٣]. قال عنترة:

جادَتْ عَلَيهِ كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ
فَتَركنَ كلّ قَرارَةٍ كالدّرْهَمِ[١٤]

١- ينظر: الخصائص: ١/٣٥٧، ٣٥٩.
٢- ينظر: قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٠٧.
٣- ينظر: المعرب: ١٤٨.
٤- ينظر: لسان العرب: (د ر هـ)، وبرهان قاطع: ٨٤٦.
٥- المفصل في الألفاظ الغارسية المعربة: ٣٥.
٦- النقود العربية والإسلامية: ٢٩، وغرائب اللغة العربية: ٢٥٨.
٧- المعجم الحبشي الإنجليزي: ١٤٢.
٨- مقدمة الأدب: ٣٨١.
٩ – معرب القرآن الكريم عربي أصيل: ٤٩.
١٠- من الرجز.
١١- لسان العرب: (د ر هـ م)، وهو من الرجز.
١٢- الخصائص: ١/ ٣٥٨، والمحكم: ١/ ٩، والمخصص: ٢/ ٢٤٢.
١٣- القاموس المحيط: (د ر هـ م)، وينظر: تاج العروس: (د ر هـ م).
١٤- البيت من بحر الكامل، وهو في ديوانه:١٩٦، تهذيب اللغة، مقاييس اللغة: (ح ر ر)، سر صناعة الإعراب: ١/ ١٨١.

أي كالحديقة، وليس كما ذهب الأصمعي من أنه شبه استدارة الماء في القرارات باستدارة الدرهم؛ إذ المعنى هنا أن هذا المطر الغزير قد تسبب في إنبات النباتات البرية المزهرة حتى أصبحت كل قرارة كأنها الحديقة، وإن كانت دَلالة الحديقة الاستدارة كالدهم"[١].

– أوزانها الصرفية وما يلحقها من زيادات مما لا نجده في الفارسية واليونانية.

قال ابن خالويه: "ليس في كلام العرب اسم رباعيمثل درهم. إلا إذا صُغِّر كُسِر ما بعد ياء التصغير كما يكسر بعد ألف الجمع، فيقال: دُرَيْهِم كما يقال: دراهِم؛ لأن الجمع والتصغير من واد واحد"[٢]. وجمعوا درهمًا على دراهم ودراهيم واستدلوا على ذلك بقول الفرزدق:

تَنْفي يَداها الحَصَى في كلِّ هاجِرةٍ
.:.
نَفْيَ الدَّراهيمِ تَنْقادُ الصَّياريفِ[٣]

قال ابن جني: "يجوز أن يكون جمع درهام، وقد نطقت به العرب"[٤]. قال الراجز:

لو أنَّ عِندي مائتي دِرْهَامِ
.:.
لأبْتَعْتُ دارًا في بني حَرامِ[٥]

وقد اختلف في تخريج بيت الفرزدق فقيل: "فأما (الدراهيم) فإن كان جمع (درهم) فهو ك (الصياريف)، وإن كان جمع (درهام) فلا ضرورة فيه"، وقال القزاز: "قيل: أشبعت الكسرة, وقيل هو جمع على غير واحده, ك (مذاكير) فى جمع (ذكر), وقيل الرواية : نفى الدنانير) جمع (دينار) على القياس"[٦]. قال ابن كيسان: "مَن روى "الدراهيم" فقد قيل في بعض اللغات: درهام، فيكون هذا على تصحيح الجمع، أو يكون على أنه زاده للمدِّ، ويكون على الوجه الذي قال سيبويه إنه بُنِي على غير لفظ الواحد.. فلذلك زاد الياء في دراهيم"[٧].

– ورود أسماء أعلام في العربية لبعض الصحابة والمحدثين، منهم: أبو زياد، وأبو معاوية من الصحابة، وحماد زيد بن درهم محدث[٨].

– درهم اسم فرس خِداش بن زهير[٩] قال فيه:

أَقُولُ لعَبْدِ اللهِ في السِّرَّ بَيْنَنا
.:.
لَكَ الوَيْلُ عَجِّلْ لِي اللِّجامَ ودِرْهَمَا[١٠]

وقد أغرم الشعراء في ذكر الدرهم والدراهم في أشعارهم وتشبيهاتهم[١١].

كذلك ورد في قوله تعالى: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ"[١٢].

– **الْمَنْجَنِيقُ** : جاء في معجم لغة الفقهاء: "المنجنيق: بفتح الميم والجيم وسكون النون. لفظ معرب.*آلة من آلات الحرب تقذف بها الحجارة ونحوها بقوة إلى مسافة بعيدة"[١٣]. وزنه "فَنْعَلِيلٌ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالتَّأْنِيثُ أَكْثَرُ مِنْ التَّذْكِيرِ. فَيُقَالُ: هِيَ الْمَنْجَنِيقُ وَعَلَى

١- ينظر: جمهرة اللغة، لسان العرب، القاموس المحيط، تاج العروس: (د ر هـ م).
٢- ليس في كلام العرب:٢٢٨.
٣- البيت من بحر البسيط، وهو في ديوانه:٥٧٠،الكتاب: ١/ ١٠، الكامل: ١٤٣، المقتضب: ٢/ ٢٥٨، المحتسب: ١/ ٦٩، ٢٥٨، ٢/ ٧٢، الخصائص: ٢/ ٣١٥، الإنصاف: ٢٧، ١٢١، شرح المفصل: ٦/ ١٠٦.
٤- سر صناعة الإعراب: ٢٥/١.
٥- البيت من بحر الرجز، وهو في لسان العرب، تاج العروس: (د ر هـ م).
٦- ينظر: سر صناعةالإعراب: ٢٩١/٢، ما يحتمل الشعر من الضرورة-: ١٧٧.
٧- ينظر: خزانة الأدب: ٤/ ٤٢٥.
٨- ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٣٨٦، ٣٩٩.
٩- ينظر: أسماء خيل العرب: ٩٨.
١٠- الشعر والشعراء: ١٣٩/١.
١١- ينظر: الأغاني: ٢/ ٤٠٠، ٧، ٢٦٣، ١٢/ ٣٠٨، ٢٨٣/٢٥، وكتاب التشبيهات: ١٥٩، والوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٦، ٤٧٨، وديوان المعاني: ٢/ ١٦، ٣٠، معرب القرآن تالكريم عربي أصيل: ٤٨ وما بعدها.
١٢- يوسف: ٢٠.
١٣- معجم لغة الفقهاء: ٤٦٣.

التَّذْكِيرِ هُوَ الْمَنْجَنِيقُ وَهُوَ مُعَرَّبٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْمِيمُ زَائِدَةٌ وَوَزْنُهُ مَنْفَعِيلٌ فَأُصُولُهُ جَنَقَ"[١] وهو "آلة كان يرمى بها الحجارة قديمًا فارسي (مَن جَهْ نَيك) معناه: أنا ما أجودني مرادفة مرشاق"[٢] أو أنا شيء جيد؛ لأنه لا يجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية غير اسم صوت"[٣] وقيل: هو معرب "منجنيكة (Manchaneek)"[٤] أو منك جنك نيك، أي أسلوب جيد للحرب، أو مَنْجَك نيك، ومنجك معناه الارتفاع إلى فوق، وكان اسم لعبة"[٥]، وتفسير من: أنا، وتفسير جه: أيش، وتفسير، نِيْك: جيد، أي أنا أيش جيد، ولا يخفى ما فيه من القصور. والأقرب أن يكون منجنيق معرب "منْجَكْ نِيك"، ومنجك في لغة الفرس: ما يفعل بالحيل[٦]."وقد تكلمت به العرب... قال جرير:

يَلْقَى الزَّلالَ أقوامٌ دَلَفْتُ لهم
بالمنجنيقِ وصكًّا بالملاطِيسِ"[٧]

وقال رجل تميمي:

فمرّ كمر المنجنيق وصوتُه
يبذّ هزيم الرعد بدءً عمرّدا[٨]

"والمنجنيق ليس من محض العربية، ويقال: إنها بوزن فنعليل، الميم فيها أصلية، من قولك: منَجقت منَجنيقا، وقال بعضهم: هي على وزن منفعيل، الميم والنون زائدتان من قولك: جنّقت"[٩]، وقد ردَّ؛ لما فيه من زيادة حرفين في أول اسم غير جار على فعله مثل منطلق وهو نادر. قال ابن حني: "والقول فيه عندي أنه مشتق من المنجنيق إلا أن ضربًا من التخليط، وكان قياسه: "مَجْنَقوهم، وتَمَجْنق"[١٠] ومن ثمَّ اختلفت المعاجم في تحديد موضعها فبعضهم ذكرها في باب الرباعي مجنق كالأزهري، وابن منظور، وبعضهم ذكرها في باب في جنق كما فعل الجوهري، أو مجن كما فعل الفيومي وقد ورد في حديث الحجاج: "أنه نصب على البيت منجنيقًا"[١١].

وكما اختلف العلماء في اشتقاقها اختلفوا في بيان اللغة التي أخذت منها الكلمة فقيل: من اليونانية، (magganuk) دخلت إلى الآرامية منجنيقا ثم إلى العربية منجنيق، وقيل: من السريانية. ويحتمل أن يكون أصل الكلمة فارسيًا. إما لأنها مأخوذة عن جَهْ مَن نيك، أو مركبة من مَنك جَنك نَيك أي أسلوب جيد للحرب أو من "مَنْجَك نَيْك"، وإن منجك كان معناه الارتفاع إلى فوق، وكان اسم لعبة كان وليملئون إناء ماء وكانوا يضعون فيه دقّ أحجار وقطعًا من حديد فما كانت تعتم أن ترتمى واحدة من الإناء؛ وذلك لأنهم كانوا يطبقون في الإناء منجنونًا يضعون عليه قليلًا من الملح فمقدار ما كان يذوب الملح كان المنجنون يخلو فيلقي تلك الأحجار الدقيقة إلى الخارج[١٢].

١- المصباح المنير: ج ن ق، والمجموع: ٢٣٢/١٩، والمطلع على أبواب المقنع: ٢١١، ٣٦٣، وحاشية البجيرمي على المنهج: ٤٦٩/١٤.
٢- ينظر: الصحاح، وتاج العروس: ج ن ق، وتفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٧١.
٣- شفاء الغليل: ٢٠٧، وينظر: المزهر: ٨٤/١، والألالفاظ الفارسية المعربة: ١٤٦، ورسالتان في المعرب: ١٠٤، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ٢٦١.
٤- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٧٧.
٥- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٦، والمفصل في الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٨.
٦- رسالتان في المعرب: ١٠٤.
٧- ينظر: المعرب: ١٤٦، والقاموس المحيط: ج ن ق، والبيت من بحر البسيط، وهو في ديوانه: ١٢٤.
٨ - ينظر: الحيوان: ٤١٢/٤.
٩ - العين: م ج ن ق، والكتاب: ٤/ ٣٠٩، وجمهرة اللغة: ٢٤٥/١، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية : ١٩٩.
١٠ - المنصف: ١/ ١٤٧، وشرح الشافية: ٢/ ٢٥٠.
١١ - النهاية: ١٨٣/١، والسنن الكبرى للبيهقي: ٣/ ١٢٢، ٩/ ٨٤.
١٢ - ينظر: الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٦، ١٤٧.

ومما ورد في مصطلحات الفقهاء المعربة – أيضًا – لفظ الخندق حيث اشتقوا منه فقالوا: خندقوا، ولفظ درهم فقالوا فيه: درهمت، ولفظ ترجمان قالوا فيه: ترجم يترجم مترجم ترجمة فهو مترجم. ولفظ كندوج وهو وعاء طيني معروف، قد أخذ منه العرب المصدر فقالوا: كندجه يعني عمل الكندوج، ويعرف في قرى مصر بالصومعة. وجزاف بمعنى عبث ولغو وهراء معرب كزاف، والعرب يأخذون منه بعد التعريب المصدر والأفعال فقالوا: جازف يجازف مجازفة وجِزَافًا. وكذلك لفظ سفتجه بمعنى أن يعطي مالًا لآخر، وللآخر مال في بلد المعطي فيوفيه إياه. وقد أخذ منه العرب الفعل والمصدر، فقالوا: سفتج سفتجة، وفي الديباج، دَبَجَ دَبْجًا.

فالإتيان باللفظ الأعجمي على النسق العربي (أي إعادة صياغته وإدخال أل عليه، والاشتقاق منه) يضفي عليه صبغة عربية ويسمح باستعماله دون تحرج[١].

ويأتي هنا سؤال: هل نعتبر هذه المشتقات عربية، بحسب الاشتقاق أم معرَّبة بحسب الأصل؟

إن هذه الألفاظ المشتقة من ألفاظ أعجمية الأصل لم يغيِّر اشتقاقها أصلها أو جنسيتها، لكن يمكن القول بأنها في صورتها التي اشتقتها العرب أصبحت معرَّبة يصدق عليها مصطلح المعرَّب – من حيث جريانها على أبنية عربية – حتى وإن لم يجر أصلها–حين أدخلته العرب في كلامها–على تلك الأبنية[٢].

ب – التعريب على المستوى النحوي:

إن النظام النحوي لأي لغة يعتمد على أمرين:

الأول: الدلالة على المعاني النحوية كالفاعلية والمفعولية والحالية... بعلامات تسمى علامات الإعراب. الثاني: الالتزام بطريقة معينة في ترتيب الكلمات داخل الجمل والعبارات؛ ليحل التزام هذا الترتيب محل العلامات الإعرابية، وهذا الأمر لم تلجأ إليه إلا عند تعذر ظهور علامة الإعراب، وعدم وجود قرينة تحدد الفاعل من المفعول كما في نحو: قتلت هُدَى مُنَى، وعيسى موسى، فيجب حينئذ التزام الترتيب ويكون المقدم هو الفاعل والمؤخر هو المفعول.

وإذا نظرنا إلى اللغات التي نقلت عنها كلمات إلى العربية كالفارسية لا إعراب فيها، فالعربي عندما كان يقترض من هذه اللغات التي لا إعراب فيها يعرب هذه الكلمات نحويًا بإخضاعها لأصول الإعراب وقواعده في العربية وهذا يخرجها من إطار العجمة ويكسوها ثوب الكلمات العربية الأصيلة"[٣] و"للعرب في كلامها علامات لا يشركهم فها أحد من الأمم.. منها إدخالهم الألف واللام في أول الاسم وإلزامهم إياه – أي اللفظ المعرب – الإعراب في كل وجه: في الرفع والنصب والخفض"[٤] وقال ابن جني: "قال أبو علي: إذا قلت: طاب الخشكنانُ، فهذا من كلام العرب؛ لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته في كلام العرب"[٥] وصار محمولًا على كلامها، ومنسوبًا إلى لغتها. فمعنى "التعريب أن يجعل عربيًا بالتصرف فيه، وتغييره عن منهاجه، وإجرائه على أوجه الإعراب"[٦] وينطبق هذا المعيار على جميع الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم مما قيل بتعريبها، والألفاظ الأخرى التي وردت في اللغة ونسبت إلى أصول أعجمية[٧].

١ – السابق: ١٠٨.
٢– علم الاشتقاق : ١٧٧.
٣– ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية: ١٧٢.
٤– كتاب الزينة: ٧٧/١، ومباحث في فقه اللغة في كتاب الزينة أ.د/سيد الصاوي ١٥١.
٥– الخصائص: ٣٥٨/١، والعربية خصائصها وسماتها: ٤٨١، وقوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٨١.
٦– الكشاف: ٥٧/٣، والعربية خصائصها وسماتها: ٤٨١، ومقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية: ١٧٣.
٧– مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية: ١٧٤.

٣- التعريب على المستوى الدلالي

عند نقل اللفظ من الأعجمية إلى العربية الأصل فيه أن يستعمل في المعنى الذي وضع له في لغته الأصلية إلا أنه قد يحدث – أحيانًا – أن تضاف إليه معان لم تكن له حال عجمته، وهذه الإضافة الجديدة تعتبر تعريبًا على المستوى الدلالي بالرغم من كون المعنى الجديد الذي أضيف للفظ عربيًا خالصًا(١). وقد ورد ذلك في مصطلحات الفقهاء في ألفاظ هاك ذكرها وتفصيل القول فيها:

- **الْمِيزَابُ**: جاء في معجم لغة الفقهاء:"الْمِيزَابُ: بكسر الميم لفظ معرب... قناة أو أنبوب من معدن أو غيره يسيل به الماء من السطح ونحوه إلى الأرض.."[٢]. أي الْمِثْقَبُ .

"قَالَ الأَزْهَرِيُّ: وَلا يُقَالُ الْمِئزَابُ وَمَنْ تَرَكَ الْهَمْزَ قَالَ فِي الْجَمْعِ: مَيَازِيبُ وَمَوَازِيبُ مِنْ وَزَبَ الْمَاءُ إِذَا سَالَ عَنْ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ، وَقِيلَ: هُوَ فَارِسِيٌّ فَعُرِّبَ بِالْهَمْزِ وَأَنْكَرَ يَعْقُوبُ تَرْكَ الْهَمْزِ أَصْلًا"[٣]، وَقِيلَ: مُوَلّد"[٤].

فيما سبق إشارة إلى أن لفظ الميزاب معرب من الفارسية ومعناه قناة أو أنبوب من معدن أو غيره يسيل به الماء من السطح ونحوه إلى الأرض، ومنهم مَن همزه فقال في جمعه: مآزيب، ومنهم من ترك همزه، فقال في جمعه: ميازيب على أن أصله الياء، وموازيب على أن أصله الواو يقال: وَزَبَ الماءُ أو الشَّيْءُ يَزِبُ وُزُوبًا: إذا سالَ، وقد أنكر يعقوب ترك الهمز.

قال الجواليقي: "... هذا فارسي معرب، وتفسيره (ما زْآبْ) كأنه الذي يبول فيه. وقد استعمله أهل الحجاز، وأهل المدينة وأهل مكة يقولون: صلى تحت الميَزاب قال: ولا يقال: مرزاب"[٥] وهو "مُرَكَّبٌ من "ميزْ" و"آبْ" ومَعْنَاهُ: بُلِ الماءَ فَعرَّبُوه بالهَمْزَة ولهذا جَمَعُوه مآزِيبَ ورُبَّمَا لم يُهْمَزْ فيكون جمعُه موازِيبَ. وفي الصِّحاحِ: مَيازِيبُ بالياءِ وبالواو هو القِياس لِزَوال العِلَّة كما قالوُا: مَواعِيدُ ومَوازِينُ"[٦] فميزاب "Mizab بياء مجهولة يعني مكان قطر الماء. وقد أشبعت كسرة الميم وحركت الهمزة بما قبلها، وحذفت الهمزة لالتقاء الساكنين. ومعناها في الأصل – أيضًا – المتبول، ومعناها التركيبي: راش الماء"[٧] فهو إذًا مركب من مَيْز بمعنى بَول، وآب بمعنى ماء"[٨]. وهو فارسي ومعناه في الأصل وبُل/ ا/ لما/ء عَربوا بالهمزة، ولهذا جمعوه على مآزيب[٩].

- **البريد**: جاء في معجم لغة الفقهاء:"البريد: لفظ معرب، الرسول الذي ينقل الأخبار والرسائل"[١٠]، وهو "فارسي من بَرْدَن أي حمل وهو مذكور في سفرا ستير وكان مستعملًا قبل veredus اللاتيني الذي أنشأه أوغوسطس لنقل الرسائل، وفي الإيطالية posta، وقد عربوه بوسطة"[١١]، قال الزمخشري: "والبريد في الأَصْل البغْل; وهي كلمة فارسية أصلها بُرَيْدهَ دُم أي محذوف الذَّنب; لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب، فعرِّبت الكلمة وخُفِّفَت، ثم سُمِّي الرسول الذي يركبه بريدًا والمسافُة التي بين السكتين

١- ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية: ١٧٤.
٢- معجم لغة الفقهاء: ٤٧٠.
٣- المصباح المنير: أ ز ب.
٤- المغرب: أ ز ب.
٥- المعرب: ١٥٤، وينظر لسان العرب، والقاموس المحيط: أ ز ب.
٦- تاج العروس: و ز ب.
٧- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١١٩.
٨- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٤٩.
٩- رسالتان في المعرب: ١٩٨.
١٠- معجم لغة الفقهاء: ٢٩، ١٠٧.
١١- تفسير الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية: ٩. التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية : ١٧٠.

بريدًا. والسَّكةَّ الموضعُ الذي يسكُنُه الفُيُوج المرتّبون من رِباط أو قبّةٍ أو بيتٍ أو نحو ذلك وُبْعدُ ما بين السكتين فرسخان وكان يُرَتّبُ في كُلُ سكة بغال"[١]. و"أصله الدابة التي تحمل الرسائل والرسول والمسافة بين كل منزلين من منازل الطريق وهي أميال اختلف في عددها"[٢].

وقد اختلف في اللغة التي أخذ منها، فقيل: فارسي، وقيل: رومي والبريد الرسول، ومنه قول بعض العرب: الحمى بريد الموت "ثم استعمل في المسافة التي يقطعها وهي اثنا عشر ميلًا، وخيل البريد الرسل على دواب البريد"[٣]، وقيل: "البَريد: عربي معروف. قال امرؤ القيس:

على كل مَقصـــوص الذّنابَى مُعاوِدٍ
بَريدُ السُّــرَى بالليل من خيلٍ بَرْبَرا"[٤]

وقد ورد في قوله: "إني لا أخيس العهد ولا أحبس البرد". أي الرسل، وأصل البريد في الفارسية البغل المقطوع الذنب، فسمي الرسول الذي يركبه بذلك مجازًا"[٥].

- **الدِّيوَان**: جاء في لغة الفقهاء: "الدِّيوَانُ: جَرِيدَةُ الْحِسَابِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْحِسَابِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَوْضِعِ الْحِسَابِ وَهُوَ مُعَرَّبٌ"[٦]. فالديوان هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء وهو لفظ فارسي أصله (دِيبَانْ) فلما أرادوا تعريبه أبدلوا الباء واوًا وأدخلوا ال عليه فقالوا: ديوان وممن صرح بهذا الجواليقي فقال: "وَالدِّيوَانُ: بالكسر.. قال الأصمعي: وأصله فارسي، وإنما أراد (دِيبَانْ) وديوان أي: الشياطين، أي كُتَّاب يشبهون الشياطين في نفاذهم والدِّيُو هو الشيطان"[٧] وهو "فارسي معناه شياطين وجان" وديوانه "معناه مجنون أي الشيطان حال فيه فقد نقل من الفارسية إلى الأرامية "ديوا" ومعناه شيطان ثم نقل على سبيل المجاز؛ ليدل على كتاب القوانين والحسابات ومجلس العمال"[٨]، فالأصل فيه الكتاب الذي يكتب فيه أهل الخراج والجزية وغير ذلك وهو مشتق هن ديَنَ أي الكاتب[٩]. وهذا يعني أن ياءه أصلية وليست مبدلة كما يدعي بعض العلماء حيث افترضوا أن أصله دوّان فأبدلت الواو ياء؛ استثقالًا للحرف المضعف. والحقيقة أنهم افترضوا هذا الفرض؛ لتبرير تكرار الحرف الأول فيها وهو خطأ؛ لأن هذه الكلمة معربة وهي في لغتها الأصلية بالياء وليست بالتشديد فديوان أصله (dowan دوّان) كما أنها تجمع جمعين: أحدهما بتكرار الحرف الأول، فيقال: دواوين، والثاني بالياء فيقال: دياوين، وتكرار الحرف في اجمع، والتصغير لا يستلزم – دائمًا – كون هذا الحرف مضعفًا في الأصل[١٠].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الديوان لفظ عربي

١- الفائق: ٩٢/١، وينظر: تاج العروس: ب ر د، وشـــفاء الغليل: ٤٥، ورسالتان في المعرب:١٤٢،٩٣.
٢- المعجم الوسيط: ب ر د.
٣- الألفاظ الفارسية المعربة: ١٨، ١٩.
٤ – جمهرة اللغة: ٢٩٥/١(ب ر د)، والبيت من بحر الطويل ينظر ديوانه: ٦٦، ولسان العرب: ب ر د، والمعجم المفصل: ٩٣/٣.
٥ – المفصل في الألفاظ الفارسية : ١٢٠.
٦ – معجم لغة الفقهاء: ٢٩، ٢١٢، وينظر: المصـــباح المنير: د و ن، وتحرير ألفاظ التنبيه ١٢٠، والمجموع: ٢١٢/٦.
٧ – المعرب: ٧٨، ٧٩، وينظر: النهاية: ١٥٠/٢، ولســـان العرب، وتاج العروس:(د و ن)، وبرهان قاطع:٩١٨.
٨ – تفســـير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٣٠، والمفصـــل في الألفاظ الفارسية المعربة: ١١٦.
٩ – التعريب بين القديم والحديث: ٢٣٠.
١٠ – المعرب والدخيل في اللغة العربية د / عبدالرحيم ســـبحان: ٧٣، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالقاهرة.

ومعناه ضبط الكلمة وتقييدها، وحجتهم في ذلك الاشتقاق منه وممن صرح بهذا المرزوقي حيث قال في شرح الفصيح: "هو عربي من دونت الكلمة إذا ضبطتها وقيدتها؛ لأنه موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون هذا هو الصواب وليس معربًا ويطلق على الدفتر، وعلى محله، وعلى الكتاب، ويخص في العرف بما يكتب فيه شعر"[١].

وقد ورد في قوله (ﷺ): "الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ دِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا وَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"[٢] وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلَاةٍ تَرَكَهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفِرُ ذَلِكَ وَيَتَجَاوَزُ إِنْ شَاءَ وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ"[٣].

فالديوان حدث فيه تطور دلالي عن طريق المجاز؛ إذ معناه في الفارسية الشيطان فلما عُرِّب انتقل من معناه الأصلي إلى معنى آخر هو كتاب القوانين والحسابات ومجلس العمال. وهناك صلة بين المعنى الأصلي والمعنى المتطور عنه. فاللفظ الموضوع لمعنى في لغة أخرى للعرب أن تستعمله في ذلك المعنى بعينه، وقد يستعمل في غير المعنى الموضوع له في لغته على أن تكون مشابهة وموافقة ومواءمة بين المعنيين. على أن يتمَّ التغيير الصوتي والبنائي اللازم في ذلك اللفظ حتى يتسق في الذوق العربي إذ إنه بهذا النقل يصير جزءًا من اللغة ولبنة من لبناتها[٤]. وذلك متى كانت الكلمة الأعجمية مشتملة على حروف لا نظير لها في لغة العرب وهذا هو الأصل المعتمد والمعتبر في هذا الباب[٥].

- **جهنم**: جاء في لغة الفقهاء: "جهنم: ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، ويقال: فارسي معرب ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، من أسماء النار التي يعذب الله بها في الاخرة من استحق العذاب من عباده"[٦].

وهو"عبراني "جِي بِن هِنُّم" معناه وادي ابن هِنُّ"[٧]. قال الجواليقي نقلًا عن ابن الأنباري: "في جهنم قولان: قال يونس بن حبيب وأكثر النحويين: جهنم اسم للنار التي يعذب بها بها الله في الآخرة. وهي أعجمية لا تجر للتعريف والعجمة. وقيل: إنه عربي، ولم يجر للتأنيث والتعريف"[٨] وقال السيوطي: "ذهب جماعة إلى أنها أعجمية، وقال بعضهم: فارسية معربة، وقال آخرون: هي تعريب كهِنّام بالعبرانية"[٩]. غير أن براجشتراسر ذهب إلى أنها من الكلمة الآرامية جيهنام (gehinnam)، إلا أنها دخلت العربية بواسطة الحبشية"[١٠]، وقيل: الصحيح أن "جهنم" عبرية، وأصلها في هذا اللسان (كي هِنّوم) و(كهنام)، أي وادي هنّوم، وادي الهمس والأنين، حيث إن هذا الوادي يقع في جنوب أورشليم، وقد كثر فيه قبل ميلاد السيد المسيح إحراق الأطفال تضحية بهم لملوخ إله العمونيين![١١].

---

١ - شفاء الغليل: ٩٤.
٢ - المائدة: ٧٢.
٣- مسند الإمام أحمد: ٦/٢٤٠، حديث رقم: ٢٦٠٧٣.والنهاية في غريب الحديث، مادة: ديوان.
٤- ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية: ١٥١، ١٥٥، وقوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٨٨.
٥- قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة: ١٨٩.
٦- معجم لغة الفقهاء: ١٦٨، وينظر: المصباح: ج ص ص، والمطلع على أبواب المقنع: ٨٢.
٧- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٢٢.
٨- المعرب: ٥٨، وشفاء الغليل: ٦٨.
٩- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب: ٤.
١٠- التطور النحوي للغة العربية:٢٢٦.
١١- المعرب في القرآن الكريم دراسة تأصيلية دلالية: ١٩٣، وينظر: غرائب اللغة:٢١١، والمعرب والخيل في اللغة العربية: ١٤٤.

غير أن هذه الكلمة دخلت السريانية من اللسان العبري، فهي في السريانية (كهنا) و(جيهنام) (gehinnam) وقد دخلت الأخيرة اللسان الحبشي، فأصبحت فيه جهن(gehinnam) ، ومن هنا اقتبستها العربية بلفظها تمامًا. يقول نولدكه عنها: "وهو وصف لمفهوم غاية في الأهمية عند محمد (ﷺ) ويتطابق تمامًا مع (gahannam) الحبشية؛ لدرجة تؤكد استعارتها من هذا اللسان"[١]. و"من جعل جهنم عربيًا احتج بقولهم: بئر جهنام، ويكون امتناع صرفه للتأنيث والتعريف. ومن جعله أعجميًا احتج بقول الأعشى:

وَدَعوا لَهُ جَهَنّامَ[٢]

فلم يصرف فيكون على هذا لا ينصرف للتعريف والعجمة والتأنيث أيضًا ومن جعل جهنام اسمًا لتابعة الشاعر المقاوم للأعشى لم تكن فيه حجة؛ لأنه يكون امتناع صرفه للتأنيث والتعريف لا للعجمة وحكى أبو على أن جهنم اسم أعجمي. قال: ويقويه امتناع صرف جهنام في بيت الأعشى"[٣]. قال حسان:

وَزادُكَ ذَمٌّ في الحَياةِ وَإِن تَمُت
فَحَظّكَ زُكنٌ مِن جَهَنَّمَ واسِعُ[٤]

وقال عمر بن أبي ربيعة:

وَلَيتَ سُلَيمى في المَماتِ ضَجيعَتي
هُنالِكَ أَم في جَنَّةٍ أَم جَهَنَّمِ[٥]

وقد وردت كلمة "جهنم" في القرآن الكريم في مواضع كثيرة تدل على أنها اسم من أسماء النار، وللعلماء فيها قولان: أحدهما – أنها عربية الأصل. الثاني – أنها معربة، وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم في بيان الأصل الذي أخت منه هذه الكلمة إلى ثلاثة أقوال، هي:

١- حكم بعضهم أنها أعجمية دون أن يصرحوا بنوع هذه العجمة.

٢- ذكر آخرون أنها فارسية معربة، دون ذكر أصل لها.

٣- ذكر بعضهم أنها تعريب كِهِنّام بالعبرانية[٦].

والراجح أنها عربية؛ لأن العبرية فرع من العربية؛ إذ المعروف أن العبرية القديم هي الكنعانية العربية[٧]؛ فدل هذا على أن أصلها عربي. كذلك مَن زعم أنها فارسية فلا حجة لهم في ذلك؛ لأن جهنم من ألفاظ الديانات السماوية، وليس في ديانة الفُرْس مثلها، فلما دخل الفرس في الإسلام، ونشأت اللغة الفارسية الإسلامية في القرن الرابع الهجري أوجدوا لها مقابلًا في الفارسية هو دُوزَخ، أو آتِش خُشم بروركَار... وسعير عندهم: آتِش أفروختِه دُوزَخ"[٨].

يقول العوْتَبي: "وأصل جهنم: جهانم، فأدغمت الألف في النون. وقال بعضهم: أصلها: جَهَيْنم، فأدغمت الياء في النون. وقال بعضهم: جَهْنَنُم، فأدغمت النون في النون؛ لأنهم استثقلوها، واللسان يجفو عنها"[٩]. ثم قال نقلًا عن ابن دريد: "جهنم اسم أعجمي، وكان الأصل جهانَم، وسميت جهنم؛ لسعتها وعمقها وغزْرها"[١٠]. قال ابن دريد: "وجِهِنّام: رَكِيّ بعيدة القعر. قال أبو حاتم: أحسب اشتقاق جهنَّم

١-ينظر: beitragezurserntischensprachwissensch ٤٧s,,١٩١٠t:af
٢- جزء بيت من بحر الطويل، تمامه: دَعَوتُ خَليلي مِسحَلًا وَدَعوا لَهُ جَهَنّامَ جَدعًا لِلهَجينِ المُذَمَّمِ ديوانه:٨٣، واللسان، والتاج:ج هـ ن م.
٣- تاج العروس: ج هـ ن م، النهاية: ١/١٩٢.
٤- البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه: ٦٧.
٥- البيت من بحر الطويل، وهو في ديوانه: ٢٩.
٦- المهذب:٨١.
٧- يراجع تاريخ اللغات السامية: ٧٣. حول عربي عبري أرمي. عبدالحق فاضل، مغامرات لغوية: ٩، ٣١.
٨- مقدمة الأدب: ٢٧٧.
٩- الإبانة في اللغة: ١/ ٢٤٩.
١٠- السابق.

منه"[١]. قال أبو عبيدة: "جهنم اسم مؤنث لا ينصرف؛ لأنه على أربعة أحرف"، وحكى عن رؤبة قال: زَكيّة جِهنام، أي بعيدة القعر[٢]. وقال أبو حاتم: "ويقال لها (أي النار): جهنم، وهو مأخوذ من التجهم والتكره. ويقال: رجل جَهْم الوجه، أي كريه الوجه"[٣] فهي عنده من الثلاثي، وليس كما ذكر أبوعبيدة والأزهري من أنها من الرباعي. جاء في تهذيب اللغة: "قال يونس: جهنَّمُ اسمٌ للنّار التي يُعذِّبُ الله بها في الآخرة، وهي أعجميَّةٌ لا تُجْرَى للتعريف والعُجْمَة، وقيل: جهنم اسمٌ عربيّ، سُمِّيَتْ نارُ الآخرة به لبُعد قَعْرِها، وإنما لم تُجْرَ لثُقْل التعريف مع التأنيث"[٤]. غير أننا نجد الفارابي يجعلها خماسي على وزن (فعلَّل)[٥] وذكر الجوهري أنها ملحقة بالخماسي، وأنها لم تجرّ؛ للمعرفة والتأنيث[٦]، وهو دليل عروبتها في رأي مَن نفى عنها العجمة[٧].وقال الفيروزآبادي: "وجهنم كعملس: بعيدة القعر، وبه سميت جهنم"[٨]. فالذي دفع اللغويين القدماء إلى نسبة اللفظة إلى العُجمة هو "يونس بن حبيب" النحوي؛ لما ذكره عن منعها من الصرف، والمعروف أن أكثر لغة العرب – ومنها الممنوع من الصرف – سماعي لا قياسي[٩] ومن سماتها العربية فقط ما ورد في شعر الأعشى من ذكر لقب الشاعر الجاهلي عمرو بن قَطن وهو جُهُنَّام في بيته السابق وجِهِنَّام: فرس لقيس بن حسان قال فيه عوف بن عطية:

جَعَلتَ جِهِنَّامًا لِقَومِكَ مَوعِدًا
وَلَم تُثنِهِ خَوفَ الرَّدَى بِشِمالِكا[١٠]

– **الزِّنْدِيقُ**: جاء في لغة الفقهاء: "الزنديق: لفظ معرب... من لا يدين بدين." من يبطن الكفر ويظهر الإسلام. وكان يسمى في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) بالمنافق"[١١] وهو "مِثْلُ: قِنْدِيلٍ قَالَ بَعْضُهُمْ: فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ.. رَجُلٌ زَنْدَقِيٌّ وَزِنْدِيقٌ إذَا كَانَ شَدِيدَ الْبُخْلِ"[١٢] "وَأَصْلُهُ زَنْدَهْ أَيْ يَقُولُ بِدَوَامِ بَقَاءِ الدَّهْرِ"[١٣]، وقيل: "أصله عندهم زِنْدَگْر: أي يقولون ببقاء الدَّهْر"[١٤]. قال الجواليقي: "قال ثَعْلَب: لَيْسَ زِنْدِيقٌ وَلا فَرَزِينُ مِنْ كَلامِ الْعَرَبِ، ثم قال ويلي البياذقة وهم الرجالة. وليس في كلام العرب زنديق. وإنما تقول العرب: زَندق وزنقي: إذَا كَانَ شَدِيدَ الْبُخْلِ، وإذا أرادت العرب ما تقوله الْعَامَّةُ قالوا: مُلْحِدٌ وَدَهْرِيٌّ فإذا أرادوا معنى السن قالوا: دُهْرِيٌّ. قال سيبويه الهاء في زَنادقة وفرازنة عوض من الياء في زنديق وفرزين. قال ابْن دُرَيْدٍ... الزنديق فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ كأن أَصْلُهُ عنده (زَنْدَهْ كِرْدْ) (زَندهْ) الحياة، و(كِرْد) العمل. أَي: يَقُولُ بِدَوَامِ الدَّهْرِ. قال أبو بكر... سألت الرياشي وغيره عن اشتقاق الزنديق؟ فقال: يقال: رجل زَنْدَقي: إذا كان نظَّارًا في الأمور..."[١٥]. وفي القاموس هو معرب زن دين

١–جمهرة اللغة: (ج هـ ن م).
٢– ينظر: الزينة: ٢/٢١٢، والزاهر: ١/١٤٦، ومشكل إعراب القرآن: ١/ ٤١٣.
٣ – الزينة: ٢/٢١٢.
٤ – (ج هـ ن هـ)، وينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/١١٩، وزاد المسير: /٢٢٢.
٥ – يراجع: ديوان الأدب: ٢/ ٨٨.
٦ – تاج اللغة وصحاح العربية: (د ر هـ م).
٧ – الزاهر: ١/ ١٤٦.
٨ – القاموس المحيط: (ج هـ ن م).
٩ – ينظر: كتاب المحصول:١/ ٢١٧،٢٠٣، والمزهر:١/١١٩،١١٤.
١٠ – أسماء خيل العرب: ٦٣، ومعرب القرآن الكريم عربي أصيل: ٤٧، وما بعدها، والبيت من بحر الطويل.
١١ – معجم لغة الفقهاء: ٢٣٤.
١٢ – المصباح المنير: ز ن د ق، ونيل الأوطار: ١١/٤٤٧، ومطالب أولي النهى: ١٤/٦٦، والقاموس الفقهي: ١٦٠.
١٣ – المغرب: ز ن د ق، والمجموع: ١٩/٢٣٢، والمطلع على أبواب المقنع: ٣٧٨.
١٤ – المخصص: ٣/٣١٣.
١٥ – المعرب: ٨٥، ٨٦، وشفاء الغليل: ١١٢، وتفسير الألفاظ الدخيلة

دين وقيل: هو وهم، والصواب معرب زنده وعن ابن دريد هو القائل بدوام الدهر معرب زنده كتاب لمردك وخطأ بعضهم من قال: إنه (معرب زندي)"[١]؛ لأن الياء لمطلق النسبة والهاء لنسبة مخصوصة، مثل: بنجه وبنفشه وليس بشيء"[٢] فهو إما تعريب عن زن دين، أي دين المرأة. أو عن زنديك، أي الذي يعمل بما هو مسطور في كتاب الزند. وقد ورد ذكر الزنديق في كتاب افرهاط الحكيم الفارسي الذي عاش في الجيل الرابع للمسيح، وورد ذكر الزنادقة في كتاب الأبستا حيث قيل: "إننا جعلنا الصلاة.. لكي تحارب الزند والساحر وتخربهما جميعًا فالزندي إذًا في التاريخ القديم ساحر قبيح المذهب، وقد اتخذ الفرس المحدثون هذه الكلمة فتلفظوا بها على صورة زنديك ومنه اشْتُقت لفظة زنديق"[٣]. جاء في القاموس: "الزِنْديقُ بالكسر: من الثَّنَوِيَّةِ، أو القائلُ بالنُّورِ والظُّلْمَةِ، أو مَن لا يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ وبالرُّبوبِيَّةِ أو مَن يُبْطِنُ الكُفْرَ ويُظْهِرُ الإيمانَ، أو هو مُعَرَّبٌ: زَنْ دينِ أي: دِينِ المرْأةِ"[٤].

– **الأُنْمُوذَجُ**: جاء في لغة الفقهاء: "النموذج: بفتح النون والذال وضم الميم. لفظ معرب، مثال الشيء... ومنه: صناعة نموذجية، أي: جميع وحداتها متماثلة"[٥]. "وَهُوَ تَعْرِيبُ نَمُوذَهْ.. والصَّوَابُ النَّمُوذَجُ؛ لأَنَّهُ لا تَغْيِيرَ فِيهِ بِزِيَادَةٍ"[٦] "والعَوامُّ يقولون: نُمُونَهْ – أو نمودار، وأصل معناه صورة تتخذ على صورة الشيء ليعرف منه حاله ولم يعربه العرب قديمًا، ولكن عرَّبَه المحدثون قال البُحْتُرِيّ:

أَو أَبْلَقٍ يَلْقَى العُيونَ إِذا بدَا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُعْجِبٍ بِنَمُوذَجِ"[٧]

وهو "فارسي (نُموده) معناه شكل ومثال الشيء، وهو مشتق نمودن، أي أظهر ومثَّلَ"[٨]، وقيل: معرب نمونه. أو نموذه أو نمودار، والراجح أنه معرب نَموده؛ لأن "قاعدة التعريب تقتضي أن يكون المعرب نموده لا نمونه[٩].

بعد هذه الدراسة لتلك الكلمات التي وردت في "معجم لغة الفقهاء"، وجدت ألفاظًا أخرى وردت في "معجم لغة الفقهاء" معرَّبة، ونُقلت إلى العربيّة دون تغيير، أذكرها في الجدول التالي؛ اختصارًا:

في اللغة العربية: ٣٠.
١- ينظر: تاج العروس: (ز ن د ق)، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية: ١٨٤.
٢- شفاء الغليل: ١١٢، ورسالتان في المعرب: ٨٩.
٣- الألفاظ الفارسية المعربة: ٨٠، ٨١.
٤- (ز ن د ق) ورسالتان في المعرب: ١٦١.
٥- معجم لغة الفقهاء: ٤٨٩.
٦- المصباح المنير: ن م ذ ج، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج: ١٦/ ٤٣٣، والبحر الرائق: ٣٧٥/١٥، وحاشية الجمل: ٢٥٠/١٠، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: ٣٣١/٧، سهم الألحاظ في وهم الألفاظ: ٢.
٧- شفاء الغليل: ١٧، والبيت من بحر الكامل ينظر: ديوانه: ٤٠٤، وتاج العروس: ن م ذ ج، والمعجم المفصل: ٣٨/٢.
٨- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ٧٤.
٩- التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية: ١٣٠، والألفاظ الفارسية: ١٥٥، والمعجم الوسيط: ٣١/١.

الكلمة	موضعها	النص
الإِصْطَبْل	معجم لغة الفقهاء: ٧	لفظ معرب. وهو مأوى الدواب.
الْبُخْتُ	معجم لغة الفقهاء: ١٠٤	"البخت: بالفتح، لفظ معرب، وهو الحظ.
الباقلاء	معجم لغة الفقهاء: ١٠٣	لفظ معرب الفول، وهو نبات عشبي معروف يصير حبًا.
الباسور	معجم لغة الفقهاء: ١٠٢	معرب، ج بواسير، مرض يحدث فيه تمدد وريدِي.
التوراة	معجم لغة الفقهاء: ١٥٠	معرب من العبرانية بمعنى شريعة–وهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام.
الْجُرْمُوقُ	معجم لغة الفقهاء: ١٦٢	فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ما يلبس فوق الخف وقاية له من الماء أو من غيره.
الجامكية	معجم لغة الفقهاء: ١٥٨	فارسي معرب. رواتب أصحاب الوظائف من الأوقاف.
الجوشن	معجم لغة الفقهاء: ١٦٨	معرب، وهو الدرع الذي يغطي الصدر.
الدِّخْرِيصِ	معجم لغة الفقهاء: ٢٠٧	معرب،وقِيلَ: عَرَبِيٌّ، الثوب* الشق في أسفل الثوب ليساعد لابسه على المشي.
الزِلّية	معجم لغة الفقهاء: ٢٣٣	معرب، الطنفسة، البساط. من الصوف ونحوه.
الإستار	معجم لغة الفقهاء: ٥٧	لفظ معرب من العدد: الأربعة.
السَّتُّوقُ	معجم لغة الفقهاء: ٢٤١	لفظ مُعَرَّبٌ واحدها ستوقة: دراهم مغشوشة غلبت فيها المعادن الرخيصة على النفيسة، وقد تطلى بالفضة.
السروال	معجم لغة الفقهاء: ٢٤٤	لفظ معرب، لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما.
الشاذروان	معجم لغة الفقهاء: ٢٥٥	الافريز البارز بمقدار ثلثي ذراع في أسفل جدران الكعبة.
الشخشير	معجم لغة الفقهاء: ٢٥٨	معرب عن حقشير التركي، نوع من السراويل.
الْعِرَاقُ	معجم لغة الفقهاء: ١٣٩، ٣٠٨	مُعَرَّبٌ، شاطئ البحر والنهر.
الفرملة	معجم لغة الفقهاء: ٣٤٤	المكبح، وهو جهاز في السيارة أو القاطرة يمكن السائق من تخفيف سرعتها أو إيقافها.
الفرنج	معجم لغة الفقهاء: ٣٥٦	اسم يطلق على الكفار من القارتين الأوروبية والأمريكية.
الفلسفة	معجم لغة الفقهاء: ٣٥٠	لفظ معرب، الحكمة.
الفندق	معجم لغة الفقهاء: ٣٥٠	مكان لإقامة المسافرين بأجر.
القباء	معجم لغة الفقهاء: ٣٥٥	ثوب يلبس فوق الثياب. ويتمنطق عليه...
القنصل	معجم لغة الفقهاء: ٣٧١	النائب عن دولة أخرى يرعى رعيتها، ومصالحها الاقتصادية في البلد الذي هو فيه.
القانون	معجم لغة الفقهاء: ٣٥٥	المقياس من كل شيء * أمر كلي منطبق على جميع جزئياته.
الكحول:	معجم لغة الفقهاء: ٣٧٨	أصله الغول: ما يغتال العقل. ما تخمر من المواد السكرية والنشوية، وهو خلاصة الخمر.
الكَدَك:	معجم لغة الفقهاء: ٣٧٨	ما يبنيه المستأجر في عقار الوقف متبرعًا دون أن يحسب ذلك على الوقف.
الْكِشْكُ	معجم لغة الفقهاء: ٣٨١	طعام يصنع من القمح واللبن.
الكمبيالة	معجم لغة الفقهاء: ٣٨٤	صك يتعهد فيه المدين بأن يدفع مبلغًا معينًّا من المال في تاريخ معين لأمر الدائن نفسه، أو لأمر حامل الصك.
الناموس	معجم لغة الفقهاء: ٤٧٣	عادة وشريعة وسنة.
الناي	معجم لغة الفقهاء: ٤٧٣	معرب، الأرغول، وهو آلة موسيقية نفخيّة، وهي عبارة عن أنبوبة مفتوحة الطرفين ذات ثقوب جانبية على أبعاد معينة.

كما أن هناك بعض الألفاظ المعربة والتي تركها مؤلف الكتاب دون تصريح، وبيان لأصلها، ومنها ما يلي:

الكلمة	موضعها	الكلمة	موضعها	الكلمة	موضعها	الكلمة	موضعها
آمين	٣٧	الإثمد	٤٢	البرزون	١٠٦	الخابية	١٩١
الدانق	٢٠٦	الدرب	٢٠٧	الدكان	٢١٠	الدينار	٢١١
الدهليز	٢١١	الصهريج	٢٢٧	الزاغ	٢٣١	السمسار	٢٥٠
الصك	٢٧٥	الطاق	٢٨٨	الطراز	٢٨٩	الطرش	٢٩٠
القز	٣٦٢	الكرباس	٣٧٩				

خاتمة

الحمد لله على أنه الخلاق العليم الرازق المتين والمجير المغيث، المتفرد بالعزة والعظمة والسلطان والمقدر للمعاد والمكرم للعباد سبحانه وتعالى إليه المرجع والمآب، وهو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير...

وبعد،،،

فبعد هذا التطواف مع الألفاظ المعربة في كتاب "معجم لغة الفقهاء" وضحت لنا بعد النتائج، منها:

١- أن العرب في نقلهم اللفظ غير العربي كانوا يتبعون الخطوات التالية:

- ينقلون اللفظ بعينه دون تغيير ويجرون عليه أحكام العربية من تنوين ودخول لام التعريف وغير ذلك كما حدث في ألفاظ: بخت، ونرد، فتركوا الحرف على حاله دون تغيير، وهذا نادر وقليل.
- يبدلون حرفًا منه بحرف لم يرد في تلك اللغة؛ ليدل على أنه جاء من تلك اللغة ودخل في لغة العرب، وإذا لم يكن قد جاء على ذلك الوزن والحروف في كلام العرب يغيرونه.

والتغيير إما أن يكون بتبديل الحركة، كما في لفظَ دهليز التي تقرأ بالفارسية بفتح الدال، وفي العربية بكسرها؛ لأن صيغة فَعليل بفتح الفاء نادرة في لغة العرب. أو بتبديل حرف الذي ليس من حروفهم إلى القريب منه مخرجًا، أو الصفة كما في إبدال السين في دست أصلها: دشت فأبدلت الشين سينًا عند التعريب؛ لقرب السين من الشين في الهمس، وربما أبدلوا ما بعُد مخرجه كما في إبدال الجيم هاء في الكوسج، وعسكر معرب لشكر، منعًا لإدخال ما ليس من حروفهم. أو السكون فقط أي بإسكان متحرك وتحريك ساكن كما في مرزبان. أو بالإسقاط والحذف كما في نشا معرب نشاسته، وبستان معرب، وفيروز معرب فيروزد. أو الزيادة كما في ديباج معرب ديبا، وإبريسم. أو بالتشديد والتخفيف، وبتقليب حرف مكان حرف، وباجتماع قسمين أو أكثر كما في لجام بكسر اللام معرب لُكام بضم اللام، وبريد معرّب (بريده دم)، وطيلسان: معرّب طالشان. وربما ألحقوه بأبنيتهم كما في درهم ألحقوه بهِجرع، وبهرج ألحقوه بسلب، ودينار ألحقوه بديماس، وجورب ألحقوه بكوكب.

- كل كلمة آخرها واو، أو ياء، أو ألف يلحقون بها قافأ أو جيمًا كما في ديباج.
- كل ما كان على وزن فَعليل بفتح الفاء عند التعريب يكسرون الفاء؛ لعدم ورود فَعْليل في لغة العرب إلا ما ندر. وكل ما كان على وزن فَعْلال بفتح الفاء يكسر العرب فاءه عند التعريب كما في هَندام؛ لأن

فَعْلال من غير المضاعف نادر في لغة العرب.

٢- وضح للباحث أن من المعرّب ما له اسم، أي لفظ مرادف في لغة العرب كما في "المسك" الذي عُرفَ باسم المشموم، والقسطاس الذي عُرفَ باسم الميزان، والأُشنان مرادفه العربي الحُرُض، والميزاب مرادفه المِثْعب.

٣- لقد استعمل الشعراء العرب كثيرًا من الكلمات التي نصّ الفقهاء على أنها معرّبة في أشعارهم، وهذا إن دلَّ فإنما يدلّ على قِدَم الأخذ من القبائل الأعجمية.

٤- قد تأتي المعربات على أمثلة كلام العرب؛ لتكون مع إقحامها على العربية شبيهة بأوزانها كما في نيروز؛ لأنه كقيصوم وعيثوم. وقد لا تأتي على أمثلة كلام العرب كما في الآجر، والإبريسم وغيرهما؛ لأنه ليس في كلامهم إفعيلل بكسر الأول بل بالفتح.

٥- أن الكلمات المعرّبة التي وردت في مصطلحات الفقهاء منها ما غيرته العرب وألحقته بكلامها بجعل أبنيته في الأصلي، والزائد، والوزن كحكم الأبنية العربية الوضع كما في درهم الذي ألحق بهجرع. ومنها ما غيرته دون إلحاق بأبنية كلامها كما في آجر. ومنها ما تركه العرب غير مغير كما في كركم الملحق بقمقم.

٦- أن الأسماء المعرّبة منها ما لا يعتد بعجمته، وذلك إذا دخلت لام التعريف عليه كما في: الديوان والإستبرق. ومنها ما يعتد بعجمته، وذلك إذا لم تدخل عليه لام التعريف كما في "عيسى".

٧- أنه يجري على الألفاظ الأعجمية ما يجري على العربية من تصرف واشتقاق كما في درهم وغيرها.

٨- أن العرب قد يعربون اللفظ لمعنى وله نظيره العربي الدال على معنى آخر كما في: الياسمين للزهر المعروف فارسي، وهو اسم عربي للنمط يُطرح على الهودج، فاللفظ المستعمل والدال على معنى فارسي معرَّب، والدال على معنى عربي أصيل.

٩- أن تحديد أصل اللفظ لإلحاقه باللغة التي أخذ منها يحتاج إلى نظر لا يكفي فيه المشابهة اللفظية، فكثيرًا ما تتفق كلمتان من لغتين في لفظ واحد ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة، وإنما يقع ذلك على سبيل النوادر بالاتفاق.. إلا إذا دلّت القرائن على انتقال إحداهما من لغة إلى أخرى، وساعد الاشتقاق على ذلك.

فإذا اتفق لفظان متقاربان لفظًا ومعنى في لغتين مختلفتين، وكان بين أهل تلك اللغتين علاقات متبادلة في التجارة والسياسة وغيرهما فإن إحداهما اقتبست من الأخرى كما في لفظ المسك إذ هو موجود في العربية والسنسكريتية (اللغة الهندية القديمة) وفروعها.. فإذا عرفنا أن المسك كان يحمل إلى تبت ونيبال والصين، وأن الهنود كانوا يحملون الطيب إلى الأمم القديمة ويمرون ببلاد العرب فأخذوها عن الهنود، كما أخذها الفرس عنهم، أو انتقلت إليهم من العربية؛ لأن الفرس يعدونها عربية، والعرب يعدونها فارسية، أو هي في الفارسية باعتبار أنها فرع من السنسكريتية كما في الإنجليزية بطريق التفرع، كما هي في اللاتينية؛ لأنها أخت السنسكريتية، ومنها انتقلت إلى الفرنسية؛ لأنها فرع منها.

١٠- أن ما أخذته العربية من اليونانية وورد في مصطلحات الفقهاء قليل بالقياس على ما اقتبس من الفارسية؛ لأن العرب احتكوا بالآراميين وأخذوا منهم مئات المفردات قبل أن يحتكوا باليونانيين؛ ولهذا رجح العلماء ان أكثر المفردات التي في العربية من اليونانية موجود في الآرامية. ومن الأمثلة التي وردت

في مصطلحات الفقهاء وأخذت من اليونانية: الجصّ، الدرهم، الفندق.

١١- ما أخذته العربية من اللاتينية وورد في مصطلحات الفقهاء أخذ من السريانية أو الفارسية اليونانية وربما العبرية، ومن أمثلة ذلك من أسماء الكيل: القسطاس. ومن أسماء الدينار: الدرهم، الصك. ومن المفردات الدالة على ألقاب ولاة الأمور: القيصر، المنجنيق، القنصل.

١٢- ومن أشهر المفردات التي انتقلت إلى العربية من الفارسية في عصور الاحتجاج أسماء بعض الآنية، والمعادن، والأحجار الكريمة، وأواني الخبز، والرياحين، والطيب، والمنتجات الزراعية والصناعية، والشئون الحربية التي اشتهر الفرس بها، فمن أسماء الآنية: الطشت، الخوان. ومن أسماء الأقمشة: الديباج، الإستبرق، الخز، ومن أسماء الجواهر: الفيروزج. ومن ألوان الخبز: الجردق. ومن الرياحين: النرجس، الورد، الياسمين. ومن منتجات الصناعة: الميزاب. ومن الشئون العسكرية الخندق. ومن الطيب ومنتجات الزراعة: الجوز.

١٣- المعرب حروفه كلها أصلية بالرغم من أن بعض العلماء عامل بعض حروف الأعجمي على أنها زائدة كما في منجنيق.

١٤- حين نقول: اللفظة العربية أو العروبية، فإننا نعني بذلك أنها من كلام العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم التي خرجت من جزيرة العرب قبل كتابة التاريخ وقبل الميلاد بقرون طويلة. كان آخرها خروجهم يحملون الدين الإسلامي، ولغة القرآن الكريم. وعلى ذلك فالأكاديون، والأشوريون، والعمونيون بمختلف تسمياتهم، والأراميون، والعيلاميون، والسومريون، والأدميون، والأنباط وغيرهم. ولغاتهم عروبية خالصة، ويضاف إليها لغة الحبشة الأمهرية والجِعزية، ولهجات أخرى من جنوب الجزيرة العربية اليمنية.

وهكذا يسقط من معرّب اللغة والقرآن ما قال عنه المتقدمون والمحدثون: إنه من الحبشية، أو العبرية، أو السريانية (الآرمية)، أو القبطية. ويبقى ما زُعم أنه فارسي، أو يوناني، أو رومي (لاتيني). فالمقصود بالعربية إذًا كل القبائل التي عرفت بالسامية، وليست مقصورة على عربية عرب الجاهلية والإسلام. وأن عيار التأصيل هو العربية الفصحى. إلا أنه يؤخذ عليهم وجود ألفاظ صرح كثير من العلماء بأنها معرّبة إلا أن الفقهاء لم ينصوا على ذلك كما في ألفاظ: القِرْطاس، والفردوس، والسجيل، وزنجبيل وغيرها؛ ولعل ذلك لشهرتها.

قائمة المراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢م.

٣. الألفاظ الفارسية للسيد أدّي شير، الطبعة الثانية، دار العرب للبستاني، ١٩٨٧م.

٤. البرهان القاطع حسين بن خلف التبريزي، المطبعة العامرة ١٢٨٧هـ ١٨٧٠م.

٥. تاج العروس من جواهر القاموس. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦. تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج. عمر بن علي بن أحمد

الواديا شي الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن سعاف اللحياني.

٧. التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية مع ترجمة كتاب المعرَّبات الرشيدية. د/ نور الدين آل علي، طبعة دار الثقافة، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٩م.

٨. تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه. أ/طوبيا العنيسي، طبعة دار العرب، مصر، ١٩٨٨م، ١٩٨٩م.

٩. تهذيب اللغة للأزهري تحقيق: أ/عبدالسلام هارون مراجعه.أ/محمد على النجار، اللجنة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، طبعة أولى، ١٩٦٤م.

١٠. جمهرة اللغة. ابن دريد، حققه وقدم له رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١١. حاشية البجيرمي على المنهج.للشيخ/سليمان بن محمد البجيرمي .دارالفكر.

١٢. الدراسة اللغوية لألفاظ اليهود والنصارى. الباحث/محمود إبراهيم حسن رسالة ماجستير مكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة.

١٣. ديوان الأعشى ميمون بن قيس: شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السابعة، ١٩٨٣م.

١٤. ديوان أمية بن أبي الصلت. جمعه أ/ بشير يمُّوت، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م.

١٥. ديوان جرير بن عطية الخطفي: تحقيق نعمان أمين طه، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.

١٦. ديوان حسان بن ثابت. تحقيق: ا/سيد حنفي حسنين، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.

١٧. ديوان ذي الرمة. شرح أحمد بن حاتم الباهلي، تحقيق: أ/عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

١٨. ديوان رؤبة بن العجاج. تحقيق: أ/وليم بن الورد، دارالآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

١٩. ديوان عبيد بن الأبرص، دار بيوت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣م.

٢٠. ديوان العجاج. تحقيق: أ/ عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق.

٢١. ديوان عدي بن زيد. تحقيق: أ/محمد جبار المعيبد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد في الجمهورية العراقية، ببغداد، سلسلة كتب التراث٢.

٢٢. ديوان عبد الله بن عمر العرجي. تحقيق: أ/خضر الطائي، ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.

٢٣. ديوان عنترة بن شداد. تحقيق: أ/محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

٢٤. ديوان الفرزدق. دار صادر بيروت.

٢٥. ديوان ابن المعتز. دار صادر، بيروت.

٢٦. الراموز على الصحاح. محمد بن السيد حسن.

تحقيق: د. محمد علي عبد الكريم الرديني، دار النشر: دار أسامة – دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٢٧. رد المحتار على الدر المختار الشيخ محمد أمين بن عمر (بن عابدين)، الناشر دار الكتب العلمية، الطبعة السادسة.

٢٨. سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباق. دار الفكر – بيروت.

٢٩. شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. شهاب الدين الخفاجي، تعليق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، الطبعة الأولى، المطبعة المنيرية، ١٣٧١هـ.

٣٠. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس – تحقيق: أ/مصطفى الشويمي، منشورات مؤسسة بدران، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

٣١. العربية خصائصها وسماتها. أ.د/عبد الغفار حامد هلال، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، مطبعة الجبلاوي.

٣٢. قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها. د/رضا نصر الحتّي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٣٣. قاموس الفارسية. د/عبدالنعيم محمد حسنين، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣٤. قوانين التعريب بين فصحى التراث والفصحى المعاصرة. أ.د./أحمد عبدالتواب الفيومي الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٤م.

٣٥. الكتاب. سيبويه. تحقيق: أ/عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٣٦. الكتاب المقدس. (ويحتوي على كتب العهدين القديم والحديث) طبعة دار حلمي للطباعة، ١٩٧٠م.

٣٧. لسان العرب. ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٣٨. مباحث في فقه اللغة في كتاب الزينة. أ.د./سيد الصاوي، مطبعة العدوي بأسيوط ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٣٩. المخصص. ابن سيده، دار الكتب العلمية بيروت.

٤٠. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، درا الجيل، ودار الفكر، بيروت.

٤١. مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

٤٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. الفيومي، المكتبة العلمية بيروت.

٤٣. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي (الرحيباني) (ت١٨٢٧م)، الناشر: المكتب الإسلامي.

٤٤. المطلع على أبواب المقنع. محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، (ت١٣٠٩م).

٤٥. المعجم الذهبي. د/محمد التونجي، دار العلم للملايين، بيروت.

٤٦. معجم لغة الفقهاء. محمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس، الطبعة الاولى: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م. الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٤٧. المعرب في القرآن الكريم دراسة تأصيلية دلالية. د/محمد السيد علي بلاسي، ليبيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٤٨. معرب القرآن الكريم عربي أصيل. د/جاسر خليل أبو صفية، دار أجا، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٤٩. المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. الجواليقي، وضع حواشيه وعلق عليه خليل عمران المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

٥٠. المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب. جلال الدين السيوطي، تحقيق: د./ إبراهيم أبو سكين، مطبعة الأمانة، ١٤٠٠هـ.

٥١. المعرب والدخيل في اللغة العربية. د./عبدالرحيم عبدالسبحان.

٥٢. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لمحمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي (ت ١٥٩م).

٥٣. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت١٨٣٤م).

ثبت بأهم المصطلحات المعرَّبة التي استعملها الفقهاء

الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
الآجر		الجزاف		الصنج	
الميزاب		الجصّ		الطسوج	
الأشنان		جهنم		الطست	
البازي		الخز		الطنبور	
الباذق		الخوان		الفرسخ	
البيدر		الديباج		الفهرس	
الإبريسم		الديوان		الكرباج	
البرسام		المرزبان		المسك	
الاستبرق		الروشن		النرد	
إبراهيم		الأستاذ		المهرجان	
البستان		المستقة		النيروز	
البنج		السرقين		الهملاج	
البندق		السفتجة		الهميان	
البهرج		الشطرنج		الهندام	

Arabization at Jurists Terms Collecting and Taesela Book "Dictionary of the Language of Scholars" Model

M. A. A. Mohammed
Department of Arabic Language - Faculty of Arts and Humanities - Jazan University - KSA.

Abstract

This research collected the Arabized words, which came in the book "Dictionary of the language of scholars", has focused its objectives as follows:

- Detection words used by scholars of the language of the Arabs.
- Statement of words contained in the dictionary language scholars, and what happened to her voice change in terms of morphological and semantic.
- Balance between what came in the dictionary language scholars and contained in other hope in a statement who preceded and influenced by influence who is to the right.

The extracted text that parsed, following in her analytical approach I mentioned at the beginning of every issue of a title appropriate, then, according to the text of the book noting the author's position. position of his predecessors, and they came after him likely see him, and weakening what I see weak, and then came this research encompassing submitted after booting and appropriated to talk about localization and levels The three sections are: localization level voice. Arabization morphological and syntactic leve Localization on the semantic level. Then conclusion and included the most important results that emerged from this study, and which ones: it expressed what his name of any word synonymous in the language of the Arabs. They were transporting a particular word unchanged and conducting the provisions of Arab intend entering Lam definition. The determination of pronunciation to reassign the language in which the taking of them need to consider not sufficient to similar verbal, often agree two words from two languages in one word and one meaning not be their relationship, but is it for anecdotes agreement…. Unless evidence indicates the transmission of one language to another, and helped the derivation. Finally reported an index of the most important sources of the study.

Keywords: Arabization, Jurists Terms, Taesela Book, Detection words, dictionary language scholars.

صورة المرأة في النمط المثلي السعودي

عصام العصام وعاصم بني عامر
قسم اللغة العربية – جامعة الملك فيصل – المملكة الغربية السعودية.

المُلخّص

تحاول هذا الدراسة أن تتبين صورة المرأة في النمط المثلي السعودي، كما حاكها المجتمع السعودي، لذا تسعى إلى الوقوف على معالم هذه الصورة فنياً، وما رافقها من رؤى إيجابية وسلبية في محاولة لتعليل دلالتها وانعكاساتها على وضعية المرأة، من خلال الكشف عن تأثير الأمثال الشعبية في المجتمع، فالأمثال الشعبية –كما هو معلوم – لا تكشف الخبايا النفسية لكل شعب فحسب، بل هي قوانين اجتماعية شبه ملزمة تسن المعايير التي يخضع لها المجتمع. من هنا اقتضت طبيعة الدراسة أن تنسرب في مسربين فني ومضموني؛ فني يقف على مصادر صورة المرأة، وتكويناتها البنيوية وتشكلاتها الفنية، ومضموني يتتبع مراحل حياة المرأة الفارقة في أخدودها المفصلي في الزواج بوصفه علامة فارقة في حياة المرأة. فأتت صورة المرأة قبل الزواج متمثلة بصورة الفتاة وصورة العانس وغيرها، تبعتها صورة المرأة في مؤسسة الزواج، بوصفها زوجة وأماً، وأخيراً جاءت صورة المرأة بعد فشل تجربة الزواج، فكانت صورة المرأة المطلقة والأرملة.

الكلمات المفتاحية: صورة المرأة، المثل الشعبي المجتمع السعودي, تجربة الزواج, المجتمع.

مُقدّمة

ظلت الثقافة الخاصة (الرسمية) السعودية تنظر إلى الثقافة الشعبية السعودية من أمثال وحكم وخرافات نظر المركز إلى الهامش، مع ما في ذلك من إقصاء وقمع لجانب أساسي ومهم من الثقافة، إلا أن هذه النظرة باتت مرفوضة، حين تعاظم الوعي وتزايد بأهمية الثقافة الشعبية السعودية، لما لها من دور في إغناء الهوية القومية والمحلية، من خلال الانفتاح على الآخر والهامش داخل الثقافة السعودية نفسها بوصفه رافداً أساسياً من روافد الهوية، إضافة إلى ما له من دور فاعل في فهم ذواتنا لما يمتلك من سلطة خارقة. من هنا جاءت هذه الدراسة لتفك عرى التشابك بين ما ترسمه الأمثال الشعبية السعودية للمرأة وما ينبغي أن تكون عليه. وهي إشكالية واجهت الكثير من المصاعب في اقتحامها، لما تنطوي عليه من مخاطر وتظليل، كون الأمثال الشعبية دون باث محدد، وهي في النظام العام للثقافة ليست محصورة في مصدر أو مصادر محددة يمكن الوثوق بها، إضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت مثل هذا الموضوع، بل لا نكاد نجافي الصواب إن قلنا انعدامها، فلم يسعف الجهد في الوقوف إلا على دراسة محمد ألمي، صورة المرأة في الأمثال العامية التونسية، صدرت سنة ٢٠٠٠، وهي تعاين صورة المرأة في الأمثال العامية التونسية.لأجل ذلك كله ولغيره جاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين، تكفل التمهيد بتحديد مصطلحي "الصورة والمثل" وتبيان عظم مهامهما، أما المبحث الأول فوقف على البنية التكوينية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية، في حين رسم المبحث الأخير خط سير السيرة المضمونية للمرأة في الأمثال الشعبية السعودية.

البريد الالكتروني: ealessam@kfu.edu.sa
ردمد: ٦٩٠٥-١٦٥٨

تمهيد

بما أن خطاب الأمثال الشعبية السعودية المختص بالمرأة تعبير عن الواقع في صور متنوعة، كان لا بد من الإجابة عن سؤال مهم ما الصورة؟ تتكشف المعجمات العربية في مادة "صور" عما يدل على الظاهر، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وصفته[١]، أما في المعاجم الغربية فإن المعنى اللغوي للصورة هو "تشكيل هيئات رمزية في مكان محدد"[٢]. أما اصطلاحاً فثمة شبه إجماع على صعوبة تحديد مفهوم جامع مانع للصورة، لأن الصورة متعلقة بجماليات الأدب، ولأن للصورة دلالات متعددة، وترابطات متشابكة وطبيعة مرنة، كما أن ارتباطها بالإبداع أفشل تقنينها لاستلزام نموها وديمومة تغيرها، فهي رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة[٣]، ووسيلة لإيقاظ النفس، وتهييج العاطفة بتجربة شعورية ذات نمط فني إبداعي، يجمع فيها المبدع سواء أكان فرداً أم شعباً – حقائق الكون الخارجية المتعددة فيوحدها، ويعيد خلقها على وفق رؤيا نفسية عميقة تعبر عن منطلق فكري ووجداني، فتفيض بالحياة والحركة عن طريق ألوانها الأسلوبية، وأشكالها الفنية المشخصة بالألفاظ وصياغة العبارات. من هذا المنطلق تكون الصورة النتاج الطبيعي لقصر عمر الإنسان، وفداحة الأمانة التي حملها، وهو ما يرغمه على النظر في كل شيء بعين النسر المحيطة، وعلى الترجمة عن مخاوفه المباشرة بصيحات موجزة، وهذا هو جوهر الفن[٤]. فالإنسان صامت، والصورة تتكلم، إذ من الواضح أن الصورة هي التي تقوى على مجاراة نبضات الطبيعة، فالصورة ليست أداة للمبدع لتصوير العالم، بل هي نفسها العالم، وهو يقدم نفسه في صورة[٥].ولا بد من الإشارة إلى أن الصورة قد تتحقق مستوفية شروط روعتها، وهي تتكئ على الحقيقة دون الخيال، فليست الصورة مرادفة للخيال، فقد نصل إلى الصورة عن غير طريق المجاز، حيث تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير[٦]. "فإذا كان كل مجاز صورة، فليست كل صورة مجازاً، والحقيقة تشاطر المجاز دوره في التعبير الفني والتصوير، وإن القدرة على الإيحاء لا يختص بها المجاز وحده، وصياغة الصورة الحقيقية أعسر من صياغة الصورة الخيالية، لذا عدت الصورة المجازية نمطاً من أنماط الصورة لا نمطها الوحيد، وكل ما في الأمر لا بد من شرط الإيحاء في الصورة"[٧]. من هنا تكون الصورة بناءً ذهنياً يتم على مستوى الذاتية والرمزية والخيال، فالإنسان لا يعي العالم المحيط به وعياً مباشراً من خلال حضور الأشياء بذاتها في العقل، بل يعيها بطريقة غير مباشرة، حيث تتواجد الأشياء في الشعور، عبر صور وكيانات مجازية، تؤطر حياة الفرد وسلوكه في إطار المجتمع، فالمجاز (الصورة) يؤشر نمطاً من التفكير، بل إنه يرمز إلى حقائقنا الواعية واللاواعية، خاصة إذا كان مجازاً شبه مسكوك كما هو الحال في الأمثال، فالمجاز كيفية في التفكير، وكيفية في بناء الحقائق التي نؤمن بها، حيث تبني متشابهات بين طبقات متنوعة من تجاربنا، وتحيل إلى تجربة معينة من خلال تجربة أخرى[٨].

١. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة صور.
2. Encyclopedie universalis. P 452.
٣. سي دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: أحمد الجنابي، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٢، ٢٣.
٤. عبد الرحمن بدوي، في الشعر الأوروبي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥، ٧٤.
٥. المرجع نفسه، ٧٥.
٦. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ٣٤٢.
٧. علي عشري زايد، بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة النصر، ط٣، ١٩٩٣، ٩٨.
٨. محمد ألمي، صورة المرأة في الأمثال التونسية العامية، تونس،

أما لماذا اتخذت المرأة السعودية موطناً للدراسة؛ فلأن النهوض بأوضاع المرأة لا يكون فقط بالتركيز على العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية، بل العناية بتغيير العقليات (الذهنيات) من خلال العناية بالثقافة الشعبية التي تؤطر تصورات وسلوكيات الفرد السعودي، فخطاب الأمثال في جوهره خطاب ذكوري بامتياز، ينتظمه مبدأ المركزية الذكورية، والمفارقة أن المرأة مسؤولة عن تكريس صورتها السلبية كونها فاعلاً أساسياً في مجال التنمية الاجتماعية، بوصفها الكائن الناطق الأكثر خضوعاً للتقاليد والأعراف والعادات، وبصفة عامة للموروث الثقافي، فالنساء هن اللواتي يستعملن الأمثال أكثر من غيرهن، ويعترفن بشرعيتها، ويعتقدن بملاءمتها للفطرة والطبيعة، ويدافعن عنها، وينقلنها إلى أبنائهن إناثاً وذكوراً بوصفها فاعلاً أساسياً في تنشئتهم، وبذلك تصبح المرأة بسبب استلابها عدواً لذاتها، وشرطاً أساسياً لإعادة إنتاج دونيتها بالنسبة للرجل، فتجد النساء أنفسهن مستلبات استناداً إلى معايير الأيديولوجيا الذكورية التي تأصلت، وبكيفية لا شعورية، جعلتهن يتبنين وجهة نظر الرجال في تقييم تصرفاتهن[١]. أما ما يسوغ لاختيار خطاب الأمثال الشعبية السعودية، ما يملكه هذا الخطاب من خصائص، أبرزها انتشاره السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية لسهولة تمثله واستيعابه، ولبنائه التركيبي، وقدرته التعبيرية التي تجعله يعكس مختلف أنماط السلوك البشري، إضافة إلى استمرارية حضوره وانتقاله من جيل إلى آخر، فضلاً على طبيعته المتميزة بالتكثيف وقدرته المجازية، وانعدام انتمائه إلى زمن محدد مع أنه من الماضي، مما يكسبه سمواً وتأثيراً خطيرين على الذهنيات والسلوكيات، كونه يمثل ذلك الزمن الذهبي النبيل الذي يهتصر حكمة الأجداد، فما زال التراث القديم بأفكاره وتصوراته ومثله موجهاً لسلوك الجماهير في حياتنا اليومية. فالمثل "يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المتطور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"[٢].كما بات من سقط المتاع القول بأن وظيفة التشبيه في الأمثال هي التزيين أو التوضيح، فما الشعب، بوصفه باثاً، طباخ يريد أن يزين ما يظهر كي يلذ للناس التقامه، وما هو بمعلم يفترض في تلاميذه الغباء، فيسعى إلى إيضاح ما لا يحتاج إلى إيضاح، لكن التشبيه يضرب في أعماق الوجود الإنساني، الذي يسعى إلى اقتناص الحقيقة، والمشبه والمشبه به إذا ما كثر اقترانهما وترددهما يدلان على علاقة رمزية أبعد من العلاقة الظاهرة بين الطرفين[٣]، فحين ننظر فيما شبهت به المرأة في الأمثال الشعبية السعودية، نجد تكرار تشبيهها بأوصاف معينة، تكاد تكون محصورة فيها، علاقة سيميائية دالة تؤشر البنية الفكرية لمبدعيها.

يؤكد ذلك ما تعززه المعاجم العربية من دلالة لغوية للمثل الذي أخذ من الجذر (مثل) الذي يتوزع في معاجم اللغة بين المفاهيم التي يختلط فيها المحسوس والمجرد،

---

١. محمد ألمي، صورة المرأة في الأمثال التونسية العامية، ٤٧. ٢٠٠٩، ٤٤.
٢. سيد قطب، التصوير الفني في القران، دار المعارف، القاهرة، ط١٠، د.ت، ٣٤.
٣. نصرت عبد الرحمن، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢، ١١٠.

و"التسوية، والمماثلة، والشبه، والنظير، والحديث، والصفة، والخبر، والحدو، والحجة، والند، والعبرة، والآية، والمقدار، والقالب، والوصف والإبانة". ولقد جاء في لسان العرب المثل: الحديث نفسه، والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله (...) وقال الجوهري ومثل الشيء أيضا صفته (...) وقد يكون المثل بمعنى العبرة، ومنه قوله عز وجل "فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين"، فمعنى السلف أنا جعلناهم متقدمين يتعظ بهم الغابرون (...) والمثل ما جعل مثالا مقدارا لغيره يحذى عليه"[١]. بالإضافة إلى دلالات أخرى. أما تعريف المثل اصطلاحا في كتب الأمثال، فهذا السيوطي يعرفه بقوله "جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني؛ فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها"[٢]. ونجد العسكري في كتابه "جمهرة الأمثال" يذكره بقوله: "ولما عرفت العرب الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوا في أوقاتها من الألفاظ ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها ويسير مؤنتها على المتكلم من كثير عنايتها، وجسيم عائداتها"[٣]. وفي تعريف حديث للمثل تقول نبيلة إبراهيم "هو القول الجاري على ألسنة الشعب والذي يتميز بطابع تعليمي، وشكل أدبي يسمو على أشكال التعبير المألوفة، فالمثل قول موجز أو حكاية رمزية شائعة، يتمثل بها الإنسان في حالة يعيشها، أو موقف يقفه، فيشبه به ضمنيا الحالة التي مر عليها بالحالة التي قيد فيها المثل"[٤] ويذهب مالينوفسكي إلى القول بأنه من الخطأ أن ينظر إلى الأمثال على أنها شكل من أشكال الفلولكور بل هي حكم قصص، وانتقاد لاذع للحياة، وتعبير شعبي يعكس الخلفية التاريخية، وخبرة الإنسان التي اكتسبها من خلال ممارسته للحياة نفسها، ولعل التركيز من أهم السمات الطاغية عليها[٥].

ومن خلال هذه التعاريف يمكننا القول بأن للوسط المثلي الشعبي شواغله وفنونه، يأخذها السلف عن الخلف مشافهة، وبطريقة عفوية خالية من التكلف، ومن خلال المعاملات اليومية وداخل المساكن، وفي الشارع، وفي الأسواق، وعلى أبواب المتاجر وغيرها من مظاهر الحياة اليومية؛ لذا فهو يتمتع بخصائص تنماز به عن سائر أجناس الأدب الأخرى، فإذا جعل الكلام مثلاً "كان أوضح للمنطق، وآلف للسمع، وأوسع لشعوب الحديث"[٦]، وتراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى أبتذلوه فيما بينهم، وقنعوا به في السراء والضراء، ووصلوا به إلى المطالب العصية، وهو أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو قصر في الجودة[٧]، فلذا يقال "أسير من مثل".

١. ابن منظور، لسان العرب، مادة مثل.
٢. السيوطي، شرح الفصيح، ٣٧.
٣. العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ظ٢، ٧٢.
٤. نبيلة إبراهيم، نقلا عن أمينة فزازي، مناهج دراسات الأدب الشعبي، المناهج التاريخية والانثروبولوجية، والنفسية والمورفولوجيا، في دراسة الأمثال الشعبية، التراث، الفلكلور، الحكاية الشعبية دار الكتاب الحديث، ٢٠٢٢، ٧٩.
٥. مالينوفسكي، نقلاً عن المرجع نفسه، ٧٩.
٦. ابن المقفع، نقلا عن عبد الرحمن، سلسلة عالم الأمثال الشعبية. ١٧.
٧. الفارابي، نقلاً عن المرجع نفسه، ١٥.

البنية التكوينية لصـــورة المرأة في الأمثال الشـــعبية السعودية:

مصادر صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية:

متحت صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية بنيتها التكوينية من مصادر خاصة متنوعة، أسست لهذه الصورة وأطرتها بإطار أعطاها خصوصية، انمازت بها عن غيرها من الصور في الأقطار العربية الأخرى، وقد انداحت هذه المصادر في البيئة والأسطورة والتجارب والمشاهد الشخصية والثقافة والخيال.

البيئة:

نلحظ تنوعاً في البيئة التي أسست للمثل الشعبي السعودي لسعتها وترامي أطرافها وتنوعها، فمن بيئة صحراوية إلى جبلية إلى بحرية، والبيئة في أبسط مفهوم لها "مجموع الظروف الطبيعية التي تحيط بالإنسان وتؤثر فيه"[١]، أي ما يحيط بالإنسان من عوامل طبيعية ترجع إلى حالة الإقليم الذي يسكنه والعوامل السياسية والاجتماعية التي تؤثر في تفكيره[٢]، وقد كان للبيئة السعودية الأثر الأعمق في رسم صورة المرأة في النمط المثلي السعودي، إذ تعد مصدرا مهما من المصادر التي متحت منها المرأة صورتها في الأمثال الشعبية السعودية. وبما أن أظهر ما في البيئة السعودية، تلك الصحراء القاحلة الجافة، والتضاريس الصعبة التي لا يقوى على قسوتها إلا من امتلك القدرة على تحمل أصعب الظروف، جاءت صورة المرأة في الأمثال مفعمة برائحة تلك الطبيعة القاسية، بدءاً من صورة الغزو ممثلاً بالسلب والنهب، والذي جاء في تلك الصورة التقليدية لذلك التعارك والتطاحن الذي كان مهيمناً على الصحراء "يطعن ويطحن والبنات مخفّرات"[٣]، فالطعن صورة لذلك الاستبسال الرجولي الذي يمارسه الفارس إعلاء لشأنه أمام ملهماته المخفّرات. أما الإبل وهي المكون الرئيسي والبارز في تلك الصحراء، فقد دمغت أمثال المرأة، وكانت مصدراً خصباً فيها، ظهر ذلك في تشبيه المرأة الثرثارة كثيرة الطلبات بصورة التدفق الفموي اللامحدود للإبل، فجاء المثل الشعبي "ثغايه ورغايه"[٤]، فثغاء المرأة، ورغاؤها صورة لتلك الثرثرة التي صاحبت بعض النساء اللواتي تسيطر عليهن كثرة الكلام. أما البيئة الزراعية، فظهرت في أدوات الفلاحة ومتعلقاتها التي صاحبت المرأة، كونها صاحبة الشأن في هذا العمل كما تؤكد المصادر التاريخية، يقول المثل السعودي: "حطب عميا"[٥] في صورة ترسم خرق بعض النساء، فلا يتقن ما يفعلن بل يجعلنه تراكمات من الفوضى.

الأسطورة:

الأسطورة "حكاية ذات أحداث عجيبة خارقة للعادة، أو وقائع تاريخية قامت الذاكرة الجماعية بتغييرها وتحويلها وتزينها، أي إنها رموز لرغبات غريزية وانفعالات نفسية، وقد احتضنت الأسطورة كثيراً من الصور التي رسمتها الأمثال الشعبية السعودية للمرأة. "حجام ساباط إلى ما لقى أحد يحجمه حجم أمه"[٦]، حجام ساباط صورة أسطورية تؤشر ماض اختزنته الذاكرة السعودية وبقي في اللاوعي الجمعي وما زال جاثماً في البنية الفكرية

١. جليلة الماجد، البيئة في القصة السعودية القصيرة، نادي الأحساء الأدبي، ٢٠٠٩، ١٥.
٢. إبراهيم السعافين؛ خليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، جامعة القدس المفتوحة، عمان، ١٩٩٧، ٤٤.
٣. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ، ٢١٩.
٤. المرجع نفسه، ٣٣٣.
٥. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩، ٤٠٢.
٦. المرجع نفسه، ٣٩٠.

السعودية، ومثل ذلك جحا تلك الشخصية الأسطورية التي تغنى بها العرب في كثير من نوادرهم وقصصهم وطرائفهم، فنراه يؤشر من يفرط بالغالي والنفيس مقابل الرخيص. بقوله: "جحا يحد أمه بما لا يسوى"[١]، فاختياره لجحا لم يأت عبثاً، إنما لما تحمله هذه الأسطورة من قيمة في اللاوعي الجمعي للشعب، تتحول فيها الأم إلى سلعة في نوع من المقايضة، بل والنظر إليها على أنها ورقة رابحة، واقتران الأم بتلك الشخصية، يؤشر النفيس (الأم) والرخيص (جحا) في صورة ضدية تهكمية تبرز فيها المفارقة.

التجارب والمشاهد الشخصية:

جاءت العديد من صور المرأة في الأمثال الشعبية السعودية بفعل مواقف شخصية وتجارب ذاتية، حدثت مع أفراد بعينهم وهو ما سطرته بعض قصص الأمثال، فلا يمكن تجاهل ما وراء قول المثل الشعبي من تجربة شخصية صيغت على شكل قصة ابتعثت هذا المثل، "مراتي ومراته خوات"، ذكروا في أصله أن عبداً لقي آخر، فأخذ يقبله ويرحب بمقدمه ، ويبالغ في الحفاوة به، وسؤاله عن أهله وذويه، ويسأله أحد الحاضرين عن صلته بهذا الشخص الذي بالغ في الترحيب به، فقال العبد إنه قريبي وضغط على كلمة قريبي وحين ألحّ عليه في صلة القربى احتار وقال "مراتي ومراته خوات"[٢] يُضرب لأهمية المصاهرة وللقرابة البعيدة.

الثقافة:

نبعت كثير من صور المرأة في المثل الشعبي السعودي من الموروث الديني والتاريخي الثقافي، فقد تسنم تلك المصادر سنة الرسول الكريم، حيث كان للأحاديث دور واضح في رفد أمثال المرأة، يقول المثل: "المره خلقة عوجا"، وهو مثل مستلهم من الحديث النبوي "خلقت المرأة من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه"[٣]. "النساء حبائل الشيطان"[٤]، "المرأة خلقة عوجه"، "المرأة خلقت من ضلع أعوج"، عن أبي هريرة مرفوعاً "استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء"[٥] ومن ذلك أيضا قول المثل""سكوت البنت رضاها"[٦]، و"إقرار البنت رضاها"، و"السكوت علامة الرضا"، مستل من حديث النبي الشريف "البنت أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها من نفسها، وإذنها صمتها وربما قال وصمتها إقرارها"[٧]، كذلك فيه تناص مع الحديث النبوي القائل "لا تزوج البكر حتى تستأذن وسكوتها رضاها". و"بيت الأناثي مرزوق"[٨]، وهي صورة أخرى للحديث النبوي "من رُزق ابنتين فأدبهما وأحسن تأديبهما كانتا له ستراً من النار".

إضافة إلى ذلك فقد استلهم المثل الشعبي السعودي صوراً أخرى من الثقافة العربية وكرسها في سيرورته، مثل قول المثل: "ابن العم ينزل بنت العم عن الفرس"، فهي

١. السباعي (أحمد)، الأمثال الشعبية في مدن الحجاز، مكتبة تهامة، جدة، ١٩٨١.
٢. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٦٣٤١.
٣. المرجع نفسه، ٧٢٠.
٤. الحافظ العراقي، تخريج أحاديث الأحياء، ٥٥/٣.
٥. متفق عليه.
٦. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٣.
٧. أخرجه مسلم.
٨. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٨٤.

عادة وتقليد عربي يصعب تجاوزه، يسطر سلطة ابن العم على بنت العم وأحقيته في امتلاكها، ومنه أيضا قول المثل "بغيضة وجابت بنت"[١] وهو تقليد عربي سطر كره الفتاة وحب الولد، أما الثقافة المحلية فقد مثلها خير تمثيل "على ما تتبرقع الحولة يعزل القاضي من الدولة"[٢] والتبرقع سمة محلية اتسم بها المجتمع السعودي.

الخيال:

يعد الخيال مصدراً خصباً من المصادر التي أسست لصورة المرأة في النمط المثلي السعودي، وهو "قوة عقلية تجمع بين شتات العناصر"، إذ إن بعض الأمثال كانت نتاج قوة عقلية خلاّقة، استطاعت أن تؤلف بين مجموعة من العناصر اللغوية والفكرية المتفرقة، فخرجت بتوليفة تسطر معنى إنسانياً، يتناسب مع عقلية ونفسية من ألفه، فنجده يرسم صورة للمرأة البارعة الخلاقة قائلاً: "الشاطرة بتغزل برجل حمار"، وهي صورة تكونت بفعل استحداث علاقات جديدة بين المفردات، فقد قدرت العقلية السعودية على توليف العديد من الألفاظ المتباعدة (شاطرة، بتغزل، رجل، حمار) لاستحداث صورة جديدة تؤشر معنى عميقاً، وهي مفردات بينها بون شاسع لكن اللاوعي الجمعي استطاع توليفها بطريقة مستحدثة لا تخلو من المحلية الخلاقة التي قدرت على استخلاص معنى جميل من مفردات متباعدة في الواقع المعيش.

البنية الفنية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية:

تكشف معاينة صورة المرأة إحصائياً عن ترتيب إحصائي سيطر على منظومة الصور المجازية وغير المجازية للمرأة في الأمثال الشعبية السعودية، جاء كما هو مبين في الجدول الآتي:

نسبة الشيوع في الأصناف المجازية في العينة المثلية:

الرقم	الأصناف المجازية	عدد مرات كل صنف مجازي وغير مجازي	نسبة الشيوع
١	المجاز العقلي	٥٠	%١٦,٤٤
٢	المجاز المرسل	١٠	%٣,٢٨
٣	الاستعارة	٥٦	%١٨,٤٢
٤	التشبيه	٦٨	%٢٢,٣٦
٥	الكناية	٧٢	%٢٣,٦٨
٦	صور غير مجازية	٤٨	%١٥,٧٨
المجموع		**٣٠٤**	**%١٠٠**

الحديث عن المجاز حديث عن شطر كبير من الصورة[٣]، وقد أظهر الاستقراء البياني الإحصائي أن عدد الأمثال الشعبية السعودية المتعلقة بالمرأة بلغت مئتين ومثلا (٢٠١)، كما بلغت الأصناف المجازية في هذه الأمثال (٣٠٤) أصناف، وقد ترتد مضاعفة الأصناف المجازية على عدد الأمثال إلى طبيعة الحياة السعودية التي بدأت تأخذ طابعاً حداثياً يميل إلى التعقيد والغموض، مما يتطلب عقلية مركبة تلتمس فك غموضها وتعقيدها،

١. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٧٣.
٢. حسين محضر، الأمثال العامية في مكة المكرمة، نادي مكة الأدبي، دت، ١١٥.
٣. منير سلطان، الصورة الفنية في شعر المتنبي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٢، ١٠١.

يؤكد ذلك ما جاء في تعريف البيان من أنه "العلم الذي يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرائق متعددة"[١]، مما يبعث على الحاجة إلى عقلية مركبة، وهو ما تؤكده فلسفة البيان كونه وسيلة لتوليد الأفكار الجديدة، إذ إن العصر الحديث تميز باللهاث وراء كل مستحدث جديد، إضافة إلى أن تعقد الحياة أصبح بحاجة إلى تحليل وتوضيح ليتيسر فهمه، وهو الدور الثاني الذي يضطلع به البيان لكي يكتسب الكلام وضوحا وجاذبية.ناهيك عن أن من وظائف البيان تقديم نوع من البراهين والأدلة التي تلقى قبولا عاما، ولا سيما عند أولئك الذين يعتمدون على مشاعرهم، إذ يختزل في عدم الوثوق بالبعد المعرفي في هذا العصر، وهو ما يفسر طغيان الأصناف البيانية على أمثال المرأة.وإذا كنا نؤمن أن التقديم والتأخير محكوم بالأهمية[٢]، كان ورود نسبة شيوع هذه الأصناف في الجداول الإحصائية مؤشرا دالا على بنية عميقة تحكم انخفاض نسبة شيوع هذه الأصناف المجازية وارتفاعها.

ورد صنف (الاستعارة) بنسبة (١٨,٤٢%)، وتعليل ذلك في ظني نابع من أن طبيعة البيئة السعودية لا تخلو من التعقيد والتشابك، كون الاستعارة تزدهر في البيئات المعقدة، والظروف الغامضة الملتوية التي تحتاج إلى إعمال ذهن وكد قريحة، وثمة تعليل آخر لارتفاع نسبة شيوع الاستعارة، هو أن الاستعارة تعطي الكثير من المعاني باليسر من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدداً من الدرر[٣]، والعصر الحديث هو عصر السرعة والإيجاز والاقتضاب، ولا وقت للإطناب والإسهاب في سائر المجالات.ويبدو أن النفوس لم يعد يؤثر فيها وصف الأشياء كما هي حقيقة؛ لانعدام المبالاة، ولكثرة المعاناة أصيب الناس بشيء من ضعف الإحساس وتبلده، مما اقتضى بعث الحياة من جديد عن طريق خلع الحياة على ما لا حياة فيه، بتجسيد المعنويات، وتشخيص المجردات، وبعث الحياة في الجمادات، فاحتاج الأمر إلى المبالغة في إبراز المعنى وإظهاره بصورة حركية وهو ما ترمي إليه الاستعارة. فالاستعارة "تسمو إلى مدا رج العلو البلاغي، فتصور المعاني تصويراً قوياً مجسماً يشاهده الإنسان ويلمسه، فتؤثر في السامعين وتستولي على عواطفهم وتحرك مشاعرهم"[٤]. وتبرز البيان في صورة "مستجدة... وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد"[٥] فهي وسيلة كشف وابتداع واستحداث، وليس هناك عصر بقادر على الاستغناء عن هذه المقومات إنما تتفاوت في دورانها من عصر لآخر حسب ظروف تعقده وتشابكه. لذا جاءت مرتفعة في أمثال المرأة في المجتمع السعودي كونه بدأ يخطو نحو الحداثة.

يتكشف اكتناه البنية التحتية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية عن هيمنة واضحة للتشبيه على سائر العناصر البنائية الأخرى، والأمر يعود في ظني إلى أن المثل في أساسه محكوم المشابهة، لذا ورد التشبيه بنسبة (٢٢,٣٦%)، وهو ما يؤكد أن التشبيه يقوم على البيان والوضوح، فالمشبه به يسهم في توضيح المشبه، وطبع

١. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٠، ٢٢.
٢. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ط١٦، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٢، ١٨٤.
٣. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط٣، مطبعة عيسى الباب الحلبي، ١٩٩٣، ٣٣.
٤. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، ١٨٧.
٥. المرجع نفسه، ٣٢.

"النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، والتدليل عليه وأن تردها في الشيء إلى شيء آخر، هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر"(١)، وليس الخبر كالمعاينة ولا الظن كالتعيين.وحين نتقدم خطوة أخرى إلى الأمام نلحظ زيادة نسبة شيوع المجاز العقلي إلى (١٦,٤٤%) في أمثال المرأة مما يظهر حرص مبدعي المثل على إسناد الأفعال إلى غير فاعلها الحقيقي، انطلاقا من سعة مداركهم، وتوسعهم في اللغة.

وقد بلغت نسبة شيوع الكناية في أمثال صورة المرأة (٢٣,٦٨%) وهي نسبة مرتفعة ولعل الأمر يعود إلى أن الكناية تحمل في ثناياها شاهدها ودليلها، وما هو علم على وجودها، وهذا أرسخ من إثبات المعنى نفسه، وهو ما يتطلبه العصر الحديث بسبب طغيان المنطقية والعقلانية، إضافة إلى أن الروابط بين أبنائه لا تمكُن إلا بالمواثيق والدلائل، على العكس مما كان سائدا قديما، إذ كانت الكلمة ميثاقا حتى لو أودت بحياة قائلها.

وفي الوقت نفسه دفع تأصيل البعد الحضاري، وزيادة التقدم والرقي في العصر الحديث إلى تراكمات في فن الذوق أو (الإتيكيت) بين الناس، وهو ما أسهم في زيادة نسبة الشيوع، إذ إن من الأهداف البلاغية للكناية "التعبير عن المعاني المستحسنة بألفاظ لا تعافها الأذواق ولا تمجها الآذان"(٢).

والكناية تجسم المعاني فتضعها في صورة حسية ملموسة فتظهر ما خفي ودق، وما عجز القارئ عن رؤيته، كذلك تعطي المعنى مصحوباً بالبرهان، فيكون ذلك تثبيتاً له في الذهن وتأكيداً(٣). واللافت هو تدني نسبة شيوع المجاز المرسل، فجاء بنسبة (٣,٢٨%) على الرغم مما يوفره المجاز المرسل من حرية واسعة أمام مبدعه في التحليق بخياله وخيال المتلقي، وما يسمح به من إطلاق لعنان الفكر، والظن في تفسير هذا الانخفاض أن أمثال المرأة السعودية لم تجئ بدافع تزييني بقدر ما هدفت إلى تصوير مضامين وأفكار، خاصة حين نعلم أن المجاز المرسل يضفي على المعنى حسناً وبهاءً من خلال تأكيد المعنى وتقريره في النفس، لأنه كدعوى الشيء بالبينة، وتصويره المعنى خير تصوير وأجمله، وذلك بالإيجاز في العبارة(٤).

أنماط صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية

الصورة ذهنية تعتمد في تخلقها على فكرة طازجة، قد يكون مصدرها الوجود الخارجي، ثم تتحول من وجودها الخارجي المادي إلى تنسيق من داخل الشعب المبدع الذي يخلع عليها من روحه وإحساسه، حتى تتجلى كياناً ناطقاً بما اعتمل في ذهنه ووجدانه، فكانت الصورة وفقاً لذلك حسية نفسية. تقرت الدراسة لتقري صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية المعاصرة بجملة من الضوابط أو الأشكال لتكشف عن أنماط هذه الصورة وبواعثها النفسية. كثيرة هي أنماط الصورة إن نحن تتبعنا حصرها من فلسفات تقسيم النقاد لها، لكن دراسة صورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية هو من فرض التنوع التي هي عليه، فالنص المثلي هو الوحيد القادر

١. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، ٧٤.
٢. عائشة حسين، البيان في ضوء الأساليب العربية، ٥٥.
٣. المرجع نفسه،٢٢١.
٤. المرجع نفسه،٢٤٥.

على فرز الصورة التي يمكن أن يُدرس عليها، فخلق مناهج تفسيره وتحليله وتأويله فنطقت بتشكلات صوره.

الصورة الحسية:

لن تقف الدراسة عند الصور الحسية التي ترصد الواقع الخارجي للمرأة في مظهره السطحي في المثل الشعبي السعودي رصد محاكاة، بل ستتجاوزه إلى ما خلف الحس من عوالم كما جاء في الصورة البصرية.

الصورة بصرية:

حاسة البصر من أقوى الحواس في الإنسان حفظاً للمشهد العيني، فالعين هي مخزن الرؤية الذي يفضي إلى الإحساس النفسي بالجمال والقبح، وليس الإبصار المادي بالعين الباصرة وحده منبع الإحساس، بل إن عين البصيرة والخيال ترقى بالتصوير البصري من البصر إلى الرؤية بعين الخيال[١]، وقد جاءت صورة المرأة البصرية في النمط المثلي السعودي لونية وضوئية. يعد التشكيل باللون من خلال الصور البصرية، من أهم ما رسم به المثل الشعبي السعودي صورة المرأة، إذ لم يكن اللون من أجل الزخرفة والتلوين الشكلي، فقد كانت الألوان صورة نفسية فنية، تكشف عما يقف خلفها من عوالم نفسية محجوبة، أي مناطق خفية في نفس باثها، مما كتب لها الخلود الفني تراثاً ومعاصرة. فقول المثل على لسان المرأة: "لا تعايرني يا أبو أولادي أنت الأسود وأنا الرمادي"[٢]. صورة لتلك القتامة الخبيئة وراء نفس أهلكتها الإهانة. ما يكشف عن صورة بصرية لونية وتشخيصية، تعكس حالة نفسية تتجاوز ظاهر اللون، تخفي خلفها حالة من التوتر والشجن، وقد لاحظ علماء الألوان في تقديمهم تفسيراً نفسياً جمالياً للألوان، أن كل لونين من الألوان المتجاورة مثل (الأسود، الرمادي) يوجد بينهما توافق وانسجام، على أن يكون اللون التالي قاتماً عن اللون الذي يعلوه مباشرة، وهو ما حدث في المثل الشعبي السابق، وظفت المرأة اللون بما خلعت عليها من مشاعرها القلقة، فربطته ربطاً رمزياً، بوصفه رمزاً من رموز القلق والحزن، يحاكي سواداوية مشاعرها في فكرة التساوي في الفعل، وبالتالي في الذنب.

كذلك مثل (الضوء واللون) في الأمثال الشعبية السعودية ثنائية تخلع على المرأة نوعاً من الإبهار البصري، بشقيه الإيجابي والسلبي، "الخنفسانة شافت ولدها على الحيط، قالت يا عزي لولو الخيط"[٣] ففي صورة تحشد بين المتناقضين (البياض والسواد) مزج المثل الشعبي السعودي بينهما لإنتاج دلالة منفرة، أتى فيها الضوء بوصفه لوناً مشرقاً (بياض اللؤلؤ) في مقابل اللون المعتم (الأسود، الخنفسانة)، فبين ثنائية (الضوء/الظلمة) وسيلة لتشكيل صورة بصرية ضوئية، غالباً ما تعكس إشراق النفس التي تضيء قبالة من يستكشف فيها حقيقة واقعه السلبي الذي يعيش حيث إن المرأة لا تعيب وليدها وتراه رؤية مغايرة لواقعه الحقيقي.

الصورة سمعية:

أتت في النمط المثلي السعودي المختص بالمرأة من استقبال المتلقي لها وتحويلها إلى صورة نطقية، أي أن السامع متكلم بالقوة، إذا هو امتلك ما قد حوله المتكلم إلى أحداث نطقية"[٤]. يقول المثل "بخت أمها تصره في كمها"[٥]. لقد صور المثل صوت الصر يتجاوب في

١. حافظ المغربي، الصورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٩، ١١٠-١١١.
٢. حسين محضر، الأمثال العامية في مكة، ١٢٧.
٣. حسين محضر، الأمثال العامية في مكة، ٧٠.
٤. كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، ١٤.
٥. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٥٠.

إيقاع شجي يتكرر عبر صوت الكم الذي تكرر في تكرار حرف الراء الذي سماه علماء الأصوات حرف شدة، وهو ما يمكّن متانة العروة بين الأم والبنت حتى لو تغاير الزمان.

الصورة اللمسية:

تعد حاسة اللمس من الحواس المتميزة الموكلة بتحديد قيمة الواقع الحسي للأشياء، وتأتى عن طريق الجلد من حيث البرودة والسخونة، أو اللين والخشونة، أو الألم واللذة. ومن ذلك قول المثل: "هي بنت أو راجع؟ قال بين يديك يا خاطب"[١]. جاءت هذه الصورة اللمسية بنوع من التندر الجنسي، فلم تكن صورة جنسية مكشوفة، إنما عبر عنها بلازمة أو قرينة تؤشر المعاينة للتأكد من صدق التجربة، وكذلك من الصور اللمسية قول المثل "ما يحك شعري إلا ظفري"[٢]، فالحك يأتي عن طريق اللمس وهو صورة لذلك الاعتماد على النفس في متطلباتها.

الصورة الذوقية:

تعد حاسة الذوق من أقدر الحواس تعبيراً عن مدى تمتع الإنسان بالصحة أو مجافاتها، ويمكن أن يكشف عن مزاجه، وحالته النفسية، فهي التي تميز حلاوة الشيء من مرارته، وقد استلهم المثل الشعبي السعودي المختص بالمرأة هذه الأشياء، وحولها بفيض من روحه، بما يسمو عن المذاق لما يطعم أو يشرب حسياً باللسان إلى آفاق من التعبير عن حالات نفسية. إضافة إلى اتباع ذلك بضرورة الذوق لأجل المعرفة، فمن لم يذق لم يعرف، يؤكده الشاعر بقوله:

لو كلت ألفي رطل خمر لم تكن نشوان إن لم تشرب[٣]

ومما يعضد طفو هذه الصورة على السطح قول المثل: "اللي يستحي من بنت عمه ما يجيب ولاد"[٤]، فمن لم يمارس العملية الجنسية لا يمكن له أن يدعي معرفتها، فالأولاد نتاج هذا الذوق الفعلي.

الصورة العقلية:

وهي صور تنحى منحى مغايراً للصورة الحسية من حيث عنايتها بالجانب الذهني، فتعتمد على الحجج والبراهين والأقيسة التي تخاطب العقل أكثر من خطابها للوجدان، أي الصورة التي يتجه فيها الخيال إلى مدارك العقل الذهنية، فيكون الخيال خاضعاً لقوة العقل، بعيداً عن منطقية الشعور والأحاسيس، وإن تعلقت الصورة العقلية بالعاطفة، فإنها العاطفة التي تحقق الوحدة العضوية، نجد فيها مسارب العقل إلى احتضانها الدقيق[٥]."إذا أردت أن لا تزوج ابنتك فغّل مهرها"[٦]. وتسلسل المثل في طرح مقدمات، أفضت إلى نتائج منطقية، فمن غالى في مهر ابنته (مقدمة) لن يزوجها (نتيجة).

الصورة القصصية:

عرف المثل الشعبي السعودي المختص بالمرأة الصورة القصصية، أي تلك الأمثال التي تتخذ من عناصر القص وسيلة إلى الوصول إلى مبتغاها، فهي صورة مستلهمة من القص تارة، ومن الحوار تارة أخرى، امتد المثل من خلالهما إلى المتلقي باثاً التجربة النفسية والجمالية،

١. المرجع نفسه، ٣، ٩٥٢.
٢. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٣، ١٢٧٧.
٣. نقلا عن ذاكرة الباحث.
٤. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٦٥٧.
٥. أحمد عبد الحميد إسماعيل، مقومات الصورة في الشعر مملكة غرناطة، مخطوط دكتوراة بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة، ١٩٩٦، ٨٤.
٦. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٣٤٥.

فالصورة القصصية في المثل السابق قائمة على أسلوب السرد والحوار، الذي يوحي بتعدد الأصوات في نسيج الصورة، كما يلقي بعض الأفكار في حيادية تامة، وهذه الأفكار تشف بدورها عن شخصية مبدعها[١]. قال: بنت المؤذن من يأخذها، قال يؤخذها مؤذن مثله"[٢]، ففي هذه الحوارية يتجلى البعد السردي مما يكشف عن شخصيات قصصية وأحداث وزمان ومكان وحل، وهو نمط شاع وانتشر في أمثال المرأة.

الأبعاد المضمونية لصورة المرأة في الأمثال الشعبية السعودية:

شكل الزواج في المنظور الشعبي السعودي علامة فارقة في حياة المرأة، حتى أن مصيرها يتحدد بالقياس إلى محطة الزواج، من هنا ارتأت الدراسة مفصلة الصورة المضمونية للمرأة من خلال وضعها داخل مؤسسة الزواج وخارجها.

صورة المرأة قبل الزواج:

صورة (المرأة / الفتاة):

ترسم الأمثال الشعبية السعودية صورة سلبية، وأخرى إيجابية للفتاة، حيث يبدأ التمييز منذ لحظة الولادة بين الأنثى والذكر، فقد سطر المثل الشعبي ذلك بقوله: "لما قالوا لي ولد اشتد ظهري واستند، ولما قالوا لي بنت انهدت الحيطة علي"[٣]. المولودة غير مرحب بها في المثل الشعبي السعودي، وهي مصدر من مصادر القلق والهم الذي يعتور كل من يبتلى بها. "صوت حية ولا صوت بنية"[٤]. و"موتهن راحة"[٥]. فثمة أمثال تعبر عن رفض الأنثى وتتمنى لها الموت سريعاً قبل أن تكبر، وتلحق العار في الأسرة، فكراهية ولادة الأنثى "صوت حية ولا صوت بنيه". بنية فكرية تغلغلت في النمط المثلي السعودي، يؤكد ذلك المثل بقوله: "الذي تموت بنيته من صفاوة نيته"، و"أمنكم الله عارها، وكفاكم مؤنتها، وصاهرتم قبرها"[٦]. وأكد هذا التمييز بتشديد الرقابة على على المولودة منذ بدأ حركتها "إذا بنتك دبت وحبت اسأل أمها إيش خبت"[٧]، وستظل تؤرق كل من تكفل بمسؤوليتها "هم البنات للممات". انحاز المثل الشعبي السعودي إلى الذكر على حساب الأنثى، لأن صانع المثل في الغالب هم الرجال من الفلاحين، والبدو الذين يفضلون الولد لغايات عدة، منها أن الولد يساعد أباه في العمل ويعينه على قسوة الحياة، فهو أداة الإنتاج الأولى في المجتمع، إضافة لما يتمتع به من صفة الحماية، فهو المدافع الأول عن حمى القبيلة في مجتمع قوانينه الأساسية تعلي من الغزو بل تعده قانون العيش، أما البنت إضافة أنها لا تنتج فإن مصيرها خارج بيت أهلها، فخيرها لزوجها وأهله وعارها على أهلها، فهي أداة ضغط يمكن استغلالها في تصفية الخصم، وإنهائه وإن كان هذا الفهم قد بدأ يخف بسبب اختلاف ظروف الحياة، ودخول المرأة سوق العمل، إلا أن سطوة هذه الأمثال ما زالت ذات فاعلية قصوى، إذ إنها انحدرت من زمن ماض، وظلت محملة بذاكرته، فهي كلشيهات نمطية تحمل عبقها في ثناياها، ولم تتخلص من ماضيها القاسي تجاه الأنثى مع مرور مئات السنين.ومن جهة أخرى ثمة إيجابيات سطرها النمط المثلي السعودي للفتاة

١. أحمد إسماعيل، مقومات الصورة في مملكة غرناطة، ١٩١.
٢. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٩٩٣.
٣. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٧٩.
٤. المرجع نفسه، ٧٩٣.
٥. نقلا عن مدونة في الانترنت بعنوان الأمثال الشعبية السعودية.
٦. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ٢٥٠.
٧. المرجع نفسه١١٥٠.

صغيرة السن، فهي محببة كونها سهلة الانقياد والخضوع لسلطة الرجل "يا ماخذ الصغار يا غالب التجار"، وهي صورة أو مادة خام يمكن أن يشكلها الرجل كما يريد، ومن ثم فهي مصدر خير له. "خذها صغيرة تربيها على إيدك"(١).

صورة (المرأة/العانس):

يطرح المثل السعودي مشكلة العنوسة عند المرأة بشكل كبير، في حين أننا قد لا نجدها تذكر بالنسبة للرجل، حيث تتحول البنت إلى عانس أو بايرة إذا تجاوزت سن الزواج الذي هو سن مبكر في المجتمع السعودي. حيث يقول المثل: "ظل راجل ولا ظل جدار"(٢) بل "الجوز رحمة ولو أنه ما يجيب إلا فحمة"(٣)، ويذكر على سبيل السخرية واليأس "استني يا زريقة حتى يجيكي العريس"(٤)، كون "الخُطّاب ألف والمتجوز واحد"(٥). ومن حظيت بزوج ولو كان بمواصفات متدنية، حازت الخير كله، فـ "زوج من عود خير من قعود"(٦).

فالمكان الطبيعي للفتاة التي بلغت سن الزواج هو بيت زوجها، بل إن بقاءها في بيت أهلها قد يكون مجلبة لما لا تحمد عقباه. "دور لابنتك قبل ما تدور لابنك"(٧)، فينظر إلى البنت التي بلغت سن الزواج كما لو أنها في مأزق ينبغي إخراجها منها.والمرأة الكبيرة في السن غير مرغوب فيها حتى لو كانت ذات امتيازات مادية. "بعد الصبر وطول العزوبة رح اتجوز كركوبة"(٨)، مما يعني أن البنت إذا فاتها ركب الزواج ستقضي بقية حياتها تعاني الحرمان والكبت، "خطبوها تعززت تركوها تندمت"(٩)، مما يخلق فقدان الثقة لديها تجاه كل ما يحيط بها، واتجاه ما يحمله المستقبل. لكن أحياناً أخذ المثل الشعبي السعودي رؤية مغايرة في مسألة العنوسة، حيث فضلها على الزواج الردئ، بقوله: "البنوته ولا الجيزة الردية"(١٠). وتكون العنوسة خير من الزوج الردئ، وقال أيضاً مفضلاً العنوسة على الزواج الفاشل: "جلست الخزانة ولا جواز بمجنانة"(١١)، و"دوري في كل البلاد ولا تأخذي واحد عنده أولاد"(١٢).

صورة المرأة في مؤسسة الزواج:

صورة (المرأة/ الزوجة):

الزواج في بيئة المجتمع السعودي فعل مصيري، تترتب عليه نتائج ستنعكس على كل مجريات حياة الفرد في المستقبل، لذا أصّل المثل الشعبي السعودي في تهيئة قبلية للأخذ بكل الترتيبات اللازمة قبل الإقدام على الزواج، فصورة زوجة المستقبل يجب أن تكون مؤصلة،

١. محمد العبودي، الأمثال العامية في نجد، ١٠٥٠.
٢. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
http://www.borsaat.com/vb/t320896.html.
http://forums.moheet.com/showthread.php?t=75218.
http://women.bo7.net/girls78476.
http://www.الباتيس.com/vb/showthread.php?t=11204.
http://forum.brg8.com/t126640.html
٣. المرجع نفسه.
٤. أخذ مشافهة من مَسن سعودي.
٥. المرجع نفسه.
٦. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٧. أخذ مشافهة من محمد حسين إبراهيم العتيبي سكان الأحساء.
٨. المرجع نفسه.
٩. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
١٠. المرجع نفسه.
١١. أخذ مشافهة من إبراهيم آل مبارك من سكان الأحساء.
١٢. المرجع نفسه.

"على الأصل دور"[١]، لأن الأصل الطيب يفوق جاه المرأة ومالها، بل قد يمتد البحث عن الأصل إلى الأم، لأن "البنت سر أمها"[٢].

والنموذج المثال للزوجة المطلوبة، المرأة الخلوقة المؤدبة المطيعة، فـ "أدب المرأة مذهبها لا ذهبها"[٣]. والخير في أن تكون مرحة تدخل البهجة على نفس زوجها، "اللي مرته مفرفشة يرجع البيت من العشا"[٤]. والغنى ليس محبباً في الزوجة "فيا ماخذ القرد على ماله"[٥] و"يروح المال ويبقى القرد على حاله"؛ لأن الغنى يمكن أن يرجح كفة المرأة في ميزان القوى والسلطة، ويلغي إحدى الآليات التي تؤسس لسلطة الرجل، وهي القوامة.

أما الأمثال التي استلبت الزوجة حقها فكثيرة، إذ المرأة لا يليق لها سوى التدبير المنزلي "المرة لو طلعت المريخ آخرتها للطبيخ"[٦]، وهي ليست محل ثقة كونها هوائية تنجرف وراء عواطفها، "ياويلك إن حبوك ويا ويلك إن كرهوك"[٧]، ولا تؤتمن على سر، "آمن للحية ولا تامن لمرية"[٨]. لذا تكون مداواتها فيما يضعه المثل من علاج "مره ابن مره اللي ما يجيب للمره مره".

ولا يؤخذ لها برأي، فالرجل ابن الرجل، "اللي عمره ما يشاور مره"[٩]، و"اللي يسمع كلام امرأته تكثر نكباته"[١٠]، كما أن المنظور المثلي السعودي يحث على الزواج العشائري، أي يحث على تبادل النساء داخل القبيلة نفسها، وبين أبناء العمومة "ابن العم ينزل بنت عمه عن الفرس"[١١]، وهو زواج يعود بالنفع على الرجل في منطق العصبية في الزواج حتى لو كان على حساب التغاضي عن بعض الشروط والمواصفات الأخرى.

ولم يكتف بتهميش دور المرأة والقفز فوق حقوقها، بل تجاوز ذلك إلى عدم الثقة بها إلى درجة الاعتقاد بأنها قد تمارس الخراب ضد عائلتها بوعي أو دون وعي، وهذه النظرة الاستعلائية من الرجل، قننت حياة المرأة بل كرستها، وهو ما يظهر استسلام المرأة لهذه الدونية، بل استكانت وقبلت بها، وحاولت أن تفرغ جزءاً من نقمتها على بنات جنسها كردة فعل، فبدل أن يتحد المضطهدون في مواجهة الذكورة، نراهن يمعن في امتهان أنفسهن، وأسقطن جزءاً من غضبهن على المرأة نفسها لتكون المرأة تحت مركبات من الاضطهاد.

صورة (المرأة/ الأم):

جاءت صورة الأم في النمط المثلى السعودي مشرقة، "بعد الأم ادفن وطم"، فهي الحانية والرقيقة حين يكون الحديث فيها عن الأم، لكنها تنتقل إلى القسوة والفوقية حين تكون موضوعها المرأة الزوجة، وتصل إلى حد الشعور بالامتعاض والشعور بالذنب حين تتناول الإبنة أو الأخت[١٢]. وغالباً ما تربط البيئة الثقافية المرأة بوظيفة الإنجاب ضمانة للاستمرارية وإعادة إنتاج النوع. من هنا فلا يمكن البقاء في البيت دون أولاد يضمنون لها الاستمرارية والامتداد "العقيمة عديمة"[١٣]. وبما أن المرأة

١. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٢. المرجع نفسه.
٣. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٤. أخذ مشافهة من محمد الملحم من سكان الأحساء.
٥. المرجع نفسه.
٦. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٧. المرجع نفسه.
٨. أُخذ مشافهة من علي المطلق من سكان الأحساء.
٩. المرجع نفسه.
١٠. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
١١. المرجع نفسه.
١٢. هشام عودة، الأمثال الشعبية الفلسطينية، قراءة معاصرة، عمان، دار دجلة ناشرون، ٢٠١١، ٨١.
١٣. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.

هي الوسيط الضروري الذي عبره يكتب الرجل تاريخه السلالي النسبي (بالفتح) يمكن القول إن المرأة العاقر كائن بلا قيمة، لا تستطيع الصمود أمام تقلبات الزمن، فالأولاد أوتاد الخيمة، وهم ضمانة لاستمرارها، فاندماج المرأة رهين بالإنجاب لكن ليس أي إنجاب إنما الطفل الذكر "الولد لو قد المفتاح يعبي الدار أفراح"[١].

صورة المرأة بعد انتهاء الزواج

صورة (المرأة/المطلقة):

تتعرض المرأة لتهميش مضاعف في حالة طلاقها، فتبدو وكأنها وصلت إلى نهايتها أو موتها، فهي مجرد جسد يفقد نضارته بفعل الزواج والولادة "إذا حبلت ذبلت"، وتنتهي صلاحيته بمجرد الطلاق. هذا ما يكشف عنه المثل السعودي حين يقول: "لا تاخذ المطلق ولا تسكن في المعلق"[٢]، والطلاق وسيلة للتهديد فـ "التي لا توفي مع عشيرها الطلاق مصيرها"[٣] ولا يخفى تضخم الأنا الذكورية في جعل الرجل مطلوباً لا طالباً، "طليقك لا ترديه".

صورة (المرأة/الأرملة):

تكشف معاينة الأمثال الشعبية السعودية عن صورة سلبية للأرملة تسلبها في كثير من الأحيان إنسانيتها وقيمتها لذاتها "خذ الأرملة واضحك عليها ومن مالها اصرف عليها"[٤]، بل إنها تستلب حتى حق التفكير في انتقاء الزوج بعد وفاة زوجها "جاء للأرملة زوج قالت أعور ما بنفع"[٥]. ومعاناة الأرملة كبيرة بعد وفاة زوجها فـ "التي مات زوجها يا غلبها وعوزها"[٦].

خاتمة

خلصت الدراسة إلى أن الأمثال الشعبية السعودية المرتبطة بالمرأة تنوعت إلى حد الاختلاف الذي يصل إلى التناقض في مستوى يصعب معه التوفيق بينها، فبقدر ما يوجد أمثال تمجد المرأة وترفع من شأنها، نجد أمثالا أخرى تحط من مكانها وتقلل من قيمتها، حتى إننا نجد أحياناً تعايش النقيضين في مثل واحد، وتعكس هذه الأمثال النظرة المتناقضة التي يحملها المجتمع تجاه المرأة، فهي موضوع للرفعة وللاذلال في الآن نفسه. ومع وجود أمثال تبرز الصورة الإيجابية للمرأة إلا أنها قليلة إذا ما قورنت بالأمثال التي تركز على الصورة السلبية، جاءت هذه الصور بشقيها الإيجابي والسلبي في سائر مراحل عمر المرأة، ومن خلال أوضاعها وأدوارها الاجتماعية المتنوعة قبل الزواج فتاة وعانس، وأثناء الزواج زوجة وأماً، وبعد إنتهاء الزواج مطلقة وأرملة.من هنا توصي الدراسة بإعادة النظر في صورة المرأة في النمط المثلي السعودي، خاصة تلك الصورة المفعمة باليأس، وانعدام الدور، وغلبة الشكوى، وانعدام الحكمة، وهي صور تعكس تصورا غير إسلامي للمرأة، مما يفتح لدراسات تسعى إلى تغيير العقلية التي أفرزت هذه المغالطات، وتؤسس لخطاب مثلي مختلف، يقوم على غرس شجرة حتى في لحظات الموت. كما توصي الدراسة بأن تعمل المرأة على التخلص من الأمثال التي تغمطها حقها، خاصة إذا ما علمنا بأن المرأة هي الكائن الأكثر استعمالا للأمثال وخضوعا لها.

١. المرجع نفسه.
٢. أُخذ مشافهة من محمد علي الصقر من سكان الأحساء.
٣. المرجع نفسه.
٤. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٥. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.
٦. أمثال شعبية سعودية، موقع على الانترنت.

المصادر والمراجع

١. أكوع (إسماعيل)، الأمثال اليمانية مع مقارنتها بنظائرها من الأمثال الفصحى والأمثال العامية في البلاد العربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.

٢. ألمي (محمد)، صورة المرأة في الأمثال العامية التونسية، تونس، ٢٠١٠.

٣. البستاني (كرم)، البيان، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٦٢.

٤. البلاوي (عاتق)، طرائف وأمثال شعبية من قلب الجزيرة العربية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٥.

٥. بلعربي (عائشة)، فتيات وقضايا، نشر الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٠.

٦. بلعربي (عائشة)، نساء قرويات، مؤلف جماعي، نشر الفنك، سلسلة مقاربات، ١٩٦٦.

٧. تيمور (أحمد)، الأمثال العامية، د.ن، د.م، ١٩٤٩.

٨. الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استنبول، ١٩٥٤.

٩. الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٣١هـ.

١٠. جسوس (محمد)، سلسلة مقالات حول الثقافة الشعبية، جريدة الإتحاد الاشتراكي، شهر رمضان.

١١. الجمعية الأمريكية لتعليم الكبار، التوجيه التربوي لكبار السن، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦.

١٢. الجهيمان (عبد الكريم)، الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب، دار أشبال العرب، الرياض، ١٩٧٩.

١٣. حسنين (حنان)، الدراما التلفزيونية وكبار السن، سلسلة اتجاهات حديثة في الإعلام، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١١.

١٤. (حسين) عائشة، البيان في ضوء الأساليب العربية، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٠.

١٥. أبو حسين (محمد صبحي)، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٥.

١٦. حسين (سامية)، صورة المرأة في المثل الشعبي، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

١٧. حمصي (سيمون)، ألف وخمس مئة من الحكم والأمثال الشعبية، ط٤، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٤.

١٨. (الحويسكي) زين، أحمد المصري، فنون بلاغية، الإسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٦.

١٩. الحوفي (أحمد)، المرأة في الشعر الجاهلي، دار القلم، بيروت، ١٩٦١.

٢٠. عباس (فضل)، البلاغة فنونها وأفنانها، دار العرفان، عمان، ١٩٨٧.

٢١. عبد المطلب (محمد)، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

٢٢. أبو عميشة (عادل)، قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث، دار الجبل، بيروت، ١٩٨٧.

٢٣. (العيدة) باسل، مهارات تصميم والبحوث والدراسات العلمية وتحليلها إحصائيا باستخدام برنامج spss، الكويت، مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥.

٢٤. راوي (مسارع)، سيكولوجية الشيخوخة وموقف الإسلام من كبار السن، دار الكتب، بغداد، ١٩٩٩.

٢٥. السباعي (أحمد)، الأمثال الشعبية في مدن الحجاز، مكتبة تهامة، جدة، ١٩٨١.

٢٦. سلامة (ياسر)، موسوعة الأمثال الشعبية، دار صفاء، عمان، ٢٠٠٣.

٢٧. صبحي (عبد المجيد)، سطوة النهار وسحر الليل، الفحولة وما يوازيها في الأدب العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٩.

٢٨. طه (جمانة)، موسوعة الأمثال الشعبية العربية، دراسة تحليلية مقارنة، الدار الوطنية الجديدة، الرياض، ١٩٩٩.

٢٩. عبد العزيز (محمد)، الأمثال مصدر للدراسة التاريخية، قراءة في التاريخ السعودي والتاريخ المصري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩.

٣٠. العبودي (محمد)، الأمثال العامية في نجد، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٩.

٣١. العشيري (نادية)، صورة المرأة بين الأمثال الأندلسية والإسبانية، مجلة مكناسة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، ع١٠، ١٩٩٦.

٣٢. (فريد مان) نورمان، ترجمة جابر عصفور، مجلة الأديب العراقية، ع١٦.

٣٣. العلي (فاطمة يوسف)، المرأة في المأثورات الشعبية الكويتية، مجلة لبنان، ع ٣٥٥، فبراير، ٢٠٠٠.

٣٤. عودة (خليل)، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

٣٥. العواودة (أمل)، صورة المرأة في الأدب الأردني والفلسطيني، أمثال أغاني حكايات، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، إربد، ٢٠٠٠.

٣٦. غانم (محمد)، مشكلات كبار السن، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

٣٧. الغذامي (عبد الله)، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥.

٣٨. فرفار (علي)، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٦.

٣٩. القاضي (سعد)، قاموس الأمثال الشعبية العربية والافريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥.

٤٠. كحالة (عمر رضا)، المرأة في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٨.

٤١. (المسيري) عبد الوهاب، اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢,١٩٩٣.

٤٢. المنجد (صلاح الدين)، أمثال المرأة عند العرب، ما قالته المرأة العربية وما قيل فيها، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨١.

٤٣. منصور (عبد الله)، صورة المرأة في شعر عبد الرحيم عمر، دراسة نقدية مقارنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

٤٤. النقلي (محمد)، وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨.

Women Figure at Saudi Proverb

E. M. Al Essam and A. M. A. Bani Amer
Arabic Language Department - King Faisal University - KSA.

Abstract

This study explains women figure at Saudi proverb. The man is considering main productive element at society. This study explains the effect of proverb on society. Proverb is consider as society Law. So this study contain two subjects, technical and substantive. The first one explain sources of the image of women and her structural formations, the second one explain women life especially marriage. The women before marriage considered girl and spinster. Then the women in marriage as a wife and mother. Finally the women after failed marriage as divorced widowed women.

Keywords: Image, Women, Proverb, Popular.

E-mail: ealessam@kfu.edu.sa

محفزات السلوك التطوعي في الفقه الإسلامي

رجا غازي رجا العمرات[١] ومحمد غازي رجا العمرات[٢]
قسم التربية الإسلامية – جامعة اليرموك – الأردن[١]
قسم التربية الخاصة – كلية العلوم التربوية – جامعة جدارا – الأردن[٢]

المُلخّص

تهدف الدراسة الحاليّة من جهة المنهجيّة البحثيّة إلى الإجابة عن سؤالها الرئيس الآتي: ما محفزات السلوك التطوعي في الفقه الإسلامي؟ وجاءت الإجابة عن هذا السؤال بسبعة مباحث أبرزت أنّ الفقه الإسلامي يُحفز الأفراد والمجموعات لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها إجتماعيّاً من خلال: تفعيل مبادئ التجمع والإجتماع، وتوسيع القواسم المشتركة بين الأفراد والمجموعات، وترسيخ الفهم الصحيح لسنن المداولة، وتكوين نماذج الأسوة المهتدية القائمة على مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويستخدم كذلك أساليب: التشكيل السلوكي، والحثّ السلوكي، والتعزيز السلوكي؛ لدفع الأفراد والجماعات لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها إجتماعيّاً.

الكلمات المفتاحية: المحفزات، الدوافع، النمْذجة، التشكيل السلوكي، الحثّ السلوكي، التعزيز السلوكي.

مُقدّمة

الحمد لله مبتدأً وخبراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أمّا بعد،،،

يُقسّم الفقهُ الإسلاميُ العبادات الشرعية إلى قسمين: عبادات خاصة تتمثل بأركان الإسلام الخمسة وحكمها الإلزام والوجوب، وعبادات عامة تتمثل "**بكل ما يحبه الله ويرضاه، من: الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة**" (ابن تيمية، ١٩٧٩، ج١: ص: ٣) وحكمها الوجوب والندب، والعلاقة بين القسمين علاقة دفع وتكامل، فالعبادات الخاصة يجب أن تدفع باتجاه العبادات العامة؛ تحقيقاً لقيم الإسلام ومبادئه العالمية، قال تعالى ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: "**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم يزدد من الله إلاّ بعداً**" (الطبراني، ١٩٨٣، رقم الحديث: ١١٠٢٥، ضعيف) كما أنّ العبادات العامة يجب أنْ تمكّن العبادات الخاصة وتصدّقها على الجوارح، قال صلى الله عليه وسلم: "**من لمْ يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أنْ يدع طعامه وشرابه**" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٨٠٤)، ويمكن تقسيم العمل التطوعي استناداً إلى تقسيم العبادات، إلى قسمين: عمل تطوعي خاص ومداره العبادات الخاصة ولا تتعدى دوائر نفعه في الغالب الحلقات الفردية وحكمه الندب، وعمل تطوعي عام مداره العبادات العامة وتتسع دوائر نفعه لتشمل الحلقات الفردية والمجتمعيّة والإنسانيّة العالميّة وحكمه العام الندب أيضاً.

يوسعُ الفقهُ الإسلاميُ من فهم النص المقدس: فكريّاً وعمليّاً ويضفي عليه مرونةً شرعيةً؛ تمكنه من التأثير المهتدي على الواقع المعيش بكلّ معطياته بدافع الحكم

البريد الالكتروني: dr_amrat@yahoo.com
ردمد: ٦٩٠٥-١٦٥٨

الشرعي، فالفكر الفقهي ينطلق انطلاقاً مهتدياً من المصدر وصولاً إلى تطبيق نصوص المصدر تطبيقاً خاصاً وعاماً؛ يُحقق قيم الاستخلاف والشهود الحضاري المسئول، وما حثُّ الفقهُ الإسلاميُ على العمل التطوعي العام إلاّ أُنموذجاً عمليّاً لفهم النص المقدس فهماً حضاريّاً مهتدياً يرسّخ في المجتمع المسلم قيم المنافسة على فعل الخيرات تعميماً لفائدة مخرجات هذا التنافس المضبوط بالمصدر لتشمل كلّ الحلقات الفرديّة والمجتمعيّة والإنسانيّة تدليلاً على عالميّة الإسلام وقابليته للتطبيق المهتدي على أرض الواقع.

أهداف الدراسة:

تهدفُ الدراسةُ الحاليّةُ إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المنهجيّة، يتمثل بعضها بالآتي:

١- إبراز دور الفقه الإسلامي في تفقيه المجتمع بأهمية العمل التطوعي العام الذي ينقل المجتمع إلى مفهوم الجسد الواحد المترابط المتماسك الذي تتداعى لأجله كل الأعضاء؛ بغية نصرته وإصلاحه.

٢- إبراز أنواع المحفزات السلوكية التي يستخدمها الفقه الإسلامي في إثارة دافعية الأفراد والجماعات لممارسة الأنماط السلوكية المرغوب فيها إجتماعيّاً؛ بغية استثمارها في المؤسسة التربويّة المعاصرة.

٣- إبراز الدور الارتقائي للحكم الشرعي المندوب في توسعة فهم النص المقدس وصولاً به إلى مقام العالميّة والإنسانيّة.

سؤال الدراسة ومنهج بحثها:

يمكن تحديد مشكلة الدراسة الحاليّة بالسؤال الرئيس الآتي: ما محفزات السلوك التطوعي في الفقه الإسلامي؟ وتمّت الإجابة عن هذا السؤال باستخدام أكثر من منهج بحثي، فقد تمّ أستخدم المنهج الوصفي الاستقرائي في التعامل مع أمهات مصادر الفقه الإسلامي، وتمّ أستخدم المنهج التحليلي الاستنباطي في تحليل النصوص الفقهية واستنباط محفزات السلوك التطوعي منها.

التعريفات الإجرائيّة:

تضمن عنوان الدراسة بعض المصطلحات والتي يمكن تعريفها إجرائيّاً على النحو الآتي:

المحفزات: الأساليب التربويّة المنهجة التي يستخدمها الفقه الإسلامي؛ لإثارة دافعيّة الأفراد والجماعات لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها.

السلوك التطوعي: النمط السلوكي المندوب شرعاً والمرغوب فيه اجتماعياً والقائم على أساس تقديم عمليات الدعم والمساندة للآخرين متجاوزاً التكتلات الضيّقة والإثنيّات الفكريّة والاختلافات الإيديولوجيّة.

الفقه الإسلامي: الفهم الإسلامي المستكمل لشروطه جميعها في استنباط الأحكام الشرعيّة العمليّة من الأدلة التفصيليّة.

خطة البحث:

يشتمل البحث الحالي على: مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: تفعيل مبادئ التجمع والاجتماع.

المبحث الثاني: توسيع القواسم المشتركة.

المبحث الثالث: فهم سنن المداولة.

المبحث الرابع: الدفع الجمعي والنمذجة.

المبحث الخامس: التشكيل السلوكي.

المبحث السادس: الحثّ السلوكي.

المبحث السابع: التعزيز السلوكي.

الخاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: تفعيل مبادئ التجمّع والاجتماع:

يَدعو الفقه الإسلامي إلى تفعيل مبادئ التجمع والاجتماع حول المنهج الصحيح المتّبع، وهو من خلال تشريعاته المفعّلة على أرض الواقع المعيش على المستويات التنظيريّة والعمليّة ينبذ كلّ طرق الفرقة والاختلاف ويعدّها إسفيناً حاداً يشتت أوصال المجتمع؛ ويوصله إلى مرحلة الضعف وغياب التأثير الحضاري الفعّال، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، فطاعة الله تعالى تتحقق بإتباع المنهج الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم، والصبر الصادق على هذا المنهج والالتفاف حوله على المستويات: التنظيريّة والعمليّة؛ حتى ينعم الفرد والمجتمع بمخرجات هذا التطبيق الفاعل للمنهج، أمّا الانكفاء على الذات وقطع شبكات الاتصال التي تربط الفرد بالمجتمع فليست من أساسيات المنهج؛ لأنّ المخالطة ومدُّ شبكات التفاعل بين الفرد والجماعة والصبر على هذا التفاعل، هو هدف رئيس من أهداف المنهج الذي يقود الفرد والمجتمع إلى مقام الأفضليّة، قال صلى الله عليه وسلم:" المؤمن الذي يُخالط النّاس، ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يُخالط النّاس، ولا يصبر على أذاهم" (البيهقي، ١٩٩٤، رقم الحديث: ١٩٩٦١، صحيح). ولما كانت العبادات العامة والخاصة لها تأثيرها الواضح في تحقيق مبادئ المنهج الإسلامي وأهدافه وغاياته، يجد الناظر أنّ جلّ أهداف هذه العبادات وغاياتها تصبّ في بوتقة تفعيل مبدأ التجمّع والاجتماع الشرعي، قال الشاطبي (د.ت، ج٣: ص١٩٥): جاء "الأمر بالاجتماع، والنهي عن التفرقة؛ لما في الاجتماع من المعاني التي ليست في الانفراد: كالتعاون، والتظاهر، وإظهار أبّهة الإسلام وشعائره، وإخماد كلمة الكفر؛ ولذلك شرّعت الجماعات والجمعات، والأعياد، وشرّعت المواصلات بين ذوي الأرحام خصوصاً وبين سائر أهل الإسلام عموماً، وقد مدح الاجتماع وذمّ الافتراق وأمر بإصلاح ذات البين وذمّ ضدها وما يؤدي إليها إلى غير ذلك مما في هذا المعنى وأيضاً فالاعتبار النظري يقضي أنّ للاجتماع أمراً زائداً لا يوجد مع الافتراق".

يعدُّ الفقه الإسلامي الاجتماع أمراً ضرورياً للفرد والمجتمع على حدّ سواء، فمن خلاله يحقق الإنسان الكثير من مصالحه وتطلعاته: الدنيويّة والأخرويّة، قال ابن تيمية(د.ت – ب، ج٢٨: ص٦٢): "وكلّ بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلاّ بالاجتماع والتعاون والتناصر؛ فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم؛ ولهذا يقال الإنسان مدنيّ بالطبع فإذا اجتمعوا فلا بدّ لهم من أمورٍ يفعلونها يجتلبون بها المصلحة وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة"، فالاجتماع ميزة المجتمعات المدنيّة والعمل التطوعي مؤشر واضح على التمدّن والتحضّر ومعلوم أنّ العمل التطوعي لا يحدث في تجمّع بشري يخلو من التفعيل الحقيقي لمبادئ الاجتماع المعتبرة المضبوطة بالمصدر وهذا يستوجب كمقدّمات للعمل التطوعي أنْ يُسبق بتفعيل حقيقي لمبادئ التجمّع والاجتماع المعدّلة بالمنهج؛ حتى يؤدي العمل التطوعي دوره المتوازن في تحقيق مصالح الفرد والمجتمع ويدفع عنهما القدر الممكن من المفاسد والمضار.

المبحث الثاني: توسيع القواسم المشتركة.

يقصد بالقواسم المشتركة، مجموع الحلقات الكبرى المتداخلة تداخلاً نسبياً تابعاً لتأثير الايدولوجيا والثقافة المعيشة بجميع مكوناتها الماديّة والفكريّة، والتي تجمع أفراد المجتمع؛ لينطلقوا منها انطلاقاً متمايزاً يوصلهم إلى الغايات الكبرى الجامعة. تعدّ القواسم المشتركة التي تربط مجموعات الأفراد – في كثير من الأحيان – عوامل جذب دافعةً لهم للتكاتف والتناصر والتعاون؛ بغية تحقيق المصالح والتطلعات المشتركة، ولعلّ من أكبر القواسم المشتركة التي تتجاوز حدود الزمان وجغرافية المكان: الايدولوجيا التي تصهر جميع المنتسبين إليها في بوتقة أخوّة المعتقد، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، قال أبو السعود (د.ت، ج٨: ص١٢٠) في تفسير هذه الآية:" أي أنّهم منتسبون إلى أصل واحد، هو: الإيمان"، وهذا الأصل يوجب على المنضوين تحت لواء الايدولوجيا تفعيل مبدأ الحقوق والواجبات؛ تنظيماً لعلاقاتهم مع المنهج المعتمد من جهة وتنظيماً لعلاقاتهم التشعبيّة التي تربطهم مع بعضهم البعض ومع الوسط المحيط بكل تنوعه: المادي والبشري من جهة أخرى، فالكمال الإيديولوجي المطلوب تحقيقه يستوجب منْ أعضاء المجتمع الإيديولوجي الواحد تبادل افتراضي للأدوار الذاتية (فأنا أنت، وأنت أنا) تذويباً لمعيقات التكامل الفعّال وترسيخاً لمبدأ الحقوق والواجبات داخل المجتمع الإيديولوجي الواحد على الطريقة المعتبرة التي ترضي وجه الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه"(مسلم، د.ت، رقم الحديث: ٤٥)، وجاء في شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٩٢هـ، ج٢: ص١٧): "معناه: لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحبّ لأخيه في الإسلام مثل ما يحبّ لنفسه والقيام بذلك يحصل بأنْ يحبّ له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئاً من النعمة عليه، وذلك سهل على القلب السليم وإنّما يعسر على القلب الدغل، عافانا الله وإخواننا أجمعين".

يعدّ الفقه الإسلامي القواسم المشتركة محفزات سلوكيّة إيجابيّة تدفع إلى تكامل الأدوار والأعمال النظريّة والعمليّة؛ للنهوض بالفرد والمجتمع بصورة متوازنة؛ لتحقيق غايات القواسم المشتركة في الارتقاء والشهود الحضاري، قال المقدسي (١٤١٧هـ، ج١: ص٣٠٥): "للمسلم على المسلم، أنْ: يستر عورته، ويغفر زلّته، ويرحم عبرته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويردّ غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمّته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافئ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويشمّت عطسته، ويردّ ضالته، ويواليه ولا يعاديه، وينصره على ظالمه، ويكفه عن ظلمه غيره، ولا يسلمه، ولا يخذله، ويحبّ له ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه"، فهذه الصورة التكامليّة لمبدأ الحقوق والواجبات التي تضبط علاقة المسلمين بعضهم ببعض وتضبط علاقتهم بالمنهج المعتمد؛ ترتقي بالمسلم والمجتمع ايدولوجيّاً إلى مقام الإحسان الاجتماعي الذي يكون الكلّ مسئول فيه عن تفعل قيم ومبادئ التعاون وفعل الخيرات؛ تحقيقاً لأهداف الحياة الإسلاميّة المهتدية، قال تعالى ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. وليس من فقه المدنيّة في شيء أنْ تغلق عمليات الدعم والمساندة وفعل الخيرات في إطار دائرة إيديولوجيّة واحدة، بل يجبْ بدافع من الايدولوجيا

المعتمدة تنمية علاقات التعاون على فعل الخيرات بين الإيديولوجيات والثقافات الدينيّة الأخرى في الجوانب المدنيّة؛ تنميةً للمجتمع وتحقيقاً لغايات الاستخلاف الإنساني على الأرض، فقد جاء في المبسوط جواز "أنْ تُدفع صدقة الفطر إلى أهل الذمة" (السرخسي، د.ت، ج: ٣ ص: ١١١)؛ لأنّ من بين المقصود منها "سدّ خلة المحتاج ودفع حاجته بفعل هو قربة من المؤدي، وهذا المقصود حاصل بالصرف إلى أهل الذمة فإنّ التصدّق عليهم قربة بدليل التطوّعات؛ لأنّا لم نُنْهَ عن المبرّة لمنْ لا يقاتلنا، قال الله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[الممتحنة: ٨]، بخلاف المستأمن فإنّه مُقاتل وقد نُهينا عن المبرّة مع من يقاتلنا، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾[الممتحنة: ٩]" (السرخسي، د.ت، ج: ٣ ص: ١١١)، وهذه النصوص تدلل على رقيّ العمل التطوعي في الإسلام ومدنيّته، ومرونته واتساع دوائره لتشمل التعددية الإيديولوجية؛ فتوسيع القواسم المشتركة بين المجموعات البشريّة يعدّ من فقه العمل التطوعي ومحفزاته التي تصل بالمجتمع إلى أعلى درجات الإحسان الاجتماعي.

المبحث الثالث: فهم سنن المداولة.

تعدّ مداولة الأيام بين الناس سنّة من سنن الله تعالى التي يُجريها على الأفراد والمجتمعات في الحياة؛ تحقيقاً لمبدأ التمحيص والاختبار الإلهي، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠]، قال الألوسي (د.ت، ج٤: ص٦٨) في تفسير الآية: "نداولها بين النّاس: نصرفها بينهم فنديل لهؤلاء مرّة، ولهؤلاء أخرى... والمداولة سنّة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة إلى أنْ يأتي أمر الله تعالى"، فالإنسان لا يبقى على نمطٍ واحدٍ من أقدار الله تعالى فحياته دوران بين أقدار الله تعالى المتقابلة فهو يدور بين أقدار الشباب والهرم، وأقدار الصحة والسقم، وأقدار الغنى والفقر، وأقدار الفراغ والشغل، وأقدار الحياة والموت، وهو مطالب شرعاً باستثمار هذه الأقدار واغتنامها إلى أكمل مدى يرضي وجه الله تعالى؛ تحقيقاً لغايات الابتلاء والاختبار الإلهي، قال صلى الله عليه وسلم: "إغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" (الحاكم، ١٩٩٠، رقم الحديث: ٧٨٤٦، على شرط البخاري ومسلم)، والإنسان بجميع هذه المتقابلات: متقابلات القوة ومتقابلات الضعف بحاجة أكيدة إلى عمليات الدعم الفردي والمجتمعي على المستويات: العلميّة والعمليّة، قال ابن القيم (د.ت، ص: ١٣): "المقصود من اجتماع النّاس وتعاشرهم: هو التعاون على البر والتقوى؛ فيعين كلّ واحد صاحبه على ذلك علماً وعملاً، فإنّ العبد وحده لا يستقلّ بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه؛ فاقتضت حكمة الربّ سبحانه أنْ جعل النوع الإنساني قائماً بعضه ببعضه، معيناً بعضه لبعضه"، فبفطرة الاجتماع التي فطر الله تعالى الناس عليها يتعاون الكل المجتمعي لتحقيق مصالحهم وأهدافهم وتفادي الكثير من مشكلاتهم على المستويات: الفرديّة والمجتمعيّة؛ وليساهموا بوضع الحلول الفاعلة لمعالجتها. وتتباين دوافع الإنسان السلوكيّة الكامنة وراء تقديم عمليات الدعم والمساندة استناداً إلى مجموعة من العوامل: الإيديولوجيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والانفعاليّة، وبعض العوامل والظروف المتداخلة والمتشعبة التي يفرضها موقف عمليات الدعم والمساندة فبعض دوافع السلوك تكمن في النظر إلى عوائد عمليات الدعم

والمساندة المعنويّة منها والماديّة، فقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري: "أنّ ناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مرّوا بحيّ من العرب فلم يقروهم ولم يضيفوهم، فاشتكى سيدهم، فأتونا، فقالوا: هل عندكم دواء؟ قلنا: نعم، ولكن لم تقرونا، ولم تضيفونا، فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جَعْلاً، فجعلوا على ذلك قطيعاً من الغنم، قال: فجعل رجل منّا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب: فبرأ، فلمّا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم، ذكرنا: ذلك له، قال:" وما يدريك أنّها رقية"، ولم يذكر نهياً منه، وقال: كلوا واضربوا لي معكم بسهم"(الترمذي،د.ت، رقم الحديث: ٢٠٦٤، صحيح)، فاستناداً إلى مفهوم التبادل الاجتماعي بين طرفين امتنع الطرف الأول (حي من العرب) عن تقديم عمليات الدعم والمساندة إلى الطرف الثاني (مجموعة من الصحابة) في البداية فلمّا طلب الطرف الأول من الطرف الثاني أنْ يقدّموا لهم عمليات الدعم والمساندة بعد ذلك وافق الصحابة ولكن شريطة أن يقدّم الطرف الأول عوائد ماديّة نتيجة لهذه المساعدة وعمليات الدعم وافتراضياً لو أقدم الطرف الأول من البداية على دعم الطرف الثاني ومساعدتهم لبادلهم الطرف الثاني في المرّة الثانية عمليات الدعم والمنفعة دون النظر إلى أيّة عوائد مادية ولكنّهم لما حبسوا عنهم عمليات الدعم والمساندة طلب الصحابة منهم عوائد ماديّة نظيراً لمساعدتهم ودعمهم، وفي إقرار الرسول صلى الله عليه وسلم لفعلهم دليل على صحته، ودليل على جواز أن يستخدم في الظروف والأحوال والمواقف المتشابهة التي تقدر بناء على معطيات الموقف وظروفه الخاصة، ولكن النّدب يحثّ على تفعيل مبدأ العفو والتجاوز عن أخطاء الآخرين ومقابلة إساءاتهم بإحسان.

تشكلّ الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة سلسلة متحركة من عمليات الدفع والتحفيز والاستجابة فكلّ نمط سلوكي إيجابي من الفقه أنْ يَدفع إلى نمط سلوكي إيجابي آخر موازي له في المقدار أو يفوق عنه، والنمط السلوكي الجديد يكون في نفس الوقت سلوك استجابة للسلوك السابق، وسلوكاً دافعاً لسلوك جديد؛ وبذلك تدور عجلة السلاسل السلوكيّة الإيجابيّة في المجتمع، قال ابن تيمية (د.ت–أ، ج٢٩: ص٥٢١): "مقابلة الحسنة بمثلها عدل واجب، والزيادة إحسان مستحبّ، والنقص ظلم محرم، ومقابلة السيئة بمثلها عدل جائز، والزيادة محرّم، والنقص إحسان مستحبّ، فالظلم للظالم، والعدل للمقتصد، والإحسان المستحبّ للسابق بالخيرات، والأمة ثلاثة: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات"، فمقابلة الحسنة بالحسنة وبالإحسان ومقابلة السيئة بالإحسان وبعمليات تعديل السلوك المناسبة؛ يسهم بترسيخ ثقافة المسابقة إلى فعل الخيرات في الحياة المجتمعية؛ الأمر الذي يجعل هذه الثقافة سمة مميزة للشخصيّة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامي بشكل عام. وتعدّ مخرجات فعل الخيرات ونتاجاتها محفزات دافعة لممارسة الأنماط السلوكيّة وتكرارها، ففعل الخيرات تعود نتائجه في النهاية على الفرد نفسه وعلى المجتمع؛ بإعتبار أنّ الفرد جزء من الكلّ المجتمعي المسئول مسؤوليّة مباشرة عن الارتقاء به إلى مصاف التقدم والإحسان في كلّ المجالات باعتباره مكان: التجمّع والعيش وتطبيق المنهج، فحلقات فعل الخيرات تبدأ بالفرد، ثمّ تتسع لتشمل المجتمع، ثمّ تتسع لتشمل الإنسانيّة والعالميّة، ومع هذا الاتساع والامتداد ترتد نتاجات فعل الخيرات ومخرجاتها إلى الفرد والمجتمع والإنسانيّة، قال ابن تيمية (د.ت–أ،

ج: ٣٠ ص: ٣٦٤): "من أحسن إلى النّاس فإلى نفسه – أحسن –، كما يروى عن بعض السلف، أنّه قال: ما أحسنت إلى أحد، وما أسأت إلى أحد، وإنّما أحسنت إلى نفسي، وأسأت إلى نفسي، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء: ٧]".

يدفع فهم سنّة المداولة بالصورة الشرعيّة الصحيحة إلى المسارعة إلى فعل الخيرات، فاستعدادات فعل الخيرات التي زوّد الله تعالى بها الفرد والمجتمع وقدراتها وإمكاناتها ومهاراتها استناداً إلى سنة المداولة قد يعتريها حال الضعف والقصور والتلاشي، فإذا ما باشر الإنسان استثمارها وتوجيهها الوجهة المطلوبة شرعاً ما عليه حينها من ذهابها أو تلاشيها ولا يعدّ حينها من المفرّطين الذين ألهتهم طول الآمال وسعة الرزق والصحة والفراغ والقوّة عن تأدية حقوق الله تعالى، وقدْ ينتقل الإنسان كذلك استناداً إلى سنّة المداولة من حال تقديم المساعدة والعون إلى حال طلبهما؛ فعليه أنْ لا يحبس فعل الخيرات عن المحتاجين حتى إذا وصل إلى ما وصلوا إليه وجد من يمدّ له يد العون والمساعدة استناداً إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديّان لا يموت، فكن كما شئت، كما تدين تدان" (الصنعاني، ١٤٠٣هـ، رقم الحديث: ٢٠٢٦٢، ضعيف)، وعلى الفرد أنْ يعلم كذلك أنّ مخرجات فعل الخيرات يرتدّ نفعها على جميع الحلقات المتداخلة الفرديّة منها والمجتمعيّة والإنسانيّة والعالميّة، فهو بخدمة الآخرين ومساعدتهم يخدم نفسه ويساعدها: حاضراً ومستقبلاً.

المبحث الرابع: الدفع الجمّعي والنمذجة (القدوة).

يحثُّ الفقه الإسلامي على التجمّع؛ لأنّ الجماعة المهتدية تشكل عامل ضغط إيجابي يحفّز الفرد على ممارسة السلوك المرغوب فيه اجتماعيّاً، قال الغزالي(د.ت، ج١: ص: ٢٠٢): "الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض؛ ولأنّه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع"، ولما كان للجماعة القدرة الكبيرة في التأثير على سلوك الفرد إيجاباً أو سلباً؛ ركّز الفقه الإسلامي على أهميّة أنْ يكون الاجتماع على مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتى تؤدي الجماعة دورها الفاعل في توجيه السلوك وتحفيزه وتعديله نحو المرغوب فيه اجتماعيّاً، قال ابن تيمية (١٣٨٦هـ، ج٢: ص: ١٦٣): "المخالطة إنْ كان فيها تعاون على البرّ والتقوى فهي مأمور بها، وإنْ كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها"، وتكسب المجموعة قدرتها الكبيرة في التأثير على الفرد من قوّة القواسم المشتركة وتعددها التي تربط بين أفرادها وأعضائها؛ الأمر الذي يسهّل عليها توجيه الفرد نحو الأنماط السلوكيّة المرغوبة أو غير المرغوبة استناداً إلى أهداف التجمع وغاياته. وتقسم عمليات التحفيز استناداً إلى مبادئ الدفع الجمّعي والنمذجة إلى الأقسام الآتية:

أ– التحفيز الحيّ:

تستند عمليّة التحفيز الحيّ إلى مباشرة النموذج (المحَفِّز) للنمط السلوكي المرغوب فيه أمام الفرد المراد تحفيزه؛ استثارة لكوامنه لاكتساب هذا النمط السلوكي المرغوب فيه وتأديته، جاء في العهود المحمديّة: "أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ نكون في أعمال الخير من أهل الرعيل الأول، فنبدأ بفعل الخير قبل النّاس مسارعةً للخير؛ ويستن بنا النّاس، وذلك كما إذا رأينا إنساناً يسأل الناس ولا أحد يعطيه شيء فنعطيه أمام الناس؛ تحريضاً لهم على العطاء ولا نعطيه

سرّاً" (الشعراني، ١٩٧٣، ص: ٦)، وهذا النوع من التحفيز لا يطلب من الفرد المراد تحفيزه تأدية الأنماط السلوكيّة التي قام بها النموذج وإنّما مجرّد مراقبتها فقط (الخطيب، ٢٠١٠، ص١٨٢)، وهذا واضح من النص السابق فقد تمّ تقديم الصدقة أمام النّاس دون مخاطبتهم بضرورة التصدّق والإقتداء الفوري بالنموذج.

ب– التحفيز الرمّزي:

يستند التحفيز الرمزي إلى وصف النموذج (المحَفِّز) لنمط سلوكي إيجابي قام به آخرون، أمام الفرد المراد تحفيزه؛ استثارةً لكوامنه لاكتساب هذا النمط السلوكي المرغوب فيه وتأديته، وقد ذكر البخاري (١٩٨٧، رقم الحديث: ٤٦٠٧) أنّ رجلا أتى الرسول الله صلى الله عليه وسلم" فقال يا رسول الله: أصابني الجَهْد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا رجل يضيّفه هذه الليلة؟ يرحمه الله"، فقام رجل من الأنصار، فقال: "أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لإمرأته: ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخريه شيئاً، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثمّ غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "لقد عجب الله عز وجل! أو ضحك من فلان وفلانة"، فأنزل الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩]"، فالحديث الشريف السابق يمكن أنْ يذكر أمام من يراد تحفيزه لممارسة سلوكيات: التعاون على فعل الخير والمبادرة إلى فعل الخير وإكرام الضيف والقيام بحقوقه والإيثار وتقديم ذي الحاجة على النفس، فالتحفيز الرمّزي يعتمد أساساً على نقل صورة واضحة لنمط سلوكي أمام من يراد تحفيزه؛ للممارسة هذا النمط السلوكي المرغوب فيه.

ج – التحفيز من خلال المشاركة:

تستند عمليّة التحفيز من خلال المشاركة إلى مباشرة النموذج (المحَفِّز) للنمط السلوكي المرغوب فيه أمام الفرد المراد تحفيزه، ثمّ تكليفه بممارسة النمط السلوكي بأسلوب متدرج ومنظّم ومتكرر، وبهذا يتعاضد الجانب النظري مع الجانب التطبيقي؛ الأمر الذي يساعد على تثبيت النمط السلوكي المرغوب فيه وترسيخه؛ ليصبح سجيةً راسخةً تصدر عنها الأفعال والأقوال بسهولة ويسر، فعن مالك بن الحويرث قال: "أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شَبَبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنّ أنّا إشتقنا أهلنا، وسألنا: عمن تركنا في أهلنا؟ فأخبرناه، وكان رقيقاً رحيماً، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم، ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثمّ ليؤمكم أكبركم" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٦٦٢)، فالرسول صلى الله عليه وسلّم (نموذج الأسوة الحسنة الكامل) يقدم تطبيقاً عمليّاً مهتدياً للعبادات الشرعية: الخاصة منها والعامة يتطابق تطابقاً تاماً مع النص المقدس، الأمر الذي يسهم بترسيخ هذه الأنماط السلوكيّة الشرعية: الخاصة والعامة في بنية المتلقي العقلية ترسيخاً: نموذجيّاً وعمليّاً يزداد تأثيره بالممارسة والتطبيق المنتظم، فالصحابة الذين في الحديث الشريف تلقوا تطبيقا عمليّاً مهتدياً للعبادات الشرعية: الخاصة والعامة معدّلاً بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله؛ خوّلهم بأنْ يكونوا نماذج بشريّة مهتدية قادرة بإحسان على نقل تطبيق الرسول صلى الله عليه وسلم النظري والعملي للآخرين. كما ويساعد أسلوب

الممارسة العمليّة الفرد على "تعلم السلوك الخلقي، والفضائل، والقيم، وآداب السلوك الاجتماعي، فأداء الفرد بنفسه لما يريد أنّ يتعلم؛ يساعد على سرعة التعلّم وإتقانه" (نجاتي، ١٩٨١، ص: ١٧١)، قال الغزالي (د.ت، ج٣: ص: ٥٨) في معرض حديثه عن الأخلاق المكتسبة غير الفطريّة: تكسب "الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخُلق المطلوب، فمن أراد مثلاً: أنْ يحصل لنفسه خلق الجود، فطريقه أنْ يتكلّف تعاطي فعل الجواد، وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعا له ويتيسّر عليه فيصير به جواداً"، وأشار الغزالي (د.ت، ج٣: ص: ٥٨) أيضاً إلى أنّ الأخلاق تكسب "بالاعتياد ومخالطة المتخلّقين بهذه الأخلاق". يتميّز تأثير التحفيز من خلال المشاركة بقدرته على البقاء أطول فترة ممكنة بعد زوال المثير؛ وذلك لتعاضد الجانب النظري مع الجانب المهاري الأدائي في تثبيت النمط السلوكي المرغوب فيه، فتشكيل سلوك الكرم والبذل والعطاء مثلاً كما أشار الغزالي يتم من خلال: تطبيق أنموذج يصلح الاقتداء به وله حظوة اجتماعيّةٌ لهذا النمط السلوكي أمام الشخص المراد تحفيزه (مخالطة المتخلّقين بهذه الأخلاق)، حتى يعتاد هذا السلوك ويراه بأنه أمر طبيعي (بالاعتياد)، ثمّ يكلّف بتطبيق هذا النمط السلوكي بأساليب (المجاهدة، والرياضة)، فإذا ما تشكّل هذا النمط السلوكي أصبح طبعاً راسخاً وسجيةً دافعة لممارسته بسهولة ويسر (يصير ذلك طبعاً له ويتيسّر عليه).

يحسن التنبيه إلى أنّ عمليات تشكيل السلوك لا تفلح في الغالب إلاّ إذا وجدت رغبة ذاتية من الشخص المراد تحفيزه توصله إلى القيم الإيجابيّة والعوائد النفعيّة التي ستعود عليه نتيجة اكتساب هذا السلوك وتطبيقه، ثمّ لابد أنْ يكون النموذج الذي يُقدّم النمط السلوكي المراد إكسابه للآخرين يمتلك قوّة وكاريزما التأثير السلوكي، قال ابن حجر العسقلاني (١٣٧٩هـ، ج٣: ص: ٢٨٩) في خضمّ حديثه عن أفضلية صدقة العلن أم صدقة السر: "إنْ كان المتطوع ممن يُقتدى به ويتبع وتنبعث الهمم على التطوع بالإنفاق وسلم قصده فالإظهار أولى، والله أعلم".

تدفع عمليات النمذجة والدفع الجمعي إلى انخراط الأفراد في النسق الاجتماعي المضبوط بالمصدر؛ وهذا يحفزهم على تلقي الأنماط السلوكيّة المرغوبة اجتماعياً وتطبيقها وتبنيها؛ ما يرسّخ في المجتمع الإسلامي ثقافة تشكيل الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها وتعديل المرغوب عنها؛ الأمر الذي يعمل على تحويل الأفراد إلى نماذج سلوكيّة مُهتدية يصلح الإقتداء بها اجتماعياً.

المبحث الخامس: التشكيل السلوكي.

يمكن تعريف أسلوب تشكيل السلوك، بأنّه: "الأسلوب الذي يعمل على إحداث سلوك جديد لا يوجد مُسبقاً لدى المتعلم، وذلك من خلال عدة إجراءات، تتمثل: في تحديد السلوك النهائي، ومن ثمّ تحليل السلوك أو تجزئته إلى عدد من الخطوات الفرعيّة، وتعزيز كلّ منها حتى يتحقق السلوك النهائي" (الخطيب؛ الحديدي، ٢٠٠٩، ص: ١٥٧)، فتعريف تشكيل السلوك يشير إلى مجموعة من العمليات التربويّة المنهجة التي تستخدمها المؤسسة التربويّة بصفتها الفرديّة أو الجماعيّة، لاستثمار بعض سلوكيات الفرد المستهدف سلوكيّاً المقصودة منها أو غير المقصودة ذات الصلة

بالسلوك المطلوب تشكيله، بغية تكوين سلوك مدخلي يساعد على تشكيل سلوك مبدئي عند الفرد المستهدف سلوكيّاً، ثمّ تعهد هذا السلوك الوليد بالوسائل التربوية المناسبة؛ للوصول به إلى مرحلة التكامل المطلوبة والقابلة للتعميم والنمذجة.

يُعدّ أسلوب تشكيل الأنماط السلوكيّة من الأساليب التربوية الممنهجة التي لها القدرة على رفد المجتمع بمجموعة متسلسلة ومترابطة من الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة التي تسهم بإرتقاء المجتمع وإيصاله إلى درجة التحضّر والمدنيّة، وتقوم النماذج البشريّة المهتدية بممارسة هذا الأسلوب؛ لتشكيل سلوك الأفراد تشكيلاً مرغوباً فيه ومعدّلاً بالمصدر الصحيح المعتمد، ولما كان الفقه الإسلامي عبارة عن عمليات عقليّة معدّلة بالمصادر الشرعيّة العمليّة؛ فهو قادر وبإحسان على تقديم خطوات عمليّة لنماذج تشكيل سلوكيات الأفراد تشكيلاً سليماً يحقق أهداف التجمّع الإسلامي، ويمكن ذكر مثال توضيحي من الفقه الإسلامي يبيّن الخطوات العمليّة لتشكيل سلوك اجتماعي مرغوب فيه، من خلال الآتي:

أولاً: تحديد السلوك النهائي.

يقصد بالسلوك النهائي: السلوك المراد تشكيله لدى الفرد تشكيلا نهائياً قابلاً للممارسة، والتطبيق، والتعميم، والنمذجة، ويقصد به هنا: (سلوك الصدقة).

ثانياً: تحليل السلوك النهائي إلى مجموعة من الخطوات الفرعيّة.

يحسن فقهيّاً تجزئة السلوك النهائي إلى مجموعة من السلوكيات الفرعيّة: المتدرجة والمتسلسلة والمترابطة والمتكاملة التي يبنى فيها اللاحق على السابق بناءً منهجيّاً منظماً؛ حتى يتمّ تشكيل السلوك النهائي المرغوب فيه تشكيلاً منظّماً وقويّاً وقابلاً للديمومة بعد زوال المثير، فتشكيل سلوك الصدقة يمرّ بعدة خطوات فرعيّة متدرجة وصولاً إلى التشكيل النهائي المرغوب فيه، ويمكن ذكر بعض الخطوات الفرعية المتدرجة التي يعتمدها الفقه الإسلامي في عمليّة تشكيل سلوك الصدقة، من خلال الآتي:

١- ربط سلوك الصدقة بالأنماط السلوكيّة الدوريّة والمتكررة:

يتمّ تنبيه الفرد إلى السلوك المطلوب تشكيله من خلال ربطه بسلوك إيجابي آخر يمارسه الفرد بشكل دوري، قال ابن تيمية (د.ت-أ، ج: ٣٢ ص: ٢١٢): "من أكل بنيّة الاستعانة على عبادة كانَ مأجوراً على ذلك، وكذلك ما ينفقه على أهل بيته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: "نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٥)، وقال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقّاص: "إنك لنْ تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلاّ ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في فيّ إمرأتك" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٢٣٣). تجب نفقة الزوجة على الزوج، قال المرداوي (د.ت، ج: ٩ ص: ٣٥٢): "يجب على الرجل نفقة امرأته ما لا غنى لها عنه وكسوتها بالمعروف ومسكنها بما يصلح لمثلها، وليس ذلك مقدراً لكنّه معتبر بحال الزوجين"، ولما كان سلوك إنفاق الزوج على زوجته سلوكاً متكرراً يمارسه الزوج بشكل منتظم ودوري، تمّ الربط بينه وبين سلوك الصدقة بقاسم الإنفاق والبذل والعطاء؛ تنبيها له على سلوك الصدقة، وحتى يشكل ذلك سلوكاً مدخليّاً دافعاً للفرد

للالتزام بسلوك الصدقة بشكلٍ متكررٍ.

٢- ربط سلوك الصدقة بالأنماط السلوكيّة الاجتماعيّة المهمة:

يتمّ إثارة دافعية الفرد للسلوك المطلوب من خلال ربطه بأنماط سلوكيّة اجتماعيّة ذات بال في الفكر التربوي الإسلامي، قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ صدقة السرّ؛ تطفئ غضب الرّب، وإنّ صنائع المعروف؛ تقي مصارع السوء، وإنّ صلة الرّحم؛ تزيد في العمر وتقي الفقر" (الطبراني، ١٤١٥هـ، رقم الحديث: ٩٤٣، صحيح)، يستثمر الفقه الإسلامي روابط الدم والقرابة؛ لتشكيل بعض الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها المبنيّة على العدل والحق، من مثل سلوكيات: التعاون والتناصر والتآزر والتكاتف وتفعيل عمليات الدعم والمساعدة على أوسع نطاق، بينما الأنماط السلوكيّة المرغوب عنها المبنية على الظلم، والعنصريّة، والتعصب، والحميّة، فينبذها الفقه الإسلامي أيّما نبذ؛ لأنّها تعمل على شرخ وحدة المجتمع وتردي به في بوتقة التفتت والتكتلات الضيقة القائمة على أساس الصراع وطمس حقوق الآخر، يُعدُّ سلوك صلة الرّحم من بين أهم الأنماط السلوكيّة المتواجدة على سُلمية أفضل الأعمال الإسلاميّة الاجتماعيّة؛ لأنّه يلبي الكثير من حاجات الفرد الاجتماعيّة الفطريّة، ويدعم التجمّع باعتباره أهم حلقات مبادئ الأخوّة الإسلاميّة المطلوبة، قال المرداوي (د.ت، ج: ٢ ص: ١٦٢): "طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحّت نيته، وبعده الجهاد، ثمّ بعد الجهاد إصلاح ذات البين، ثمّ صلة الرّحم، والتكسّب على العيال"، يتكون سلوك صلة الرّحم المتكامل من شقين: شق اجتماعي وشق مالي، ووفق مبدأ الحقوق والواجبات وانعكاسات النمط السلوكي الخاصة والعامة لا بدّ من تضافر الشقين معا لتكامل النمط السلوكي، قال صلى الله عليه وسلم: "إنّ الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرّحم اثنتان: صدقة وصلة" (النسائي، ١٩٨٦، رقم الحديث: ٢٥٨٢، صحيح)، فالرسول صلى الله عليه وسلّم أشار إلى الشقين بقوله: (صدقة، وصلة)، وتمّ تقديم الشق المالي لأهميته؛ ولأنّ كثيراً من النّاس قد يقتصرون على الشق الاجتماعي المعنوي، وترغيباً بضرورة القيام بشقي سلوك صلة الرحم: الاجتماعي والمالي، أكّد الرسول صلى الله عليه وسلّم على أنّ القيام بواجبات الشق الاجتماعي سبباً مباشراً لتحقيق ذات الفرد اجتماعيّاً (صلة الرّحم تزيد في العمر)، والقيام بواجبات الشق المالي سبب رئيس لتوسعة الرزق والحماية من شر الفقر وأضراره السلبية (صلة الرحم... تقي الفقر)، فترسيخ سلوك صلة الرّحم بشقيه الاجتماعي والمالي في الحلقات الاجتماعيّة الضيقة نسبيّاً واستناداً إلى أنّ الأنماط السلوكيّة ذات القيم العالية اجتماعياً المطبّقة في دوائر اجتماعيّة ضيقة نسبيّاً يمكن إنزالها إلى أوسع الحلقات الاجتماعيّة وأكثفها، يمكن تعميم سلوك الصدقة ليشمل حلقات اجتماعيّة أكبر مساحة وأكثف عداداً؛ الأمر الذي يجعل النمط السلوكي يتجاوز صلات الدم والقرابة المباشرة إلى صلات القرابة والأخوّة الإيديولوجيّة.

٣- توسعة حلقات النمط السلوكي:

يعملُ التشريع الإسلامي على فتح منافع الأنماط السلوكيّة على كل الحلقات والدوائر الاجتماعيّة تعميماً للفائدة، وتعزيزاً للصلات والروابط الاجتماعيّة، وسدّاً لذرائع التكتلات الاجتماعيّة المغلقة، فسلوك الصدقة

مثلاً فتحت منافعه على ثمانية أصناف متنوعة، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠]، وأيّ عمليّة تشكيل سلوك ناجحة يحسن أنْ تبدأ بتدرج من الحلقة الأضيق وصولاً إلى الحلقة الأوسع وهذا الإجراء السلوكي انتهجته الأحكام الفقهيّة في علميّة تشكيل سلوك الصدقة، فهي بدأت عمليات تشكيل السلوك من دائرة الأسرة، قال صلى الله عليه وسلم: "نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٥) إلى دائرة القرابة وصلة الرّحم، قال صلى الله عليه وسلّم:" إنّ الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرّحم اثنتان: صدقة وصلة" (النسائي،١٩٨٦، رقم الحديث: ٢٥٨٢، صحيح) إلى دائرة الجيران، والبيئة المحيطة، قال ابن نجيم (د.ت، ج: ٢ ص: ٢٦٢): "ويبدأ في الصدقات بالأقارب، ثمّ الموالي، ثمّ الجيران"، إلى دائرة عموم المسلمين، وَرَدَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال: "خيركم من أطعم الطعام: للإخوان والجيران والفقراء والمساكين" (المناوي، ١٣٥٦هـ، ج٣: ص٤٩٦) إلى دائرة غير المسلمين، قال السرخسي (د.ت، ج: ١٠ ص: ١٨٩): "والتصدّق على أهل الذمة قُربة"، فتشكيل سلوك الصدقة يبدأ من تشكيل السلوك المدخلي الأوّلي داخل الأسرة وصولاً إلى التشكيل النهائي للسلوك القابل للتعميم والنمذجة، وفي ذلك دليلٌ واضحٌ على عالميّة التشريع الإسلامي، وإنسانيّته، ومرونته، وقابليته للتطبيق الفعلي العادل.

ثالثاً: التدرّج.

تمرّ عملية تشكيل السلوك بمراحل متدرجة تنتقل فيها العمليّة من الجزء إلى الكل؛ تثبيتاً للحمل السلوكي المرحلي وتمكيناً له وترغيباً بممارسته وتطبيقه، أمّا تقديم الحمل السلوكي ككل متكامل دفعة واحدة دون وجود تهيئة سلوكية تسبق عملية التشكيل يعدّ أسلوباً طارداً لعمليّات التشكيل والتقبّل والممارسة، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنّها قالت:" إنّما نزل أوّل ما نزل من القرآن سورة من المفصّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوّل شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٤٧٠٧)، ولما كان غالبيّة الناس متعلقين بالمال يسعون إلى جمعه واقتناءه، قال تعالى ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر: ٢٠]، وقال الطبري (د.ت، ج١٢: ص٥٧٥) في تفسير الآية: "وتحبون جمع المال أيّها الناس، واقتناءه حبّاً كثيراً شديداً"، فتشكيل سلوك الصدقة لا يكون بتكليف النّاس بالتصدّق بجلّ ما يملكون، ولا بالتصدّق "بكرائم أموالهم" (طرف من حديث في البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٣٨٩)؛ لأنّ ذلك يشكل طارداً سلوكيّاً يمنعهم عن ممارسة هذا السلوك وتعميمه. يعدّ الفقه الإسلامي سلوك الصدقة من السلوكيات المفتوحة التي بمقدور الجميع ممارستها؛ لأنّ مقدار الصدقة متروك أمره للمتصدق كلّ حسب ظروفه وأحواله الخاصة، فهو يعدّ التعبيرات الانفعاليّة والنفسيّة صدقة، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ولو أنْ تلقى أخاك بوجه طلق" (مسلم، د.ت، رقم الحديث: ٢٦٢٦)،

ويركّز الفقه الإسلامي على نيّة المتصدق وعلى مصدر مال الصدقة وعلى الجهة التي سيدفع إليها أكثر مما يركّز على مقدار الصدقة، بل جاءت الأفضليّة لقليل الصدقة على كثيرها؛ ترغيباً بممارسة السلوك وتكراره؛ ولأنّ القليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع، وفي مقياس النتائج القليل الدائم، هو: كثيرٌ وفيرٌ، قال صلى الله عليه وسلم:" أفضل الصدقة جهد المقلّ" (أبو داوود، د.ت، رقم الحديث: ١٤٤٩، صحيح)، وقال صلى الله عليه وسلم: إتقوا النّار ولو بشق تمرة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٣٥١)، وقال صلى الله عليه وسلم: "منْ تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلاّ الطيب، فإنّ الله تعالى يقبلها بيمينه، ثمّ يربيها لصاحبها، كما يربّي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٦٩٩٣)، ويشير كذلك إلى النهاية العظمى التي يُنْدب أنْ تقف عندها مقدار الصدقة، وهي: الثلث، وهي نقطة التوازن والعدل التي تجمع كل أطراف سلوك الصدقة: المتصدق، والصدقة، والمتصدق عليهم، والورثة والأقارب العصبة، فعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قال: "جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني، وأنا بمكة، وهو يكره أنْ يموت بالأرض التي هاجر منها، قال: "يرحم الله ابن عفراء"، قلت يا رسول الله: أوصي بمالي كله؟ قال: "لا "، قلت: فالشطر؟ قال: "لا "، قلت: الثلث؟ قال: "فالثلث والثلث كثير، إنّك إنْ تدع ورثتك أغنياء خيرٌ من أنْ تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم، وإنّك مهما أنفقت من نفقة فإنّها صدقة، حتى اللقمة التي ترفعها إلى في إمرأتك، وعسى الله أنْ يرفعك؛ فينتفع بك ناس، ويضرّ بك آخرون" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٥٩١). ويجوز أنْ يخرج المتصدق كلّ ماله ولكن المندوب فقهياً أنْ لا يفعل" لأنّ الإنسان إذا أخرج جميع ماله لا يأمن فتنة الفقر وشدّة نزاع النفس إلى ما خرج منه؛ فيندم فيذهب ماله، ويبطل أجره، ويصير كلاً على الناس، ويُكره لمن لا صبر له على الإضافة أنْ ينقص نفسه من الكفاية التامة، والله أعلم" (ابن قدامه، ١٤٠٥هـ، ج: ٢ ص: ٣٦٩).

يشكّل الفقه الإسلامي سلوك الصدقة من خلال أسلوب التدرّج، فهو تدرج ابتداءً من الصدقة بالتعبيرات الانفعاليّة مروراً إلى أفضلية الصدقة بالقليل والنزر اليسير، وندباً إلى الوقوف عند ثلث المال كنهاية عظمى مع فتح باب الصدقة بجلّ المال، ولكنْ بحذر شديد؛ لأنّ ذلك قد يلحق بالمتصدّق الكثير من الأضرار: الماديّة والمعنويّة؛ التي قد تفسد السلوك في النهاية. يعدّ أسلوب التدرج من الأساليب التربويّة الناجعة التي تسهم بتشكيل السلوك المرغوب فيه تشكيلاً متيناً ونسقيّاً مهتدياً برفع حلقات السلوك بعضها فوق بعض وصولاً إلى السلوك العام القابل للممارسة والتعميم والنمذجة.

رابعاً: التعزيز.

يحسن فقهيّاً أنْ ترفد عمليّة تشكيل سلوك الصدقة بمعززات: ماديّة، واجتماعيّة، ورمزيّة مناسبة في كل مرحلة من مراحل تشكيل النمط السلوكي؛ تقعيداً للسلوك وتثبيتاً وتقويةً له، وحتى يكسب الفرد المعزز انطباعاً إيجابيّاً يدفعه لممارسة السلوك وتكراره، فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقّاص: "إنّك لنْ تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلاّ ازددت بها

درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في فيّ امرأتك" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٢٣٣)، يشير إلى مجموعة من المعززات الاجتماعيّة والرمزيّة، تتمثل بقوله صلى الله عليه وسلم (ازددت بها درجة ورفعة)، فكلما تكرر سلوك الصدقة كلما زادت درجة الأجر والرفعة؛ وهذا دافع طردي يدفع نحو ممارسة السلوك وتكراره، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّ صدقة السر؛ تطفئ غضب الربّ، وإنّ صنائع المعروف؛ تقي مصارع السوء، وإنّ صلة الرّحم؛ تزيد في العمر وتقي الفقر" (الطبراني، ١٤١٥هـ، رقم الحديث: ٩٤٣، صحيح)، مجموعة أخرى من المعززات الماديّة والاجتماعيّة يمكن إجمالها بالآتي، أولاً: تحقيق مرضاة الله تعالى، وهو هدف غاية خلق الله الإنسان لأجله ويسعى طوال حياته؛ لتحقيقه، ثانياً: الوقاية من المصائب: الماديّة والاجتماعيّة والنفسيّة، ثالثاً: تحقيق الذات، هو حاجة من الحاجات الرئيسة التي يسعى الإنسان إلى تلبيتها استناداً إلى هرم ماسلو للحاجات (ماسلو: عالم نفس أمريكي ١٩٠٨- ١٩٧٠م وضع نظاماً هرمياً للحاجات الإنسانية وجعل على رأسه تحقيق الذات)، رابعاً: سعة الرزق، والوقاية من أضرار الفقر السلبيّة، فكلّ هذه المعززات المتنوعة تشكل دافعاً رئيساً لتلقي سلوك الصدقة، وممارسته، وتبنّيه، وتعميمه، وفي الحديث الوارد عن علي رضي الله عنه: "خيركم منْ أطعم الطعام: للإخوان، والجيران، والفقراء، والمساكين" (المناوي، ١٣٥٦هـ، ج٣: ص: ٤٩٦)، دعوة إلى توسيع حلقات سلوك الصدقة إلى أوسع مدى اجتماعي ممكن؛ حتى يحقق الفرد مقام الخيرية: الدنيويّة والأخرويّة، وهذا مقام الأمّة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، فتمّ رفع الفرد إلى مقام الجماعة الفاعلة المهتدية؛ تحفيزاً له على ممارسة سلوك الصدقة إلى أوسع مدى اجتماعي ممكن. ومن فقه عمليات تشكيل السلوك أنْ تعضد كل مرحلة من مراحل تشكيل السلوك بالمعززات: الماديّة والاجتماعيّة والرمزيّة المناسبة والمتنوعة والمحفّزة غير المشبع منها، دعوةً إلى اكتساب السلوك المرغوب فيه وتقويته وتكراره.

تمرّ عملية تشكيل السلوك المرغوب فيه بمجموعة من الحلقات المتداخلة التي بتجمّعها يتكون السلوك النهائي المرغوب فيه، فلابدّ أولاً كخطوة افتتاحية من تحديد السلوك النهائي المطلوب تشكيله، وبعد ذلك يجب أنْ يتم تجزئته إلى مراحل سلوكيّة فرعيّة ذات صلة بالسلوك النهائي، ثمّ الانتقال من حلقة سلوكيّة إلى أخرى بأسلوب متدرّج مُمنهج يراعي طاقات الفرد وقدراته وجميع ظروفه، مع مراعاة تقديم المعززات المتنوّعة لكلّ مرحلة سلوكيّة يتخطاها الفرد؛ تحفيزاً له على متابعة سلسلة الحلقات السلوكيّة الفرعيّة المرغوبة، وصولاً به إلى السلوك النهائي العام الذي يصلح للبقاء والاستمرار والتعميم بعد زوال المثير.

المبحث السادس: الحثّ السلوكي.

يمكن تعرف أسلوب الحثّ السلوكي، بأنّه: "الأسلوب الذي يتضمن تقديم مثير يُحفّز المتعلم على القيام بالاستجابة المطلوبة، خاصة إذا أُتبع أسلوب الحثّ بالمعزز المناسب" (الروسان، ٢٠٠١، ص: ١١٨)، فهذا الأسلوب يقوم على آلية تقديم مثير موجه ومقصود يساعد الفرد ويوجهه للقيام بالسلوك المرغوب فيه، وتعدّ حاجة المحتاج في الفقه الإسلامي هي المثير المحفّز الموجه الذي يجبْ على أثره أنْ يُبادر المسلم

لتقديم أحسن عمليات الدعم والمساندة للمحتاجين بقوة الباعث الإيديولوجي الذي يفرض على المسلم المسارعة لممارسة هذه الأنماط السلوكيّة المرغوبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفاً؛ فكافئوه، فإنْ لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنّكم قدْ كافأتموه"، (أبو داوود، د.ت، رقم الحديث: ١٦٧٢، صحيح) وقال العظيم آبادي (١٤١٥هـ، ج١٤: ص: ٩) في شرح (فأعيذوه)، أي: "أعينوه، وأجيبوه، فإنّ إغاثة الملهوف فرض"، فبمثير من الإيديولوجيا يجبْ أنْ يبادر الفرد إلى تقديم يد المساعدة والعون لكل محتاج بغض النظر عن الإثنيات الضيّقة. يُقسم أسلوب الحثّ السلوكي إلى ثلاثة أقسام، يمكن توضيحها على النحو الآتي:

أولاً: الحثّ اللفظي.

يُقصد بالحثّ اللفظي: تقديم المساعدة اللفظية، ووضع الحلول والبدائل السلوكيّة المناسبة التي تعمل على تحقيق السلوك المرغوب فيه، فعن أبي ذر الغفاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ليس من نفس ابن آدم إلاّ عليها صدقة في كلّ يوم طلعت فيه الشمس"، قيل: يا رسول الله ومِنْ أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "إنّ أبواب الخير لكثيرة: التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدي الأعمى، وتدلّ المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك" (البستي، ١٩٩٣، رقم الحديث: ٣٣٧٧، على شرط مسلم)، فالرسول صلى الله عليه وسلم حثَّ الصحابة لفظيّاً، وحفّزهم على ممارسة سلوك الصدقة اليوميّة، بقوله: (ليس مِنْ نفس ابن آدم إلاّ عليها صدقة في كلّ يوم طلعت فيه الشمس)، ولما حصر الصحابة تفكيرهم بالحلول الماليّة التي تتعذر على الكثير منهم لضيق ذات اليد (ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟)، وسّع الرسول صلى الله عليه وسلم مداركهم العقليّة، ووضع لهم مجموعة من الحلول والخيارات السلوكيّة التي بممارستها؛ يحققون غاية الحديث السلوكيّة العامة (الصدقة اليوميّة)، قال صلى الله عليه وسلم (إنّ أبواب الخير لكثيرة...)، فالرسول صلى الله عليه وسلم أرشدهم لفظاً في الموقف التعليمي الحاضر إلى الخطوات العمليّة والبدائل السلوكيّة التي بممارستها؛ يصلون إلى تحقيق السلوك النهائي المرغوب فيه.

ثانياً: الحثّ الإيمائي.

يُقصد بالحثّ الإيمائي: تقديم المساعدة الإيحائية للفرد؛ لكي يحقق السلوك المرغوب فيه، ويقوم أسلوب الحثّ الإيمائي في الغالب على استخدام لغة الجسد وتعبيراته؛ حثاً للفرد على ممارسة السلوك المرغوب فيه، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه: أنّه كان له على عبد الله ابن أبي حدرد الأسلمي ديّنٌ، فلقيه، فلزمه، فتكلما حتى ارتفعت أصواتهما، فمرّ بهما النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "يا كعب، وأشار بيده، كأنّه يقول: النصف، فأخذ نصف ما عليه وترك نصفاً"(البخاري،١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٢٩٢)، فالرسول صلى الله عليه وسلم حثّ كعباً رضي الله عنه باستيفاء نصف دينه من خلال الإشارة التعبيريّة (وأشار

بيده، كأنّه يقول: النصف)، فطبّق كعباً رضي الله عنه السلوك المرغوب فيه، وهو: استيفاء نصف الدَين (فأخذ نصف ما عليه وترك نصفاً).

ثالثاً: الحثّ الجسمي:

يُقصد بالحثّ الجسمي: تقديم المساعدة الجسميّة للفرد؛ لكي يحقق السلوك المرغوب فيه، وهذا أمر مندوب في الفقه الإسلامي، ويعدّ من باب التعاون على فعل الخيرات، قال ابن القيم (١٩٧٣، ج١: ص: ١٢١): "والمستحب... الإحسان بيده: بأنْ يعين صانعاً، أو يصنع لأخرق، أو يفرغ من دلوه في دلو المستسقى، أو يحمل له على دابته، أو يمسكها حتى يحمل عليها، أو يعاونه بيده فيما يحتاج له، ونحو ذلك"، وفيما يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ، فقال: هلكت، قال: "ولم "؟ قال: وقعت على أهلي في رمضان، قال: "فأعتق رقبة "، قال: ليس عندي، قال: "فصم شهرين متتابعين"، قال: لا أستطيع، قال: "فأطعم ستين مسكيناً"، قال: لا أجد، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرقٍ فيه تمر، فقال: " أين السائل؟ قال: ها أنا ذا، قال: "تصدّق بهذا"، قال: على أحوج منّا يا رسول الله! فو الذي بعثك بالحقّ ما بين لابَتيّها أهل بيت أحوج منّا، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه، قال: فأنتم إذًا [أي: أنتم حينئذ أحقّ بهذا التمر]" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٥٠٥٣)، فالرسول صلى الله عليه وسلم حثّ الرجل على سلوك المسارعة إلى التكفير عن ذنبه، ولكن لما كان الرجل لا يمتلك قدرات تكفير الذنوب: الماليّة والبدنيّة؛ ساعده الرسول صلى الله عليه وسلم بأن زوّده بمقدار التكفير المالي؛ لكي ينجح في تحقيق السلوك المطلوب، وهو: التكفير عن ذنبه.

ويمكن ذكر مثال يوضح عناصر أسلوب الحثّ السلوكي مجتمعة، فعن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مُضر، بل كلهم من مُضر، فتمعّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثمّ خرج، فأمر بلالاً فأذّن وأقام، فصلى، ثمّ خطب، فقرأ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: ١]، وقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[الحشر: ١٨]، تصدّق رجل من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بُرّه من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقّ تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثمّ تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعامٍ وثياب، رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يتهلل كأنّه مذهبه" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أنْ ينقص منْ أجورهم شيء، ومنْ سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده منْ غير أنْ ينقص منْ أوزارهم شيء" (مسلم، د.ت، رقم الحديث: ١٠١٧)، وتتضح عناصر أسلوب الحثّ السلوكيّ الواردة في الحديث الشريف السابق،

بالآتي:

١- **المثير**: حالة القوم البائسة: (فجاءه قومٌ حفاةٌ عراةٌ مجتابي النمار أو العباء).

٢- **سرعة الاستجابة للمثير**: تغيرت تعبيرات وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الشريف، وباشر لمساعدتهم من ساعته: (فتمعّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثمّ خرج، فأمر بلالاً فأذّن، وأقام، فصلى).

٣- **الحثّ اللفظي**: استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحثّ اللفظي لمساعدة القوم ولرفع ما نزلَ بهم من فاقةٍ وفقرٍ: (خطب، فقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وقرأ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، تصدّق رجل من دينارِه من درهمه من ثوبه من صاع بُرّه من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقّ تمرة).

٤- **الحثّ الإيمائي**: تهلل وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الشريف سروراً بفعل الصحابة رضوان الله عليهم ومسارعتهم لدفع فاقة القوم وَحثّاً لهم رضي الله عنهم للاستمرار في تقديم عمليات الدعم والمساندة: (رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: يتهلل كأنّه مذهبه)، وقال النووي (١٣٩٢هـ، ج٧: ص: ١٠٣): "وأمّا سبب سروره صلى الله عليه وسلم؛ ففرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض، وتعاونهم على البر والتقوى، وينبغي للإنسان إذا رأى شيئاً من هذا القبيل أنْ يفرح ويُظّهر سروره".

٥- **الحثّ الجسمي**: لعبت عمليات النمذجة والدفع السلوكي: القوليّة منها والفعليّة دوراً إيجابياً في حثّ الصحابة وتحفيزهم على التشارك والتعاون؛ لرفع حاجة القوم وسدّ فاقتهم كلّ حسب طاقته وقدرته: (قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثمّ تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعامٍ وثياب).

٦- **التعزيز الختامي**: عزز الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة تعزيزاً فورياً مكافأة لهم على تعاونهم وتناصرهم ومبادرتهم المهتدية لرفع حاجة القوم وسدّ فاقتهم؛ ودفعاً لهم كذلك على تبني هذا النمط السلوكي وتكراره، كما عاقب الرسول صلى الله عليه وسلم النماذج السلبيّة التي تشيع روح التخاذل في المجتمع الإسلامي؛ نَهياً لهم ولغيرهم عن ممارسة هذه الأنماط السلوكيّة السلبيّة:(فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أنْ ينقص من أوزارهم شيء).

يعدّ أسلوب الحثّ السلوكي من الأساليب التربويّة التي تسهم؛ بتحفيز الأفراد واستنهاض طاقاتهم

وقدراتهم؛ لتحقيق الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، وهذا الأسلوب يعتمد في تحقيق أهدافه السلوكيّة على تقديم مثيرات مقصوده وموجه، وعلى استخدام أساليب الحث: اللفظي أو الإيمائي أو الجسمي؛ لجعل الأفراد يستجيبون للمثيرات استجابة سريعة ومتقنة؛ بغية تحقيق الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، ثمّ تقديم عمليات التعزيز المتنوعة مكافأةً لهم على تحقيق الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها وحثّاً لهم على ممارستها وتكرارها.

المبحث السابع: التعزيز السلوكي.

يُقصد بالتعزيز؛ تلك العمليّة السلوكيّة التي تشتمل على تقوية السلوك المرغوب فيه وتكراره، فالإنسان يميل إلى تكرار السلوك الذي يعود عليه بنتائج إيجابيّة أو يخلّصه من التعرض لنتائج سلبيّة (الخطيب، د.ت، ص: ٣٧)، ويستخدم القرآن الكريم والسنّة النبويّة أسلوب التعزيز على أوسع مدى؛ لإثارة دافعيّة الأفراد من كلا الجنسين ومن كل الفئات العمريّة؛ لممارسة الأنماط السلوكيّة المهتدية المرغوب فيها، فيعزز القرآن والسنة – على سبيل المثال – سلوك عمارة المساجد: الماديّة والمعنويّة؛ دفعاً لممارسة هذا السلوك على جميع مستوياته، قال تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور:٣٦: ٣٧: ٣٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: "منْ بنى مسجداً يبتغي به وجه الله؛ بنى الله له مثله في الجنّة" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٤٣٩)، قال الطبري (د.ت، ج٩: ص٣٢٩) في تفسير هذه الآيات: "يُثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويزيدهم على ثوابه إيّاهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله، فيفضل عليه من عنده بما أحبّ من كرامته لهم"، ويقوم أسلوب التعزيز على مبدأ استثمار حاجات الفرد ورغباته، فالفرد من خلال ممارسة السلوك المرغوب فيه؛ يسعى للحصول على المعززات التي يفضلها؛ تلبيةً لحاجاته وتطلعاته أو إزالةً لبعض التبرمات التي تزعجه. ويقسم أسلوب التعزيز إلى قسمين: تعزيز سلبي وتعزيز إيجابي، ويمكن تعريفهما وبيان عناصرهما، من خلال الآتي:

التعزيز السلبيّ:

يُقصد بالتعزيز السلبيّ: إزالة مثير سلبي أو مؤلم عن الفرد بعد قيامه بالسلوك المرغوب فيه (الخطيب،٢٠١٠، ص: ١٤٧)، ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: "تَصدّقوا وداووا مرضاكم بالصدقة؛ فإنّ الصدقة تَدفع عنكم الأعراض والأمراض، وهي زيادة في أعمالكم وحسناتكم" (البيهقي،١٤١٠هـ، رقم الحديث: ٣٥٥٦، ضعيف)، فالمرض بالمقياس البشري السطّحي يعدّ مثيراً سلبيّاً مؤلماً، وبممارسة الفرد لسلوك الصدقة المرغوب فيه؛ يزيلُ الله تعالى بإذنه وإرادته انعكاسات هذا المثير السلبيّ.

التعزيز الإيجابيّ:

يُقصد بالتعزيز الإيجابيّ: إضافة أو ظهور مثير بعد السلوك مباشرة مما يؤدي إلى زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة (الخطيب، ٢٠١٠، ص: ١٤٧)، ومن هذا القبيل قوله تعالى على لسان إحدى ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي

يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[القصص:٢٥]، قال الطبري (د.ت، ج١٠: ص: ٥٨) في تفسير الآية: "قالت المرأة التي جاءت موسى تمشي على استحياء: إنّ أبي يدعوك؛ ليثيبك أجرَ ما سقيت لنا"، فالتعزيز الإيجابي يدعم الاستجابات الصحيحة؛ ويسهم بتثبيت السلوك المرغوب فيه وتكراره (نجاتي، ١٩٨٥، ص: ١٥٥).

أنواع المعززات الإيجابية:

تستند عمليّة تقديم المعززات الإيجابيّة على حصافة الفرد الذي يقدّم التعزيز وفقهه وعلى رغبة الفرد الذي يُقدّم له التعزيز وحاجاته، فما يصلح لتعزيز فرد قد لا يصلح بالضرورة لتعزيز فرد آخر، ويمكن ذكر بعض أنواع المعززات الإيجابيّة التي تساهم بدفع الأفراد وتحفيزهم لممارسة سلوكيات الدعم والمساندة، من خلال الآتي:

أولاً: المعززات الأوّلية:

يُقصد بالمعززات الأوّلية: المعززات المرتبطة بحاجات الإنسان الأوّلية: كالطعام، والشراب، وتسمى أيضاً بالمعززات غير الشرطيّة (الروسان، ٢٠٠١، ص: ١٣١)، فعن أنس بن مالك قال: "حَجَم أبو طيبة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه صاعاً من تمرٍ، وأمرَ أهله أنْ يُخففوا عنه منْ خراجه" (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ١٩٩٦)، ولا يتوقع أنْ يقوم الصحابي أبو طيبة بِحَجم الرسول صلى الله عليه وسلم مقابل أجر ماديّ، ولكنّه قام بهذا السلوك كعمل تطوعي يتشرف به بمساعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولكنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قام بتعزيزه بمعززات أوّلية (صاعاً من تمرٍ) بعد قيامه بالسلوك مباشرة؛ مكافأةً له على صنيعه وحثّاً له على تكرار هذا السلوك مع كل محتاج بمقدوره أنْ يساعده.

ثانياً: المعززات الاجتماعيّة:

يُقصد بالمعززات الاجتماعيّة: مجموع المعززات اللفظيّة وغير اللفظيّة التي تقدّم للفرد بعد قيامه بالسلوك المرغوب فيه؛ تحفيزاً له على ممارسته وتكراره. ويمكن ذكر أمثلة على المعززات الاجتماعيّة اللفظيّة وغير اللفظيّة، من خلال الآتي:

أ- المعززات اللفظيّة:

تُحفزُ ألفاظ المدح والثناء التي تعقب السلوك المرغوب فيه الفردَ للقيام بهذا السلوك وتكراره، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "منْ صُنع إليه معروف؛ فلْيجزه، فإنْ لم يجد ما يُجزيه فليثن عليه، فإنّه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإنْ كتمه فقد كفره، ومن تحلّى بما لم يعط فكأنّما لبس ثوبي زور" (البخاري، ١٩٨٩، رقم الحديث: ٢١٥، صحيح)، فالرسول صلى الله عليه وسلم يوجه إلى ضرورة تعزيز الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة بمجموعة من المعززات من بينها المعززات اللفظيّة؛ فهي تدفع الفرد المعَزز إلى ممارسة هذه الأنماط السلوكيّة وتعميمها في المواقف المشابهة (فليثن عليه)، أمّا تجاهل الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة وعدم تعزيزها؛ فقد يؤدي إلى إطفائها (وإنْ كتمه؛ فقد كفره).

ب- المعززات غير اللفظيّة:

تشتمل المعززات غير اللفظيّة على: الإنتباه، وتعبيرات الوجه، والاتصال البصري، والتربيت على الكتفين، والقبول الاجتماعي، ومن الأمثلة على التعزيز من خلال تعبيرات الوجه، ما يرويه عمر بن الخطاب

رضي الله عنه: أنّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله: أنْ يعطيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما عندي شيء، ولكن ابتع علي، فإذا جاءني شيء قضيته، فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته، فما كلّفك الله ما لا تقدر عليه، فكره صلى الله عليه وسلم قولَ عمر، فقالَ رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفقْ، ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعُرف في وجهه البِشر؛ لقول الأنصاري، ثمّ قال: بهذا أمرتُ" (الهيثمي، ١٤١٢هـ، رقم الحديث: ١٧٧٧٩، ضعيف). فالرسول صلى الله عليه وسلم عزز قول الأنصاري رضي الله عنه: بالابتسامة، والفرح، والبِشر (فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ثمّ بتأكيد كلامه لفْظاً من خلال قوله: (بهذا أمرت)، وهذا يعدّ تحفيزاً لممارسة سلوك الصدقة وعمليات الدعم والمساندة في كل وقت ومهما كانت الظروف، فالسلوك الإيجابي في الإسلام سلوك عالمي يمكن إنزاله وإسقاطه على كل الظروف والأحوال. وفي قول عمر بن الخطاب لسعيد بن عامر بن حذيم مثال آخر على عمليات التعزيز بالقبول الاجتماعي فقد قال له: إنّ أهل الشام يحبونك، قال: لأنّي أعاونهم وأواسيهم" (ابن حجر، ١٤١٢هـ، ج٣: ص: ١١٠) فالناس يَقْبلون اجتماعيّاً من يمدّ لهم يد العون والمساعدة، كما ويشكّل الشعور بالقبول الاجتماعي تعزيزاً اجتماعياً لهم؛ يدفعهم لممارسة هذه الأنماط السلوكيّة الإيجابيّة وتكرارها؛ محافظةً على تلبية حاجة التقبّل الاجتماعي لديهم.

ثالثاً: المعززات الماديّة:

يُقصد بالمعززات الماديّة: المواد والأشياء التي يرغبها الفرد، وتقدّم له بعد نهاية تأدية السلوك المرغوب فيه، وبالرغم من فاعلية المعززات الماديّة إلاّ أنّ هناك من ينتقدها ويعتبرها رِشاً سلوكيّة (الخطيب، ٢٠١٠، ص: ١٤٩)، ولعلّ التنويع بين المعززات وعدم الاقتصار على المعززات الماديّة فقط، وانتخاب المعززات الماديّة استناداً إلى الحاجة ومتطلبات الموقف السلوكي؛ قد ينفي عن المعززات الماديّة صفة الرشوة السلوكيّة، ويمكن التمثيل على هذا النوع من المعززات، بالمثال الآتي: "لما أغارَ الكفار على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم، فصادفهم سلمة بن الأكوع خارجاً من المدينة، تبعهم، فقاتلهم من غير إذن: فمدحه النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: خير رجالتنا سلمة بن الأكوع، وأعطاهُ سهم فارس وراجل" (ابن قدامة، ١٤٠٥هـ، ج:٩ ص: ١٧٤)، فالرسول صلى الله عليه وسلم قام بتعزيز الصحابي الجليل بمجموعة من المعززات الاجتماعيّة والماديّة، فهو أولاً امتدحه وأثنى عليه، وهذا يعدّ تعزيزاً اجتماعيّاً لفظيّاً (فمدحه)، ثمّ وصفه بصفة الخيريّة والأفضلية وهذا كذلك تعزيز اجتماعي (خير رجالتنا)، وأخيراً عززه بمعزز ماديّ مضاعف (وأعطاهُ سهم فارس وراجل)، ويعدّ هذا تحفيزاً للصحابي ولغيره؛ لمبادرة سلوكيات: التعاون، والتناصر، والتآزر، والذبّ عن حمى المسلمين وعن أموالهم وأعراضهم.

رابعاً: المعززات التعاقديّة (الإشتراطيّة):

يُقصد بالمعززات التعاقديّة: تعاقد بين الفرد الذي يُقدّم التعزيز، وبين الفرد المنوي تَعزيزه على نوع المعزز، وحجمه الواجب تقديمه بعد نهاية السلوك المرغوب فيه، فعن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: "كنّا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقاتلت معه، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك، لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة"؟ قال: فسكتنا، فلم يجبه منا أحد، ثم قال: "ألا رجل يأتينا بخبر القوم؛ جعله الله معي يوم القيامة"؟ قال: فسكتنا، فلمْ يجبه منا أحد، ثمّ قال: فسكتنا، فقال صلى الله عليه وسلم: "قمْ يا حذيفة فأتنا بخبر القوم، ولا تذعرهم"، فلمّا ولّيت من عنده، جعلتُ كأنّما أمشي في حمام حتى أتيتهم، فرأيتُ أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس؛ فأردتُ أنْ أرميه، فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تذعرهم"، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام، فلمّا أتيته صلى الله عليه وسلم، أخبرته: بخبر القوم، فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كانت عليه يُصلّي فيها، فلمْ أزل نائماً حتى أصبحت، فلمّا أصبحت، قال صلى الله عليه وسلم: "قمْ يا نومان" (ابن حبان، ١٩٩٣، رقم الحديث: ٧١٢٥، إسناده صحيح)، تعاقد الرسول صلى الله عليه وسلم سلوكيّا مع الصحابي الذي يرغبُ بالتطوع لإتيان خبر القوم، بأنْ يجعله الله تعالى مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ولما لم يقدم أحدٌ على هذا العمل التطوعي؛ اختار الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ ليقوم بهذا العمل التطوعي، وبقي التعاقد التعزيزي قائماً بين الطرفين، ولما جاء حذيفة رضي الله عنه بخبر القوم؛ عززه الرسول صلى الله عليه وسلم بمجموعة إضافية من المعززات الماديّة والاجتماعيّة؛ تقديراً لجهوده ودفعاً له ولغيره لممارسة هذا السلوك المرغوب فيه في المواقف المشابهة، ومن المعززات الماديّة الإضافية أنْ ألبسه الرسول صلى الله عليه وسلم عباءته لينام فيها، وهذا شرف عظيم لحذيفة رضي الله عنه (فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كانت عليه)، ومن المعززات الاجتماعيّة الإضافيّة المقدّمة مداعبته صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه بقوله: (قمْ يا نومان).

خامساً: معرفة النتائج كمعززات:

تعدّ معرفة الفرد لنتائج أدائه أو عمله مُعززاً قوياً؛ يعملُ على تقوية ظهور السلوك المرغوب فيه(الروسان، ٢٠٠١، ص: ١٣٥)، فالنجاح السلوكي يقود إلى نجاحات سلوكيّة متتالية ومتسلسلة، والإخفاقات السلوكية؛ قد تجر إلى إخفاقات سلوكيّة ونفسية مصاحبه، قال المناوي (١٣٥٦هـ، ج١: ص٢٤٣): "عدم النجاح؛ يؤدي إلى فقد الفلاح"، فالأنماط السلوكيّة المرغوب فيها التي ينجح الفرد في تأديتها وتعود عليه بنتائج إيجابية؛ تدفعه إلى سلسلة من الأنماط السلوكيّة الإيجابية المتصلة، أمّا الإخفاقات السلوكيّة المتكررة؛ قد تطفئ طاقات الفرد وقدراته، وتجرّه إلى التقوقع حول الذات.

سادساً: المعززات الرمزيّة:

يُقصد بالمعززات الرمزيّة: الرموز التي يحصل عليها الفرد بعد تأدية السلوك المرغوب فيه، ويمكن استبدال بعضها بمعززات أخرى، من مثل: النقاط، والنجوم، والكابونات (الخطيب، ٢٠١٠، ص: ١٤٩)، ويدخل تحت هذا النوع من التعزيز أيضاً: الرُتب، والدرجات التكريميّة والشرفيّة والعلميّة. ومنْ قِبَل التعزيز الرُتَبي الشرفي الذي يدخل تحت التعزيز الرمزي، قول النبي

صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: "مَنْ يأتني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، ثمّ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" من يأتيني بخبر القوم؟" قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنّ لكل نبي حواريّاً وحواريّ الزبير" [القوم: المراد بنو قريظة من اليهود. حواريّاً: خاصة من أصحابه وخالصا من أنصاره] (البخاري، ١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٦٩١). فلمّا تطوع الزبير بن العوام رضي الله عنه بأنْ يأتي بخبر يهود بني قريظة، عززه النبي صلى الله عليه وسلم تعزيزا قبليّا: رتبيّاً وشرفيّاً وتكريميّاً، بأنْ جعله حواريّ الرسول صلى الله عليه وسلم الخاص، ورتبة الحواري، هي: رُتبة الصفوة الخالصة من الأصحاب والأنصار. تدفع المعززات الرمزيّة الكثير من الأفراد؛ للانخراط في العمل التطوعي الاجتماعي، فغالبية من يمارسون العمل التطوعي لا تشكل العوائد الماديّة لهم هدفاً رئيساً بقدر ما يبحثون عن الرّتب الشرفيّة والتكريميّة: الدنيويّة والأخرويّة.

فعاليّة المعززات الإيجابية:

يحسن مراعاة مجموعة من الإجراءات التي تسهم بنجاح عملية التعزيز حال تقديم عمليات التعزيز الإيجابيّة والسلبيّة، من مثل: مناسبة حجم التعزيز لمقدار السلوك، والتنوع في تقديم المعززات، وأنْ تكون المعززات مرغوبة وليست طاردة، وأنْ تكون عملية التعزيز فوريّة وليست مؤجّلة، قالَ ابن تيمية (١٤٠٣هـ، ج١: ص: ٣٦٤): "فالشيء يكمل ويجمّل ويحسن؛ بما يناسبه ويلائمه وينفعه ويلتذّ به، كما يفسد ويقبح بما ينافيه ويضرّه ويتألم به، والأعمال الصالحة، هي: التي تناسب الإنسان، والأعمال الفاسدة، هي: التي تنافيه"، ويشير النص إلى مجموعة من العوامل التي تزيد من فاعليّة التعزيز، والتي يمكن إجمالها بما يلي، أولاً: يجب أن تتناسب كمية التعزيز مع طبيعة الجهد الذي يبذله الفرد في تأدية السلوك المرغوب فيه (بما يناسبه ويلائمه)، ثانياً: يجب تقديم المعززات المتنوعة، فالفرد قد يصيبه الإشباع إذا قُدّم له لون واحد من المعززات، فالمنفعة تكون بتقديم معززات متنوعة (وينفعه)، ثالثاً: يجبْ أنْ يكون التعزيز بالمعززات التي يرغبها الفرد؛ فالمعززات التي أشبع منها لا تثير دافعيته لاكتساب السلوك المرغوب فيه، أمّا المعززات غير المشبع منها فهو يسعى إلى تحصيلها من خلال اكتساب السلوك المرغوب فيه وتقويته وتكراره (ويلتذ به)، رابعاً: يفضل أنْ يكون التعزيز فوريّاً؛ لأنّ فاعلية التعزيز الفوري أكثر من فاعلية التعزيز المؤجّل، قال صلى الله عليه وسلم: "ومن صنع إليكم معروفاً؛ فكافئوه" (سبق تخريجه)، والفاء في "فكافئه" للسرعة والتعقيب.

يعد أسلوب التعزيز بقسميه: الإيجابي والسلبي، من أنْجع أساليب التحفيز والدفع السلوكي، فهو يقوم على مبدأ تقديم المثيرات الإيجابيّة أو سحب المثيرات السلبيّة؛ دفعاً لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، وفي أسلوب التعزيز مساحة واسعة لاختيار أفضل المعززات التي تتناسب وحاجات الفرد وتطلعاته ورغباته، فأسلوب التعزيز يُلبّي حاجات الفرد ويقوم بتشكيل الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها لديه ويدعمها، وحتى تؤدي عملية التعزيز نتائجها المطلوبة لابد منْ أنْ يتناسب حجم التعزيز مع قيمة العمل السلوكي، وأنْ يتم تقديم معززات متنوعة وعدم الاكتفاء بنوع واحد من المعززات، وأنْ تكون المعززات جاذبة لا طاردة، ومع مراعاة التركيز على التعزيز الفوري، والتدرج من التعزيز المادي إلى التعزيز الاجتماعي.

الخاتمة:

يحفّز الفقه الإسلامي الأفراد والمجموعات لممارسة الأعمال التطوعيّة المرغوب فيها اجتماعيّاً من خلال تبنية وتطبيقه لمجموعة من الإجراءات السلوكيّة المتمثلة بالآتي:

١. تفعيل مبادئ التجمع والإجتماع القائمة على أساس المنهج الصحيح المتبع، وتذويب مسببات الاختلاف والتشتت في بوتقة الايدولوجيا؛ وصولاً بالمجتمع المسلم إلى مفهوم الجسد الواحد الذي تتداعى له كل الأعضاء والأطراف والأوصال؛ تحقيقاً للمصلحة ودفعاً للمضرة.

٢. توسيع القواسم المشتركة بين الأفراد والمجموعات؛ تحفيزاً لتكامل الأدوار والأعمال؛ بغية النهوض بالفرد والمجتمع معا بصورة متوازنة؛ تحقيقاً لمقام الخيريّة والشهود الحضاري المسئول، وتذويباً لكل إثنيات التنافر المرسّخة لمبادئ: السلبيّة والتنازع والفشل الحضاري.

٣. ترسيخ الفهم الصحيح لسنن المداولة ترسيخاً مهتدياً مستنداً إلى المصدر الإيديولوجي؛ تحقيقاً لمبادئ وقيم: التعاون، والتناصر، والتكاتف، والترابط المجتمعي على المستويات: العلميّة والنظريّة، واستثماراً لأقدار الله تعالى استثماراً إيجابيّاً يحقق غايات الاختبار والابتلاء الإلهي، وعَملاً على إيجاد سلسلة متصلة ومتداخلة ومتبادلة من أفعال الخير الدائرة؛ الأمر الذي يؤصّل في المجتمع المسلم لثقافة المسارعة إلى فعل الخيرات، وتوسعةً كذلك لمخرجات فعل الخيرات، لتشمل جميع الحلقات: الفرديّة، والمجتمعيّة، والإنسانيّة؛ تعميماً للفائدة؛ وحتى يتبادل الجميع منافع أعمالهم الخيّرة.

٤. تكوين نماذج الأسوة المهتدية القائمة على مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي تَستخدمُ أساليب التحفيز: الحيّة والرمزيّة والتشاركيّة؛ لتحفيز الأفراد لممارسة الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، والانخراط المهتدي بالنسق الاجتماعي العام؛ بغية تحويل الأفراد إلى نماذج سلوكيّة مهتدية يصلح الإقتداء بها إجتماعيّاً.

٥. تشكيل الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها، من خلال تحديد السلوكيات النهائية المراد تحقيقها، ثمّ تجزئتها إلى سلوكيات فرعيّة ذات صلة بالسلوكيات النهائية، ثمّ الانتقال من حلقة سلوكيّة إلى أخرى بأسلوب متدرج وممنهج، يراعي طاقات الفرد وقدراته وجميع ظروفه، وفي كل حلقة سلوكيّة يجتازها الفرد تقدم له المعززات المناسبة؛ تحفيزاً له على مواصلة السلاسل السلوكية، وصولاً إلى السلوك النهائي المرغوب فيه القابل للبقاء والديمومة بعد زوال المثير.

٦. تفعيل استخدام أسلوب الحث السلوكي بأقسامه: اللفظيّة والإيمائيّة والجسميّة؛ لاستنهاض طاقات الأفراد وقدراتهم للاستجابة للمثيرات السلوكية بسرعة وإتقان؛ بغية تحقيق الأنماط السلوكية المرغوب فيها إجتماعيّاً، ثمّ تعزيزها تعزيزاً متنوعاً؛ حثاً لهم على ديمومة ممارسة الأنماط السلوكية المرغوب فيها وتكرارها.

٧. تعزيز الأنماط السلوكيّة المرغوب فيها اجتماعيّا: إيجابيّاً أو سلبيّاً: فورياً ومتنوعاً وجاذِباً، ومتدرِجاً، ومتناسباً مع قيمة العمل السلوكي المرغوب فيه؛ بغية ديمومة ممارستها وتكرارها.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن القيم، محمد، (١٩٧٣). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي.

٣. ابن القيم، محمد، (د.ت). الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه، (د.ط)، جدة: مكتبة المدني.

٤. ابن تيمية، أحمد، (١٤٠٣هـ). الاستقامة، ط١، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود.

٥. ابن تيمية، أحمد، (١٩٧٩). العبودية، بيروت: المكتب الإسلامي.

٦. ابن تيمية، أحمد، (١٣٨٦هـ). الفتاوى الكبرى، ط١، بيروت: دار المعرفة.

٧. ابن تيمية، احمد، (د.ت-أ). كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، ط٢، مكتبة ابن تيمية.

٨. ابن تيمية، أحمد، (د.ت-ب). مجموع الفتاوى، الرياض: مطابع الرياض.

٩. ابن حجر، أحمد العسقلاني، (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

١٠. ابن حجر، أحمد العسقلاني، (١٤١٢هـ). الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، بيروت: دار الجيل.

١١. ابن قدامة، عبد الله بن احمد المقدسي، (١٤٠٥هـ). المغني، ط١، بيروت: دار الفكر.

١٢. ابن نجيم، زين الدين الحنفي، (د.ت). البحر الرائق، ط٢، بيروت: دار المعرفة.

١٣. أبو السعود، محمد، (د.ت). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٤. ابو داود، سليمان بن الأشعث، (د.ت). سنن أبي داود، دار الفكر.

١٥. الألوسي، محمود، (د.ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي.

١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٨٧). الجامع الصحيح، ط٣، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة.

١٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٩٨٩). الأدب المفرد، ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية.

١٨. البستي، محمد بن حبان، (١٩٩٣). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٩. البيهقي، احمد بن الحسين، (١٤١٠هـ). شعب الإيمان، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠. البيهقي، أحمد بن الحسين، (١٩٩٤). سنن البيهقي الكبرى، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز.

٢١. الترمذي، محمد بن عيسى، (د.ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٢. الحاكم، محمد، (١٩٩٠). المستدرك على الصحيحين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣. الخطيب، جمال، (٢٠١٠). تعديل السلوك

الإنساني، ط٢، عمان: دار الفكر.

٢٤. الخطيب، جمال، (د.ت). تعديل سلوك الأطفال المعوقين، (د.ط)، عمان: إشراق للنشر والتوزيع.

٢٥. الخطيب، جمال؛ الحديدي، منى، (٢٠٠٩). مناهج وأساليب التدريس في التربية الخاصة، ط١، عمان: دار الفكر.

٢٦. الروسان، فاروق، (٢٠٠١). مناهج وأساليب تدريس ذوي الحاجات الخاصة، ط١، الرياض: دار الزهراء.

٢٧. السرخسي، شمس الدين، (د.ت). المبسوط، بيروت: دار المعرفة.

٢٨. الشاطبي، إبراهيم، (د.ت). الموافقات في أصول الفقه، (د.ط)، بيروت: دار المعرفة.

٢٩. الشعراني، عبد الوهاب، (١٩٧٣). لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمديّة، ط٢، مصر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٣٠. الصنعاني، عبد الرزاق، (١٤٠٣هـ). مصنف عبد الرزاق، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي.

٣١. الطبراني، سليمان بن أحمد، (١٤١٥هـ). المعجم الأوسط، القاهرة: دار الحرمين.

٣٢. الطبراني، سليمان بن أحمد، (١٩٨٣). المعجم الكبير، ط٢، الموصل: مكتبة العلوم والحكم.

٣٣. الطبري، محمد، (د.ت). جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٤. العظيم آبادي، محمد، (١٤١٥هـ). عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٥. الغزالي، محمد بن محمد، (د.ت). إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة.

٣٦. القشيري، مسلم بن الحجاج، (د.ت). صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٧. المرداوي، علي بن سليمان، (د.ت). الإنصاف، بيروت: دار إحياء التراث.

٣٨. المقدسي، محمد بن مفلح، (١٤١٧هـ). الآداب الشرعية، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٩. المناوي، عبد الرؤوف، (١٣٥٦هـ). فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

٤٠. نجاتي، محمد عثمان، (١٩٨١). القرآن وعلم النفس، بيروت: دار الشروق.

٤١. نجاتي، محمد عثمان، (١٩٨٥). علم النفس في حياتنا اليومية، ط١٢، الكويت: دار القلم.

٤٢. النسائي، أحمد، (١٩٨٦). المجتبى من السنن، ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

٤٣. النووي، يحيى، (١٣٩٢هـ). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر، (١٤١٢هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت: دار الفكر.

The Incentives of the Voluntary Behavior in the Islamic Jurisprudence

R. G. R. Al-Amrat[1] and M. G. R. Al-Amrat[2]

Department of Islamic education - Yarmouk University - Jordan[1]

Department of Special Education - Faculty of Educational Sciences - Jadara University - Jordan[2]

Abstract

This study aims at answering its following main question: What are the incentives of the voluntary behavior in the Islamic jurisprudence? The answer to this question is divided into seven investigations showed that the Islamic jurisprudence motivates the individuals and groups to practice the behavioral patterns which are socially accepted by: activating the principles of assembly and gathering, expanding the common ground between the individuals and groups, establishing the proper understanding to the ways of deliberation, and forming of faithful models based on the principles of the promotion of virtue and the prevention of vice. Moreover, it uses the behavioral formation, behavioral encouragement, and behavioral reinforcement to promote the individuals and groups to practice the socially accepted behavioral patterns.

Keywords: Incentives, Motivation, Modeling, behavioral formation, behavioral encouragement, behavioral reinforcement.

E-mail: dr_amrat@yahoo.com

ظواهر موسيقية في شعر الخنساء

محمود حسين العزازمة
قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب – جامعة حائل – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

يتناول هذا البحث الناحية الموسيقية في شعر الخنساء؛ الناحية التي تفحص شاعرية النصوص، وتكشف عن البِنى الإيقاعية فيها، ويحاول البحث الإجابة عن السؤال: ما الظواهر الموسيقية في شعر الخنساء وما طبيعتها..؟ لهذا؛ تناول البحث كلا من ظواهر: التدوير والتماثل الصوتي المقطعي، والتضمين الخارجي والداخلي، وظاهرة الترصيع، والتصريع، والتصدير، وظاهرة الجناس.

الكلمات المفتاحية: شعر الخنساء، التماثل الصوتي المقطعي، الترصيع، التصدير، ظاهرة الجناس.

مُقدّمة

يستحق شعر الخنساء الدراسة، لما فيه من جوانب متميزة من حيث المستوى والنضوج والفنية. وقد كان شعر الخنساء – ولا يزال – ميدانا واسعا لدراسات كثير من الباحثين، فقد وجدت بحوثا كثيرة تناولت هذا الشعر مثل: الصورة الفنية في شعر الخنساء لسليم بن ساعد السُّلمي، والتكرار في شعر الخنساء دراسة فنية، لعبد الرحمن بن عثمان بن عبد العزيز الهليل، وبراعة الاستهلال والتخلص وحسن الختام في شعر الخنساء، دراسة بلاغية، لمحمد رضا عبدالله الشخص، وصور التشبيه والاستعارة في شعر الخنساء لسيد أحمد حسين، والبديع في شعر الخنساء بين الاتباع والابتداع دراسة بلاغية نقدية، لعبد الجليل يوسف حسني.غير أن ما أفرده الباحثون من دراسات تعرض لجانب من جوانب شعر الخنساء، أو قضية من قضاياه، أو قصيدة منه، وإن اقترب بعضهم من دراسة نصوص الشاعرة بوصفها نصوصا أدبية عامرة بالإيقاع والموسيقى، فإن المجال يبقى فسيحا لإعادة النظر في بعض الظواهر الموسيقية في شعر الخنساء؛ لما يتضمنه من أسرار موسيقية متعددة وقابلة لإعادة الدراسة والبحث. لهذا أقدم هذا البحث على محاولة لبيان المضامين الموسيقية في شعر الخنساء ، حيث استقر في الأذهان أن إيقاع الشعر الجاهلي عموما لا يتعدى أوزانا خارجية وبحوراً شعرية وزحافات وعللا وتفعيلات عروضية.حصر هذا البحث اهتمامه في بحث الناحية الموسيقية في شعر الخنساء، الناحية التي تفحص شاعرية النصوص، وتكشف عن البِنى الموسيقية فيها، محاولاً أن يجيب عن السؤال التالي: ما الظواهر الموسيقية في شعر الخنساء وما طبيعتها..؟

وللإجابة على هذا التساؤل سيحاول البحث دراسة شعر الخنساء دراسة علمية، تستطيع أن ترصد خصائصه الموسيقية الجزئية والكلية المميزة، وسيكون الإحصاء أداة تمهد للبحث السبيل لاختيار ما قد يتكرر أكثر من غيره، ليمكن اعتباره ظاهرة موسيقية مهيمنة، تكون أولى بالدراسة من غيرها، لأن التكرار يعني سمةً أسلوبية في النص. ثم سيعمد البحث إلى تفسير الظواهر وتحليلها واستقراء ما فيها من خصائص، وسيعرض البحث الظواهر الموسيقية في شعر الخنساء من خلال مبحثين:

المبحث الأول: وينظر في جانب الموسيقى الداخلية، وستتم دراسة كل من ظاهرة التدوير، وظاهرة التماثل

البريد الالكتروني: mama888_6@hotmail.com
ردمد: ٦٩٠٥- ١٦٥٨

الصوتي المقطعي، وظاهرتي التضمين الخارجي والداخلي.

أما المبحث الثاني، فيعرض للمحسنات اللفظية، حيث ستتم دراسة كلّ من ظاهرة الترصيع، وظاهرة التصريع، وظاهرة التصدير، وظاهرة الجناس.

المبحث الأول: الموسيقى الداخلية.

ظاهرة التدوير:

حضر التدوير بوضوح في شعر الخنساء، والبيت المدور هو "الذي يتصل صدره بعجزه بوجود كلمة مشتركة بينهما؛ جزء منها في آخر الصدر والجزء الآخر في بداية العجز"[١]. ويبدو أن التدوير يسمح لحركة المشاعر والأفكار والأخيلة أن تأخذ شكل دفقة موسيقية تتجاوز في اندفاعها حدّيّ البيت الشعري المؤلف من الصدر والعجز. كما يعمد التدوير إلى إزالة تلك الوقفة الصارمة في نهاية صدر البيت الشعري، وبذلك يسمحُ بإحداث امتداد موسيقيّ للكلام الشعري، مقوّيا من انسيابه، ومحاولا إطالة لحظة التأمل لدى الشعراء. توزعت الأبيات المدورة في شعر الخنساء على كثير من قصائد ديوانها، وقد ورد في بعض البحور الشعرية بأعداد متفاوتة، فقد جاء في مجزوء الكامل ثلاثا وعشرين مرة (٢٣) وجاء في بحر المتقارب إحدى عشرة مرة (١١) وفي بحر الخفيف تكرر التدوير عشر مرات (١٠) وفي بقية البحور تكرر التدوير سبع مرات (٧).

قالت الخنساء:

يا عَينِ جُودي بالدّمو
.:.
ع المُسْتَهِلاّتِ السّوَافِحْ
فَيْضاً كما فاضَتْ غُرُو
.:.
بُ المترعاتِ منَ النَّواضحْ
إن البكاء هو الشفا
.:.
ء من الجوى بين الجوانح
السّيّدُ الجِّحْجاحُ وابـ
.:.
نُ السَّادة الشَّمِّ الجحاجحْ
فأصابَنَا رَيْبُ الزّمَانِ
.:.
نِ فنالَنَا منهُ بناطحْ
فالآنَ نحنُ ومَنْ سِوَا
.:.
نا نَامثلُ أسنان القوارحْ
إذا غاب مدرهنا وأسـ
.:.
لمنا لأيام كوافح
وتعذرت أفق البلا
.:.
دِ فما بها وشل لماتح
تذري السواقي على السوا
.:.
م، وأجدبت سبل المسارح
فكأنَّمَا أم الزَّما
.:.
ن نُحُورَنا بمُدَى الذّبائِحْ
يحننَّ بعدَ كَرى العيو
.:.
نِ حنينَ والهةِ قوامحْ
والجُودِ والأيْدي الطّوا
.:.
لِ المُسْتَفيضاتِ السّوامِحْ
الواهِبُ المِئة الهِجَا
.:.
نِ من الخناذيذِ السوابحْ[٢]

نلاحظ أن بكاء الخنساء ممتد ومتدفق، لحدّ أنه لا

١- يوسف بكار، وليد سيف، العروض والإيقاع، ط١، جامعة القدس المفتوحة، عمان ١٩٩٧م، ص٨٣.

٢ – ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني النحوي (ت:٢٩١هـ) **شرح ديوان الخنساء**، تحقيق: **أنور أبو سويلم**، دار عمار، ط١، ١٩٨٨م، ص: ٣٢٨-٣٤٣، اللمستهلات: المنهملات، من استهل الدمع إذا انهمل، السوافح: هي الدموع المرسلات، الغروب: غرب المسيل، المترعات: المملوءات، النواضح: من الناضحة وهي ما يسقى بها. الديوان، الجوانح: هي الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر.الديوان، الجحجاح: من القوم سيدهم المسارع إلى المكارم وله عطيات. أم: قصد، مدى: جمع مدية وهي السكين. الديوان، حنين الوالهة: هي النياق الحزينة. الديوان، الهجان أي الكريمة، الخناذيذ: الطوال المشرفة، السوابح: التي تسير كأنها تسبح في سيرها.

يمكن إيقافه بين شطري البيت، ففي البيت الأول تخاطب الخنساء عينيها: يا عين اسكبي دمعك، كما تنسكب الأمطار. وهو معنى لا يمكن تجزئته إلى جزأين، أو الوقوف للاستراحة؛ لأنها مشاعر متدفقه ومتسارعة، وشديدة الانفعال والاندفاع.

نلاحظ هذا في خطاب الخنساء المتكرر لعينيها: ليكن بكاؤكما غزيرا، كأنه سيل قد فاض من الدلاء الممتلئات، عندما تسير الإبل بها ليتدفق الماء من جوانبها؛ فإن البكاء يشفي من حرقة الوجد الكامنة بين الضلوع، ابكيا صخرا السيد عظيم الفعال، ابن الكرماء الأسياد، فلقد كنا نعيش بعزم صخر الفقيد؛ نجابه ونقاوم عاديات الزمان، ولكن ها هو الدهر يفجعنا بصخر ذاته، وهذا أمر شديد، لقد صرنا اليوم مثل غيرنا من الناس؛ قليليّ الحيلة، لا نقدر على شيء، هكذا نتساوى بالناس منذ أن غاب صخر القوي الحامي، وتركنا لمواجهة الأيام التي تعادينا وتحاربنا، فشق علينا الأمر، وضاقت بنا السبل، فما نجد شيئا بعد فقد صخر، لقد أصبحت أيامنا مجدبة، ليس فيها سوى الغبار، تنثره الريح على إبلنا، ويبست مراعينا، لكأن الزمان بات يتجه إلينا، وهو يوجه إلى رقابنا السكاكين يريد ذبحنا، وإن نساءنا يواصلن البكاء والحنين بعدما تنام العيون، شأن الإبل التي فقدت أولادها، فهي لا تقنع بمرعى، ولا تشرب ماء، فهي دائمة التلفت لعلها ترى من فقدته، مثل صخر صاحب السخاء والنعم التي لا يقدر أحد على تقديم مثيلها.

ومن خلال هذه الأحاسيس الجارفة، لم يتسنّ للشاعرة أن تقف بين شطر وشطر، ولو وقفة قصيرة، فكانت الأبيات متصلة، سائلة الجريان بالدموع ومشاعر الألم والحزن، لا شيء يحدّ منها أو يوقف طريقها.

قالت الخنساء:

وبيضٍ منعتَ غداة الصُّبـ
ـح تَكْشِفُ للرّوْعِ أذْيَالَها
ونوحٍ بعثتَ كمثلِ الإرا
خِ آنَسَتِ العِينُ أشْبالَها
ككرفئةِ الغيثِ ذاتِ الصَّبيـ
ـر ترمي السَّحابَ ويرمى لها
نُهينُ النّفوسَ، وهَوْنُ النّفو
سِ يومَ الكريهةِ أبقى لها
و نعلمُ أن منايا الرّجا
لِ بالغةٌ حيثُ يحلى لها
و قافيةٍ مثلِ حدِّ السّنا
نِ تبقى ويذهبُ منْ قالها
نقد السلاح كقد الأديـ
م لا ينطق الناس أمثاله[٣]

٣- الخنساء، الديوان ص: ٩٣-١٠٧. ومعنى نساء تكشف، أي ترفعها عن مخادعها فرقا، الروع: الخلد. أي رب نوح نساء قتلت رجالهن، فبعثتهن للنوح، وهن مثل البقر لأنهن دائمات الأنين في النوح، وتكثر حركتهن، آنست العين أشبالها: لأنها إذا رأت أولادها بغمت وتخاورت، لتأتيها فترضعها شبهت أصوات النوائح بتخاور العين، الإراخ: أولاد البقر، واحدها إرخ، العين: البقر، الواحد أعين، وعيناء الأنثى وآنست: أبصرت. تقصد الشاعرة: آنست العين أسبال الغيث، وهو جمع سبل، وما خرج من السحاب من القطر ولم يصل إلى الأرض، يقال: أسبلت السحابة، فتقول: خرجت ستورا بالمطر في أول ما جاء. الصبير والكرفئة: السحاب الضخم، ترم الكرفئة سحابا أمامها، ولها من خلفها مادة ترمي لها، أي تمدها وتقصد لها، فانظر ما يكون ثم من المطر، الهون: الهوان بعينه، الكريهة: الحرب. أبقى لها في الذكر: أي أبقى لها ذكرا، الهون: الهوان، والمعنى: إذا غامرت وغشيت القتال كان أسلم لها من الانهزام. حد السنان: في جودتها وشدتها ومضائها، تنفد هذه القافية فتمضي، وينفد ذلك الجيل فتخلفه.

كما نلاحظ التدوير في الأبيات السابقة، وهي أبيات تدور حول معاني التفجع على فقيد الشاعرة صخر؛ إذ تخاطب الخنساء أخاها: يا صخر كم من امرأة حاميت عنها وقت الغزو وقد كانت من الخوف تعدو مسرعة في الأرض لتنجو بنفسها، كأنما حركة العدو السريع في هذا البيت ساهمت في تعذّر أي محاولة للوقوف بين شطري البيت، أما النساء اللواتي قتل صخر رجالهن، نساء العدو، فقد بعثهن صخر للنواح المستمر، وحالهن مثل البقر الوحشي، فأنينهن عال وحركتهن مضطربة، هذه الحركة في البيت بدت متصلة ومتتابعة ومتدفقة ليس من اليسير تجزئتها أو الوقوف بين أجزائها. ثم تواصل الخنساء ذكر أيام صخر وشجاعته، فكم من كتيبة تموج من كثرة رجالها، وقد لبس فرسانها الدروع المتينة، واعتمروا الخوذ الفولاذية، سار القوم إليها بقيادة صخر يتباهون بقوتهم، واثقين من انتصارهم وقد وصلت الكتيبة بكتيبتين، تمدها التي وراءها وتمد الكتيبة التي أمامها. ثم تصور الخنساء اندفاع القوم نحو حوض المعركة؛ مخاطرين بأنفسهم، غير مباليين بفقد أرواحهم، لقناعتهم أن الصمود أخلد لذكرهم من الهزيمة.

ثم تتحدث الشاعرة بلسان قومها، فنحن نعلم أن الموت أسرع إلى الذين يعرضون أنفسهم للخطر، ومع ذلك لا نكترث ولا نهتم، فرب قصيدة لها مضاء وشدة كرؤوس الحراب تخلد أبد الدهر في حين يموت قائلها؛ القصيدة لها فعل السيف من شدتها وقوتها، إنها معان متسارعة ومتدفقة تلفها عاطفة الأسى والحسرة لفقدان صخر، ما دعا الشاعرة إلى الاتصال وعدم التوقف بين جزأي البيت.

قالت الخنساء:

إِنَّني قَـد عَلِمـتُ وَجـدَكَ بِـالحَم
وَإِطـلاقَـكَ الـعُـنـاةَ سَـــمـاحـاَ
وَعَـلَيـهِ أَرامِـلُ الـحَيِّ وَالسَّـــفـ
رُ وَمُـعْـتَـرُّهُـمْ بـهِ قـدْ ألاحـا
إن في الصَّـــدر أربعـا يتجـاوبـ
نَ حنيناً حتَّى كســرنَ الجنـاحَـا
وخطيب أشـم إذ سـعروا الحر
ب وصـفوا صـف الخصـيم الرماحا
فارسٌ يضـربُ الكتيبةَ بالسَّـيـ
ف إذا أردفَ العويلُ الصُّـياحا[٤]

يظهر التدوير جليا في هذه الأبيات التي تخاطب الخنساء فيها أخاها صخرا: وإنني لعارفة، بحبك للثناء واكتساب المفاخر، وبتفضلك بإطلاق الأسرى الذين تمكنت منهم وباتوا طوع يديك، هذا التدفق في تذكر أيام صخر وخصاله الكريمة لم تتح للخنساء فرصة الوقوف أو الاستراح بين شطري البيت، فالخنساء كانت تعتمد في العيش على أخيها صخر، وكذلك النساء اللواتي فقدن أزواجهن، وعابرو الطريق، والفقراء الذين ساءت أحوالهم، كانوا جميعا يعتمدون في حياتهم ومعاشهم على صخر، فلا بدّ أن يكون أثر فقده مضاعفا وصاعقا لهم.ثم تؤكد الخنساء معاني الفجيعة ذاكرة وقائعها في سياق متصل ومتسارع: إن في صدري من ألم الفجيعة مقدار ما في أربع من نوق فقدن أولادهن، فهن يتجاوبن بالحنين إليهم من الصباح حتى

٤- الخنساء، الديوان، ص: ٢٤١-٢٤٤. وجدك: ابتغاؤك له وحبك إياه، الجناح: الذين يجنحون إلى الإطلاق، الواحد: جانح، قالوا: الجانح الذي يقعد بين يدي آسره وشبه الخاضع، وهم جانحون له ينتظرون إطلاقه. الخطيب متكلم القوم، الشمم: صفة الأشراف، سعروا الحرب: أوقدوها. السفر: بسمون الفاء، المسافرون، المعتر: الذي يطيف بك للمسألة. أي كان في صدري أربع أظار خلايا، قد مات أولادهن يتجاوبن من الحزن والبكاء، مراحهن: مواضعهن التي يبركن فيها إذا ردّت من المرعى، أي لا يزلن يحنن منذ غدوة إلى أن يبلغن مراحهن. الشزر: الطعن في جانب، حين يسمو: للقتال كما يسمو الجمل، وهو سطوعه بعنقه واستكباره، يثر: يطعن فيوسع الجراح.

يأتي المساء، ويرجعن إلى مباركهن، هذا البكاء المتصل، الذي لا يمكن السيطرة عليه جراء الفقد، حال دون أن تتوقف الشاعرة بين شطري البيت، فواصلت تأكيد معاني الحسرة مخاطبة الفقيد: أنت المتكلم الشريف الذي لا يتلجلج ولا يضطرب، ولو كان الموضع موضع قتال، وقت تصاف الأعداء للنزال، إنك الفارس الجريء الذي يهاجم أعداءه وحيدا، إنها صورة صخر المقدام، وهو يقتحم الصفوف رافعا رأسه، وقد أثخن في الأعداء وأوسع جراحهم.

قالت الخنساء:

رَفِيعَ العِمادِ، طَوِيلَ النِجا
دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمرَدا[٥]

كما يتبدى التدوير في بيت الخنساء السابق، الذي تتدفق منه صفات صخر الكريمة؛ فصخر العزيز عالي المكانة في قومه، طويل القامة حسن الشباب، صغير السن، ولم ينبت الشعر في وجهه بعد، هذه المعاني التي تصور خصال صخر بتتابع وتدفق واسترسال، ساهمت في اتصال جزأي البيت.

قالت الخنساء:

هُمُ مَنَعُوا جَارَهُمْ والنّسَا
ءُ يَحْفِزُ أَحْشاءَها المَوْتُ حَفْزَا[٦]

كما يظهر التدوير في هذا البيت الذي تصف فيه الخنساء رجال قومها الأشراف، إذ كانوا يحمون من يستجير بهم في وقت الشدة، حيث تكون المنايا محيطة بالناس، تكاد النساء فيها يمتن هلعا؛ لضعفهن وقلة حيلتهن، ولعل أسلوب الوصف المتدفق في هذا البيت ساهم في ظهور التدوير بصورة جلية.

قالت الخنساء:

مَلِكٌ ماجِدٌ يَقُومُ لَه النَّا
سُ جَمِيعا قِيامَهُمْ لِلهِلالِ[٧]

تجعل الخنساء أخاها صخرا سيدا كريما، يجله الناس، ويقدرونه، إنهم ينهضون احتراما له عند مروره بهم، كما يتطلعون إجلالا لإطلالة هلال السماء، وهي معان قائمة على عاطفة التذكر؛ العاطفة التي تتواثب في وجدان الشاعرة، فلم تستطع تحت وطئتها الوقوف، والاستراحة بين جزأي البيت.

قالت الخنساء:

تَحدَّرَ وانْحَلَّ مِنهُ النِّظا
مُ فارْفَضَّ مِنْ سِلْكِهِ أجْمَعُ
بِأبْيَضَ صَافٍ كَمِثْلِ البُرُو
قِ تَضَمَّنَهُ مَلِكٌ أرْوَعُ[٨]

إنها حبات الدموع المنهمرة التي تشبه في تساقطها عقد اللؤلؤ، وقد انفرط الخيط الذي يضمه فانتشر وتفرق كله، تجعل الشاعرة صخرا يقطع الناقة بسيفه الأبيض اللامع كأنه البرق؛ سيف قاطع يمسك به سيد مهيب الطلعة، فكل هذه المعاني متصلة، ومنهمرة، ومتسارعة، لم تعط فرصة للشاعرة في التوقف.

قالت الخنساء:

حَامِي الحقِيْقَةِ، مَحْمُودُ الخَلِيقَةِ مَه
دِيُّ الطَّرِيْقَةِ، نَفَّاعٌ، وَضَرَّارُ[٩]

٥- الخنساء، الديوان، ص: ١٤٣، طويل العماد: أي كان بيته طويل العمد، واسعا، طويل النجاد: كانت حمائل سيفه طويلة.

٦- المصدر نفسه، ص: ٢٧٥. يحفز أحشاءها، أي يدينها من الموت كما تحفز الدابة بالجزام، أي تُشَد ،حفزا: تدفع دفعا.

٧- الخنساء،الديوان، ص: ٣٤٧، قيامهم للهلال: استقبالهم له بحفاوة.

٨- الخنساء، الديوان ص: ٣٤٨-٣٥٠. الملك الأروع: السيد الذي يروعك لهيبته وجلاله، وتقصد الشاعرة أخاها صخرا.

٩- المصدر نفسه، ص: ٣٩٢. نفاع وضرار: كريم، وشديد البأس في الخصومة.

كان صخر يحمي الحمى، إنه رجل مأمون الطوية، واضح المسالك، قادر على النفع والضرر، وهذه الصفة كناية عن السيادة والقدرة، إنها حرفة التذكر التي أدمنها حزن الخنساء وأتقنها، لم تجعل لها سبيلا إلى التوقف أو الانتظار بين شطري البيت.

ولعل اتصال أسلوب التدوير بتكامل المعنى داخل نسق البيت الواحد؛ كما مرّ معنا في القطع الشعرية والأبيات السابقة – هذا التكامل– الذي يتوافق مع النبرة الحزينة التي يمور بها شعر الخنساء؛ فلم يتأنّ للشاعرة في أحيان كثيرة الاستراحة نهاية الصدر بسبب الألم ونوبة البكاء المتصلة وما يلف أعماقها، بل كان التدفق في البوح الحزين لا يسمح بأي وقفة زمنية.

فألم الشاعرة الكبير على فراق أخيها لم تتح لها الوقوف بين الصدر والعجز إذ إن الحزن والبكاء وحركتهما المتواصلة لا يقوى على إعاقته عائق.

ظاهرة التماثل الصوتي المقطعي:

أصوات اللين:

تمتاز أصوات اللين بـ"وضوحها في السمع، إذا قيست بالأصوات الساكنة"[١٠] وقد ظهرت هذه الأصوات في شعر الخنساء بصورة جلية، على هيئة مقاطع صوتية طويلة مؤلفة من صامت وصائت طويل (ص ح ح). وقد يكون الصائت الطويل متولداً عن ياء المد الناتجة عن إشباع الكسرة القصيرة، سواء أكان الصائت الطويل ألفاً أم واواً أم ياءً. وثمة وظائف فنية صوتية لمثل هذه المقاطع؛ إذ إنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى تنويع النغمة الموسيقية للفظة أو الجملة الشعرية؛ فهذه المقاطع "ذات مرونة عالية وذات سعة في إمكاناتها الصوتية، قادرة على إضفاء موسيقى خاصة؛ لها تأثير نفسيّ؛ يشبه التأثير الذي يحدثه اللحن الموسيقي"[١١]. ويمكن تلمس هذه الظاهرة الصوتية من خلال عدد من الأمثلة في شعر الخنساء، قالت الخنساء:

أبَتْ عَيْني وعاوَدَها قَذاهَا
بِعُوَّارٍ فَمَا تَقْضي كَراهَا
ني / عا / ها / ذا / ها
وا / ما / ضي / را / ها
فَتَى الفِتْيانِ ما بَلَغوا مَداهُ
ولا يَكْدَي إذا بلغَتْ كُداها
يا / ني / غو / دا / هو
لا / ذى / ذا / دا / ها
تَرَى الشُّمَّ الغَطَارِفَ من سُلَيْمٍ
تَبُلُّ نَدَى مَدامِعِهَا لِحَاهَا
رى / حا / لي
دى / دا / ها / حا / ها
على رَجُلٍ كَرِيمِ الخيْمِ أضْحَى
بِبَطْنِ حَفِيرةٍ صَخبٍ صَداهَا
لى / ري / خي / حى
في / دا / ها
لِيَبْكِ الخَيْرَ صَخراً مِنْ مَعدٍّ
ذَوو أحْلامِهَا وذَوو نُهَاها[١٢]

١٠- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، القاهرة، ١٩٧٩، ص:٣٠,

١١- أماني سليمان داود (علي عبد الله) شعر الحسين بن منصور الحلاج، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠٠١م، ص:٦٥,

١٢- الخنساء، الديوان، ص: ١٥٨-١٦٢. أي أبت لا تنام، وعاودها قذاها الذي سلف عنها، وجاءها بعوار، وكل ما يعورها ويبكيها، فهو لها عوار، ويعورها: يبكيها، وقال ت قذاها أي همها وأرقها، كراها: نومها، كأنها صيرت العوار في عينها والعوار هو الحزن. لا يُكدي: لا يعتل وكل ما طلبت عنده من الخير وجدته، الرجل يحث مرة أو مرتين ثم تدرك كديته، إما بكرم أو بلؤم. الشم: الأشراف، الغطارف: السادة واحدهم غطريف، لأن الدمع ينحدر من المدامع ثم على اللحى. الخيم: الطبيعة والخلق، الصدى: الهامة التي تزفو في مضارب القوم حتى يؤخذ بثأره، يقال: تخرج من رأس القتيل.

بـــــي / خـــــي/
.:.
وو / لا / هـا / وو / هـا / هـا

تقدّم الشاعرة لوحة دائبة من البكاء، تحركها حالة مناداة خفيّة ودائمة لصخر الغائب، تم توزيعها على ثلاثة وأربعين (٤٣) مقطع صوتي طويل، ليتحقق معنى المنادة الحزين بواسطة هذه الأصوات الطويلة، فهذه عين الشاعرة تأبى أن تنام، وقد عاود العين قذاها الذي كان ذهب عنها، وجاءها بعوار ومرض، وكل ما يعورها ويبكيها هو فقدانها صخر الذي كانت تكتحل العين به، صخر الذي لا يغيب طيفه؛ كان الأعظم بين الرجال؛ فلا أحد يدرك منزلته، إنه يعطي ويجود دوما، في وقت يبخل فيه الآخرون بما لديهم، لقد ألمّ الحزن بجميع من عرفه؛ فترى سادة بني سليم يبكون، حتى تبلّ مدامعهم لحاهم، إنهم يبكون صخرا، الذي قضى نحبه، وقد كان رجلا كريما، وقد صار الآن في قبر ناء ووحيد، ستظل على فراقه تصرخ البوقة[١٢] عند قبره حتى يؤخذ بثأره، فليبك على فراق صخر الكريم، كل أبناء معد، العقال منهم والحكماء، قدمت الشاعرة هذه المقطوعة المشتعلة بالحزن والبكاء والآهات الطويلة، والمناداة الخفيّة، وقد رصدت لها الخنساء أصوات مد طويلة لتلائم حالتها النفسية وتتماهى مع ما يجول في قلبها من أحزان.

وتتمثل المقاطع الطويلة في قول الخنساء:

كـأنَّ الـقُـتُـودَ إذا شـــدَّهَـا
.:.
على ذي وُشـــومٍ يُبَـاري صُـــوَارَا
تـــو / ذا / هـــا
.:.
لى / ذي / با / ري / صـــو / وا / را
تـمـكّـنَ فِـي دَفءِ أرْطـائِـهِ
.:.
أهـاجَ الـعَشِـــيُّ عَـلَـيـهِ فَـثـارَا
فـــي / طـــا / هـــي
.:.
هـا / شـــي / لي / هي / ثـا / را
فَـدَارَ فـلـمَّـا رَأي ســـرْبَـهَـا
.:.
أحَسَّ قَنِيْصـــاً قَرِيبـاً فَطَـارا[١٣]
دا / مـــا / أي / هـــا
.:.
نـــي / ري / طـــا / را

نلاحظ في هذه الأبيات كثرة المقاطع الطويلة، فقد تكررت سبعا وعشرين مرة (٢٧) وقد تضافرت هذه الأصوات مع حالة التذكر التي تستحضر صخرا وتناديه، وقد فرضت هذه الحالة كثرة هذه الأصوات الطويلة وتكرارها، إذ تتذكر الشاعرة صخرا حين يخرج للصيد، فكانت عدته على ظهر بعير موسوم، سريع في مشيه، يجاري بقر الوحش في سرعته، ويجاري صخر الفارس حين يركب بعيره قطيع بقر الوحش، الذي تحصن في دغله بشجر الأرطي[١٤]، يرعى البقر مطمئنا، إلا أن بعير صخر المسرع يثيره فيمضى راكضا يتبعه ثم يدور البعير حول شجر الأرطي، فعندما يحس البعير بوجود قطيع البقر الوحشي، يعلم بوجود الطرائد، فيروح يعدو وكأنه يطير من شدّة سرعته، صخر الذي كان شجاعا مقداما

١٢- اعتقاد عند العرب في الجاهلية، إذا قُتل القتيل؛ صـــارت عظامه هامة تطير وتصـــرخ، حتى يؤخذ بثأره، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه.

١٣- المصـــدر نفســـه، ص: ٢٣٢. الوشـــوم: البعير الذي فيه الكي، تريد به الكريم من الإبل، الصـــوار: قطع البقر، او الوســـوم: حمار الوحش لما فيه من سمات، أي خطوط، والضـــمير يعود للناقة، ومن الممكن أن تكون شـــبهت الناقة ببثور الوحش الذي فيه الســـمات والخوط والعلامات وتغير لون جلده.

١٤- الأرطى شـــجر معمر من الفصـــيلة الراوندية، ينبت في الأرض الرملية بعيداً عن الســـاحل، وقد يصـــل ارتفاعه إلى المتر، أغصانة الجديدة خضراء بينما الأغصان القديمة تكون بيضـــاء وله أوراق صـــغيرة جداً، وله أزهار بيضـــاء, وثمرته حمراء، تزهر الأرطى في مارس وأبريل. وجذور الأرطى حمراء والأحمر هنا هو القشرة التي تغطي الجذر وليس باطن الجذر، وبمجرد خدش هذه القشـــرة يرى اللون الأحمر وقد تحققت من ذلك بنفسي، ويستخدم العرب جذوره لدباغة الجلود.

في الحرب، وخطيبا بارعا في السلم، وقد كان يأبى الظلم فيرد العدوان بمثله، تذكره على هذه الشاكلة المليئة بعبارات التذكر وأحاسيس الفجيعة، رصدت الشاعرة أصواتا طويلة تلائم حالتها النفسية وحزنها لفراق أخيها.

ونلاحظ تكرار المقاطع الطويلة في قول الخنساء:

شَــرَنْبَثٌ أطْرَافِ البَنانِ ضُــبَارِمٌ
.::
لَـهُ فِي عَرِينِ الغِيـلِ عِرْسٌ وَأشْــبُـلُ
را /نـــــا /بـــــا
.::
هـــو/فـــي/ري/غـــي/لـــو
هِزَبْرٌ هَرِيتُ الشِّـــدقِ رئْبَالُ غَابَة
.::
مَخُوفُ اللِّقاءِ جَـائِـبُ العَيْنِ أنْجَـلُ
بـــــا/لـــــو/غـــــا/
.::
خـــو/قـــا/جـــا/عـــي/لـــو
أخُو الجُودِ مَعْرُوفاً لَهُ الجُودُ والنَّدى
.::
حَلِيفَـانِ مَـا قَـامَتْ تعَـارُ وَيَـذْبُـلُ[١٤]
خـــو/جـــو/رو/هـــو/جـــو/دى
.::
لـــي/فـــا/مـــا/دا/عـــا/لـــو

تعاود الخنساء في هذه الأبيات تذكر صفات فقيدها، عبر ثمانية وعشرين مقطعا صوتيا طويلا (٢٨) تستحضر الخنساء حسرتها على غيابه الطويل الأزلي، مستخدمة هذه الأصوات الطويلة كأداة نداء خفية تنادي بها صخرا، كما تستخدمها كآهات تختلج في النفس فتخفف من حدّة الألم: أنت يا صخر الرجل الشجاع المقدام، يا من كنت على أعدائك كالأسد الهصور الثخين الأصابع، الغليظ الرقبة، الذي سكن خميلة له فيها زوجة وأولاد، إنك أسد واسع الشدق، جريء؛ يخشى الأعداء لقاءه، أسد شامخ وقويّ عيناه تبرق ويتوقد فيهما الغيظ والغضب، إنك يا صخر – تجاه من يطلب معروفك – كريم سخيّ، يلازم الكرم والجود بلا نهاية.

ومن أمثلة المقاطع الصوتية الطويلة قول الخنساء:

ألا مَـا لِـعَـيْـنِـكِ أمْ مَـالَـهـا
.::
وَقـدْ أخْضَـــلَ الـدّمْعُ سِـــرْبـالَهـا
لا / مـا / عي / ني / مـا / هـا
.::
بـــــا / هـــــا
يَـدَ الـدَّهْرِ آســى عَلَى هَـالِـكٍ
.::
وَأسْـــأَلُ نـائِـحَـةً مَـا لَـهَـا
آ / لـي /آ / لـى / هـا/
.::
بـــا / مـــا / هـــا
هَمَمْـتُ بِنَفْسِـيَ بَعْضَ الهُمُوْمِ
.::
فـأوْلَـى لِـنَـفْسِـيَ أوْلَـى لَـهـا
تـو / ســي / مـو / مـي
.::
لـى / ســي / لـى / هـا
حَـديـدُ الفُؤادِ ذَلِيقُ اللّسـانِ
.::
يُـجـازِي الـمَـقـارِضَ أمثـالَـهـا[١٥]
دي / نـا / لي / ســا / نـي
.::
جـا / زي / قـا / ثـا / هـا

تواصل الخنساء مناداة أخيها صخر، وقد نثرت في أبياتها أربعة وثلاثين مقطعا صوتيا طويلا (٣٤) متعجبة من عينيها: عجبا لعينيك أيتها الخنساء! ما الذي حصل

١٤- الخنساء، الديوان، ص: ١٨٩. شرنبث: ضخم واسع. ضبارم: ضخم الرقبة والوسط، وهذه صفة الأسد، والغيل: غيضة قصب وطرفاء. الرئبال: الأسد، الغابة: الأجمة، جائب: واسع، جيّبت عليه جوبا واسعا، وأنجل: واسع. تعار: جبل بأرض بني سليم، ويذبل: جبل حذاء نخل لغطفان، وتعار غير منوّن.

١٥- الديوان، ص: ٧٨-٨٦، سربالها: جفون العين. لا أبكي على هالك بعده فقد شغلني عن غيره، ولا أسأل نائحة بعد ما حالها، لأن الناس محقوقون بالنوح بعده على من ناحوا، حق لهم أن يفعلوا ذلك.

لهما وقد بلل الدمع أجفانهما، أقسمت مهما عشت أبدا لا أبكي على هالك بعد صخر، فقد شغلني عن غيره، ولا أسأل باكية عن سبب بكائها، حاولت أن ألقي بنفسي في المخاطر، وهو أولى لنفسي وأجدر، فالموت في ساحة القتال أحب إلي من العيش بعد مقتل أخي، هذه العاطفة المتدفق حزنها استدعت أصواتا تلائمها، فكانت أصوات المد الطويلة أداة، أقدمت الخنساء على توظيفها، كموسيقى داخلية تلائم حالة البكاء والفقدان.

لقد زخرت قصائد الخنساء بأصوات المد الطويلة، وهي أصوات بطبيعتها يحتاج نطقها إلى زمن طويل، متناسبة مع دلالة الصوت المصاحب للنداء أو المخاطبة عن بعد"[١٦] فكثير منها يوحي بنداء خفي يتمثل في المناجاة الداخلية للنفس، وربما تنادي الشاعرة أخاها صخرا، أو آمالا جديدة في الحياة، تحل محل القفار الموحشة، وكأن الشاعرة كانت تحارب الحزن والفقدان والجدب والقسوة والزمن، باستغاثات ونداءات ضمنية صوتية، ولعل الشاعرة الخنساء "لا تحاكي الزمن الذي يلف قسوة حياته بقدر ما كان يحاول أن يخلق زماناً جديدا[١٧]؛ والزمان الجديد هذا نادته الشاعرة وحاورته بحرارة وذرفت الدمع عليه.

ظاهرة التضمين الخارجي:

للتضمين تعريفات كثيرة منها "أن يكون الفصل الأول مفتقراً إلى الفصل الثاني، والبيت الأول محتاجاً إلى الأخير، ولا يتم المعنى في البيت الأول حتى يتمه البيت الثاني"[١٨]، وقيل إنه "تعلق القافية أو لفظه مما قبلها بما بعدها، فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني"[١٩] وعُدَّ عيباً من عيوب الشعر، وقد أطلق عليه اسم (المبتور)"[٢٠]. غير أن ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧) يخالف من عَدَّ التضمين عيبا، بل يرى فيه نوعا من التماسك في الشعر، إذ يقول: "وهو عندي غير معيب؛ لأنه إن كان سبب عيبه أن يعلق البيت الأول على الثاني، فليس ذلك بسبب يوجب عيبًا، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر، وبين الفقرتين من الكلام المنثور في تعلق إحداهما بالأخرى، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دلَّ على معنى، والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دلَّ على المعنى، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير"[٢١]. أما بعض المحدثين فقد أطلقوا عليه اسماً جديداً وهو "الموصول"[٢٢] وذلك تخفيفاً من حِدَّة صفة (البتر) التي عُدَّت عيباً؛ لأن البيت الأول موصول بالبيت الثاني وبذلك يتم المعنى. ورد التضمين في شعر الخنساء في أمثلة كثيرة، ومنه قول الخنساء:

١٦- أماني سليمان داود، شعر الحسين بن منصور الحلاج، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م، ص: ٦٦,

١٧- ريتا عوض بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، دار الآداب – بيروت، ص: ١٨٥,

١٨- ابو هلال العسكري، الصناعتين (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة ط٢، ١٩٥٢، ص: ٤٢,

١٩- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدبه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١، ص: ٧١,

٢٠- قدامة بن جعفر (ت:٣٢٧هـ) نقد الشعر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار عطوة للطباعة، القاهرة ١٩٧٨م، ص: ٢٠٩,

٢١- ابن الأثير، ضياء الدين (ت:٦٣٧هـ) المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، جـ٢، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة، ١٩٦٢م، ص: ٢٠١,

٢٢- مجلة مهرجان الشعر الخامس ١٩٦٣ الإسكندرية الجمهورية العربية المتحدة، مقال بدوي طبانة بعنوان الوحدة في الفن والشعر، ص: ٢٥٢,

أيا عينيّ ويحكُما استَهِلاّ
.:.
بدَمْعٍ غَيرِ مَنزُورٍ وعُلاّ
بدَمْعٍ غيرِ دَمْعِكما وجُودا
.:.
فقدْ أورثتما حزناً وذلاً
على صَخْرَ الأغَرّ أبي اليَتَامَى
.:.
ويَحمِلُ كلَّ مَعشَرَةٍ وكَلاّ
فإنْ استعفتماني فارفداني
.:.
بدمْعٍ يُخْضِلُ الخدّينِ بَلاّ
على صَخْرِ بنِ عمرٍو إنّ هذا
.:.
وإن قد قلّ بحرُكَ واضمحلاّ
فقدْ أورثتما حزناً وذلاً
.:.
وحرًّا في الجوانبِ مستقلاً
فقُومي يا صَفيّةَ في نِساءٍ
.:.
بحرِّ الشَّمسِ لا يبغينَ ظلاً
يشققنَ الجيوبَ وكلَّ وجهٍ
.:.
طَفيفٌ أن تُصلّي له وقَلاّ[٢٣]

نلاحظ أن الأبيات لا ينفصل أحدها عن الآخر، لأن ضمائرها لن تجد مرجعاً إلا في ما يسبقها من أبيات، والبيت اللاحق آخذ بزمام البيت الذي يسبقه، لأنه يقول القول في البيت الثاني، أو يوضح ويفصح، ويكمل المعنى، ولقد انتبه أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦) إلى هذه الحقيقة، إذ إنَّ ما يعتبر عيباً لخروجه عن النظام المعياري المتبع يمكن هو ذاته "أن يؤسس لنظام متناسق، يسمح ببروزه كنظام قصدي يتحدى المتفق عليه"[٢٤].

تتصاعد في أبيات الشاعرة موجات عالية من الألم والحزن، استطاعت هذه الموجات أن تنسي الخنساء كل شيء حتى نفسها، وحدها عاطفة الحزن هي المسيطرة؛ فأحاطت بقلب الخنساء من كل الجهات، لتبدوَ لغة التفاؤل متعذرة، والإحساس بالسعادة مفقودا. ولعل شدة الحزن في هذه الأبيات، واتساع رقعة الألم، جعل الخنساء تسترسل في البوح وتوزع فكرتها الكلية من خلال مجموعة أبيات، ولم تستطع إدراج كل فكرة على حدة على المستوى البيت الواحد.

يصرِّحُ أبو يعقوب السكاكي بانحيازه لهذه التقنية الشعرية قائلاً: "واعلم أن لك في كثير من عيوب القافية أن تكسوها بهذا الطريق ما يبرزها في معرض الحسن"[٢٥] وكأن السكاكي يحاول أن يروّض أحد عيوب القافية ليصبح مصدراً للشاعرية ودليل العبقرية، كما يقول البعض "يكمن في التماسك والوحدة"[٢٦] وكثيراً من الشعر الحسن، ما افتقر البيت فيه إلى بيت أخر يليه، في معناه ومبناه الموسيقي، ومثال ذلك، قول الخنساء:

ألا لا أرى في النَّاسِ مثلَ معاوية
.:.
إذا طَرَقَتْ إحْدَى اللّيالي بِداهِيَهْ
بداهِيَةٍ يَصغَى الكِلابُ حَسيسَها
.:.
وتخرُجُ منْ سِرّ النّجيّ عَلانِيَهْ
ألا لا أرى كالفارسِ الوردِ فارساً
.:.
إذا ما عَلَتْهُ جُرْأةً وغلانِيَهْ
وكانَ لِزازَ الحَرْبِ عندَ شُبوبِها
.:.
اذا شمَّرتْ عنْ ساقها وهي ذاكيهْ
وقوَّادُ خيلٍ نحو أخرى كأنها
.:.
سَعالٍ وعِقْبانٌ عَلَيْها زَبانِيَهْ
بلينا وما تبلى تعازٌ وما ترى
.:.
على حدثِ الأيام إلا كماهيهْ

٢٣- الخنساء، الديوان، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت. ص: ٧٨,
٢٤- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، الدار العالمية للكتاب ط١، الدار البيضاء ١٩٩٠، ص: ٢٦٠,
٢٥- أبو يعقوب السكاكي (ت:٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، بيروت، ١٩٨٣م، ص: ٥٧٦,
٢٦- مجلة مهرجان الشعر، مقال بدوي طبانة، ص: ٢٥٣,

فأقسَـــمْتُ لا يَنفَكّ دمعي وعَوْلَتي
.:.
عليكَ بحزنٍ ما دعا اللهَ داعيهْ(٢٧)

هذه الوحدة الفنية الشعرية؛ موزعة على عدة أبيات دون التزام من الشاعرة بإفراد كل فكرة على مستوى البيت الواحد، ربما تطلبت هذه التقنية معنى وافيا لا يمكن تجزئته، ففي هذه الأبيات تشرح الخنساء أحوال القوم بعد وفاة أخيها معاوية، وهي أحوال تتصف بالمعاناة الجمعية، إذ إنها تهم القوم جميعا ولا تهم فردا بعينه: نحن قوم معاوية، إذا نزلت بنا مصيبة من المصائب الدهرية، فإنني لا أجد مسعفا لنا غير معاوية. تلك النائبة والشرح عنها تمتد للبيت الثاني، النائبة التي تسبب لنا البلاء حتى لا تجد الكلاب ما تأكله، فتراها تنبح وتصدر الأصوات الحزينة جراء الجوع، ويخرج الناس للحديث بأهوالها إلى بعضهم، فلا تعود المصيبة سرا، هذا المعنى نراه متصلا بمعنى البيت الذي يليه: إنني لا أعرف مثل أخي معاوية ذلك الفارس الشهم، وخاصة عندما يحتدم غضبه؛ فيندفع بجرأة وإقدام، وعلى إثر هذا التذكر الحزين، تجتاح الشاعرة موجة من البكاء، فتخاطب نفسها: اسكبي الدمع الغزير ثم كفي عن ذلك واصبري لما أصابك من بلاء، وأجزم – مسبقا – أنك لن تستطيعي ذلك أبدا. كما يتبدى التضمين الخارجي في قول الخنساء:

ألا يـا عَـينِ فـانـهـمـري بـغَـزْرِ
.:.
وفِيضـــي عَـبْـرَة مِـنْ غـيـرِ نَـزْرِ
ولاَ تَعـدِي عَزاءً بعـدَ صـــخرٍ
.:.
فقـد غُلِـبَ العزاءُ وَعِيْـلَ صَـبـري
لـمـرزئـةِ كـأنَّ الـجَـوفَ مِـنـهَـا
.:.
بُـعَـيْـدَ النّـوْمِ يُشـعَـرُ حَـرَّ جـمـرِ
على صَـخْرٍ وأيُّ فتًى كَصَـخْرِ
.:.
لـعَـانٍ عَـائـلٍ غَـلـقٍ بِـوِتْـرِ
وَلِلخَصْـمِ الألـدِّ إذا تَعـدَّى
.:.
لـيـأخُـذَ حَـقّ مَـقـهـورٍ بـقَـسْـرِ
وَللأضـيـافِ إذ طَرقُوا هُـدُوءًا
.:.
وَلـلـجَـارِ الـمُـكِـلِّ وَكُـلِّ سَـفْـرِ
إذا مَـرَّتْ بِـهِـمْ سَـنَـةٌ جَـمَـادٌ
.:.
أبيُّ الـدُّرِّ لَـمْ تُـكْسَـعْ بِغُبْرِ(٢٨)

فالشاعرة تروي قصة آلام متصلة لا يمكن تجزئتها، تخاطب عينيها: يا عينيَّ ألا تبكيان على أخي صخر، بدمع غزير متواصل ليس شحيحا وقليلا..؟ لا تقولي أيتها العين: إنني أصبر بالعزاء، لأنه امتنع وعجز عن التخفف عني، فكأن المصيبة نار مشتعلة تهب علي عند بدء النوم. ويظهر اتصال المعنى في قول الخنساء:

وكُنْتُ إذا مَا خِفْتُ إرْدَافَ عُسْـرَة
.:.
أظَـلُّ لَـهـا مِـنْ خِـيـفَـةٍ أتَـقـنَّـعُ

٢٧- الخنســـاء، الديوان، ص: ٥٨، وما بعدها، النكس: الانتكاس، معاودة المرض بعد البراء منه. الحسيس: الصوت الخافت، يضفي: يتضور جوعا. الفارس الجون: الأبيض أو الأسـود، فهو من الأضـداد، تريد هنا الكريم الفعال، علته جرأة: غلبت عليه، الغلانية: غليان الغضب وسورته. تعار: اسم جبل، حدث الأيام: حوادثها.

٢٨- الخنســـاء، الديوان، ص: ١٧٧-١٧٩، الدمع الحثيث: الدمع المتواصـل الغزير، البكي: القليل، الشـحيح. عزيته: صـبرته، عيل: غلب. انهمري: أي سـيلي بدمع غزير كثير، فيضي: صبي ولا تقللي الانهمار، العبرة: الدمعة. لا تعدي: لا تقولي إني أصـبر، العزاء: الصـبر، عيل صـبري: امتنع وعجز، عزيته صـبرته، عيل: غُلِب. المرزئة: المصـيبة، يشـعر من الشعار، أي يلصق به يقال: أشعره سنانا، أي ألصقه به. يسـعر: من السـعير، يوقد. العاني: الدائب، أمسـيت عانيا، أي أمسيت فقيرا، أغلقه: رهن حتى يدرك أمره. الألد: الشـديد الخصـومة، تعدى: ظَلَمَ. هدوءا، أي بعد هدأة، أي سـاعة ونومة، الطروق: الاتيان ليلا. الكل: الذي لا يكسـب، المكل: الذي أكِلَّت ركابه، مقطف: إذا كانت دابته قطوفا، مجيد: إذا كانت فرسـه جوادا، معرب: فرسـه عربيا. جماد: لا مطر فيها، أبي الضـرع: لا درّ فيه، ناقة جماد: قليلة اللبن، لم تكسع بغبر: تكسع الناقة لتدر.

دَعَوْتُ لَهَا صَخْرَ النّدَى فوَجَدْتُهُ
لَها يَسَـراً يُجْلَى بِهِ الشَّـرُ أجْمَعُ[٢٩]

لقد كانت الخنساء إذا خافت حلول عسر بها، يفزعها ويجعلها تتخفى مضطربة، ثم توضح وتكمل في البيت الثاني: عند هذه الشدة؛ كانت الخنساء تنادي صخرا الكريم، فيفرج كربها ويبعد الأذى عنها.

كما يبدو التضمين الخارجي جليا في قول الخنساء:

يُؤرّقُني التّـذَكّرُ حِينَ أمْسـي
فَيَـرْدَعُنِي مَعَ الأحْزانِ نُكْسِـي
عَلَى صَـخْرٍ، وَأيُّ فتًى كَصَـخْرِ
لِيَـوْمٍ كَـرِيـهَـةٍ وطِـعـانِ خَـلْـسِ
فـلـمْ أسْـمَـعْ بِـهِ رُزءًا لِـجـنٍّ
وَلَـمْ أسْـمَـعْ بِـهِ رُزْءاً لإنْـسِ
أشُـدَّ عَلى صُـرُوفِ الدَّهرِ آداً
وأفْضَـلَ فِي الخُطُوبِ بغَيرِ لَبْسِ[٣٠]
فَـلَوْلا كَـثـرَة الـبـاكِـيـنَ حَـوْلي
على إخوانِهم لَقَتلـتُ نَفْسـي
ولـكِـنْ لا أزالُ أرَى عَـجُـولاً
ونَـائِـحـةً تَـنـوحُ لِـيَـوْمِ نَـحْـسِ[٣١]

ونلاحظ في هذه الأبيات اتصال معنى أبياتها، كأنها أتت تكمل فكرة الأرق الكلية التي تعاني منها الشاعرة؛ ففي البيت الأول، تتذكر الشاعرة أخاها صخرا، فيمتنع النوم عليها في المساء، ويتركها مع الأحزان التي تعاودها بعدما ظنت أنها نسيتها، يعاودها الحزن على صخر، ثم تتساءل إكمالا للبيت الأول: ومن مثل الفارس صخر ليوم قتال صعب، ولمواجهة الأبطال وقتالهم؟ لم تسمع الخنساء بأن مصابا وقع للجن أو للإنس مثل مصابها، لقد كان صخر الأقوى على مواجهة ما تأتي به الأيام من بلاء ومصائب، صخر الخطيب المفوه الذي يفصح ويوضح الأمور، دون أن يدع مجالا للغموض أو الإبهام، وفي البيتين التاليين: نلاحظ أن البيت الثاني يكمل البيت الأول، إذ تقول الخنساء؛ إنه لولا التعزي بالكثيرين الذين يبكون إخوتهم، لكنت قتلت نفسي، حزنا على صخر، ولكنني باستمرار أرى أما ثكلى، وأخرى تبكي من سوء ما أصابتها به الأيام من شؤم. ويبدو التضمين الخارجي في قولها:

رَمَتْنَـا فَلَمْ يُخطِنَـا سَـهْمُهَـا
كَـذَاكَ الـحوَادِثُ حِيْنـا فَـحِينَـا
بِصَـخْرٍ بن عمرو بِمَجْهُولَـةٍ
مِنَ الأرْضِ قَـدْ ضُـمِّنَتْـهُ رَهِيْنَـا[٣٢]

لقد بدأت الخنساء بيتيها بفكرة موحدة لا يمكن تجزئتها بإتمام المعنى في البيت نفسه؛ إذ وجهت الفاجعة سهامها إلى الخنساء وقومها، وأفقدتهم صخرا، فأصابتهم سهامها، وهكذا هو شأن الفواجع تأتي المرة تلو الأخرى، هكذا أصيب قلب الخنساء بفقد صخر، ووقع ذلك في أرض بعيدة غريبة، أصبحت له قبرا.

فيما مضى كان الحديث عن التضمين الخارجي،

٢٩- المصدر نفسه، ص: ٤١٥. إرداف: حلول ونزول. إرداف العُسرة: حلولها ونزولها، أتقنّع: أتحجب وأتستر. يسرا: أي سهلا، يقال يسر أمرهم، إذا سَهُل.
٣٠- الخنساء، الديوان، ص:٣٢٥-٣٢٧، أخبرت أنها تكون صالحة ، فإذا ذَكّرت نفسها ترتد وتنكس في حزنها. أي مخالسة، الطعن: خَلْس كله، وإنما هو فُرَص, لم أسمع للجن مصيبة، ولا للإنس أعظم من مصيبتي هذه.
٣١- المصدر نفسه، ص: ٣٠٧، آدا أي شدة، بغير لبس: بغير اختلاف ولا طيش. العجول: الثكلى.
٣٢- الخنساء، الديوان، ص: ٣٥٢. حينا فحينا: أي دولة بعد دولة، قد ضُمِّنَتْهُ أي ضمنت الأرض صخرا. فأمسى رهينا: أي ثاويا لا يريمها أبدا. بصخر: أي فجعنا بصخر.

وأقصد به: ما يتعدى حدود البيت الواحد إلى البيت الذي يليه، وثمة تضمين آخر، له صلة جمة بالصوت وموسيقى البيت، وهو التضمين الداخلي وسأعرض له تاليا.

التضمين الداخلي:

على الرغم من كثرة الأمثلة على التضمين الخارجي، إفإنه لم ينهض بدوره في الإيقاع الشعري إلا في أدنى مستوياته، ذلك أنَّ "القراءة النظمية تشلُّ المعنى، كما أن القراءة التعبيرية تنفي النظم (الوزن) أي أن هناك وضعاً يستحيل فيه التعايش القائم على التفاعل بين الدلالة والصوت؛ ذلك التفاعل الذي يسمح بتعدد إمكانات التأويل، وحيث تنعدم هذه الإمكانية ينعدم الشعر، ولا بدَّ أن ثمة حاجة أسلوبية استلهمها الشاعر واقتضت أن يفتح البيت الشعري على الآخر"[٣٣] ليظهر لنا التضمين الداخلي، كأداة إيقاعية تؤدي دورها صوتاً ودلالة على وجه يخدم موسيقى البيت. تحدث النقاد العرب منذ قديم الزمان عن ملاءمة الصدر للعجز، إذ قال أبو هلال العسكري: "إن لرد الأعجاز على الصدور، موقع جليل في البلاغة العربية، وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً"[٣٤]. ولعل بحث التضمين الداخلي يبدأ من تلك الخطورة التي ذكرها أبو هلال، ويمكن أن تكمن هذه الخطورة في عملية ائتلاف أجزاء البيت الواحد لفظاً ومعنى، أوليس أهم جزأين للبيت الشعري صدره وعجزه؟ فهل يمكن أن يكتفي الصدر بذاته، ولا يحتاج إلى العجز؟ وهل ثمة فائدة من تلك الوقفة الصوتية بين صدر البيت وعجزه؟ إن هناك مجالاً متحركاً وحيوياً داخل البيت الشعري الواحد فـ"لا يخامر المرء شك، في أن اختيار اسم (بيت) كان ناتجاً عن شعور بالوحدة والاستقلالية داخل (البيوت) أي داخل الحي (القصيدة) وتتوفر في البيت الواحد كل أسباب الحياة وتجري الحوارات الحيوية بين الدلالة والنظم"[٣٥]. ومن أمثلة التضمين الداخلي قول امرئ القيس التالي:

إِذَا قَامَتَا تَضَـــوَّعَ المِسْـــكُ مِنْهُمَا
نَسِـــيْمَ الصَّـــبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ
أفـاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَـذَا التَّـدَلّـلِ
وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَـــرْمِي فَأَجْمِلِي
فقـالـتْ: يَمينَ اللهِ مـالـكَ حِيلَـةٌ
وَمـا إِنْ أَرى عَنْـكَ الغَوايـةَ تَنْجلي[٣٦]

قال صاحب إعجاز القرآن: "وقوله نسيم الصبا، في تقدير المنقطع عن المصراع الأول لم يصله به وصل مثله"[٣٧] وفي البيت (أفاطم مهلاً) يقول أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣): "المصراع الثاني، منقطع عن الأول، لا يلائمه، ولا يوافقه"[٣٨] وفي البيت: (فقالت يمين الله) يقول: "والكلام في المصراع الثاني، منقطع عن الأول، ونظمه إليه فيه ضرب من التفاوت"[٣٩]. وإذا

٣٣- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري ص: ٢٦٠,
٣٤- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ط١، القاهرة بدون تاريخ ص: ٤٠٠,
٣٥- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، ص: ٢٦٦,
٣٦- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص: ١٢-١٥. بعض هذا التدلل: أي كفي بعض تدللك عني وأقلي منه، أزمعت: عزمت وأجمعت، فاطمة بنت العبيد بن ثعلبة، من عُذرة. تضوع: انتشر وتحرك، النسيم: تحرك الريح، الريا: الرائحة. حيلة: احتيال، أي تجيء والناس حولي، الغماية: الجهالة، وهو من عمى القلب.
٣٧- الباقلاني، أبو بكر بن محمد (ت:٤٠٣هـ) إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٣، مصر بدون تاريخ. ص: ٦٣,
٣٨- المصدر نفسه، ص:٧٠,
٣٩- الباقلاني، إعجاز القرآن، ص: ٧٣,

أمعنا النظر في مفهوم الانقطاع الذي يرمي إليه الباقلاني، يخطر في بالنا عدة تساؤلات، هل المقصود به انقطاع المعنى؟ أم انقطاع في الصوت؟ وهل السكتة الطويلة بين مصراعي البيت تمنح السامع الاستعداد الزمني الكافي ليستقبل الدفقة الصوتية التالية في العجز؟. يمكن الملاحظة أن نظرة القدماء إلى التضمين الداخلي، كانت نظرة تخص المعنى أولاً، وإن كانت تتعداها أحياناً لأغراض الوزن العروضي، لكن المعنى غاية الشعر والشاعر الأولى، على أن نظرة القدماء للتضمين تنبثق من الرأي الشخصي والانطباع إذا علمنا أن الباقلاني – رحمه الله – صاحب الآراء السابقة، أتى على ذكر هذه الآراء، في سياق حديثه عن فصاحة القرآن، ورده على مذهب الصرفة[٤٠] ولا بد من النظر في التضمين نظرة صوتية معمقة، وربط جميع المعطيات الصوتية بالدلالة، ومن أمثلة التضمين الداخلي قول الخنساء:

وَخَيـلٌ تَنَـادى لا هَوادَةَ بَينَهـا
مَرَرْتَ لَهـا دونَ السَـوامِ ومَرَّتِ[٤١]

سنقرأ بيت الخنساء قراءة صوتية، حيث يسمح هذا البيت، باستجلاء عدد من قضايا الصوت والنظم والدلالة داخل مصراعي البيت الشعري، ملاحظين أولاً أن ثمة خرقاً طبيعياً جاء بين طرفي البيت، فقد بقيت (بينها) في آخر الصدر معلقة لا تأخذ معناها إلا بعد إشباع الوقف والانتقال إلى عجز البيت، إنه لا خيار للمنشد، لا بد من الوقف ذلك أن (بينها) هي نواة حقل صوتي، إيقاعي قويّ تتجاوب مع (تي) في (ومَرَّتِ) وهي الياء الناتجة عن إشباع حركة الكسر، هذا التجاوب، جرى في الصفة والموقع فكلاهما موصولتان بصوتي لين (الألف، والياء) كما أنها تتجاوب مع (نا) في (تَنَادى) والتي تجاوبت مع (خي) في (خَيْل) وينطبق ما قيل على (لها) التي تجاوبت هي الأخرى مع (نا) في (تَنَادى) ويمكن إعادة ترتيب البيت الشعري؛ لإبراز ظواهره الصوتية المتشابكة، على النحو التالي:

وَخَيلٌ
تَنَادى
لا هَوادَةَ بَينَها **وقف عروضي (وقف زمني)**
مَرَرْتَ لَها
دونَ السَوامِ ومَرَّتِ

ومن ذلك نلاحظ مدى التجاوب واللحمة الصوتية بين كل من الصدر والعجز، كما نلاحظ أن إيقاع الصدر في (وَخَيلٌ تَنَادى...)، جاء ليناً طرياً ومنساباً، إنه يشبه المناداة على مهل، وحركة الخيل المطلقة للرعي، المتفرقة في المراعي، حيث توالت الإيقاعات المتكررة لأصوات اللين:

وَخَيلٌ تَنَادى لا هَوادَةَ بَينَها
خي / نا / دا / وا / ها

كما نسمع ذلك جلياً في العجز مع زيادة واضحة في تكرار أصوات اللين

٤٠– ظهر هذا المذهب لدى المعتزلة على يدِ أبي إسحاقَ إبراهيم بن سيَّار النظام، والقائلون بالصرفة، يرون أن معارضة القرآن والإتيان بمثله ليس محالاً عادياً حتى يحتاج فيه إلى قدرة خارقة. ولأجل ذلك كان في كلام السابقين على البعثة من فُصَحاء العرب وبُلَغائهم، ما يضاهي القرآن في تأليفه، غير أنّه سبحانه لأجل إثبات التحدّي، حال بين فصحاء العرب وبلغائهم، وصرفهم عن الإتيان بمثله.

٤١– الخنساء، الديوان، ص: ١٩٦. أفدت من تحليل محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، ص: ٢٦٧ وما بعدها.

مَرَرْتَ لَها دونَ السَوامِ ومَرَّتِ

ها / دو / وا / مي / تي

وكأن حاجة الصدر للعجز لا تتعلق بمعنى البيت فحسب بل تتداخل مع موسيقاه الداخلية، فتجعل الصدر في حالة احتياج دائمة للعجز إنها الحاجة الصوتية الإيقاعية، تجتمع لكي تفصح عن المعنى المتوازي مع الإيقاع الصوتي. ومثال ذلك قول الخنساء:

حمّـال ألويـةٍ، شـهّـاد أنجِيـةٍ
قَـطـاع أوديـةٍ، لـلـوتْـر طَـلّابـا[٤٢]

فتجاوبت (ما) في (حمّال) مع (طا) في (قطاع) وهو تجاوب في الصفة والموقع، وكلاهما موصول بصوت لين، وتجاوبت (وي) في (ألوية) مع (دي) في (أوديةُ) في الموقع العروضي وفي الصفة والحركة، كما تجاوبت (ها) في (شهاد) مع (وت) في (للوتر) في الموقع العروضي، ويمكن التعبير عن ذلك بكتابة البيت على الشكل التالي:

حمّال ألويةٍ،
شهّاد أنجِيةٍ

وقف عروضي (زمني)

قطاع أوديةٍ، للوتْر طَلّابا

إن إيقاع العجز هو امتداد لإيقاع الصدر، تتلاشى فيه أصداؤه بالتدريج، ذلك أن التقفية الداخلية الممثلة بأصوات اللين تلعب دوراً هاماً في بناء الإيقاع الداخلي للبيت صدراً وعجزاً وإذا علمنا أن الشعر الجاهلي كان شعراً مسموعاً منذ نشأته فإن ما ندعوه التضمين الداخلي بشكل منبعاً أساسياً لموسيقاه.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية:

الترصيع:

الترصيعُ في اللغة: التركيب، ومنه تاجٌ مرصعٌ بالجوهرِ، وسيفٌ مرصّعٌ أي محلّى بالرصائعِ، وهي حلَقٌ يُحلى بها، الواحدة رَصيعة، والبيت المرصَّعُ الذي تتتالى فيه القرائنُ كما يُرَصَّعُ التاجُ بالجوهر[٤٣].

وهو ما يكون في حشو البيت من سجع، وقد عرفه قدامه بن جعفر، بقوله: "ومن نعوت الوزن، الترصيع هو أن توخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد"[٤٤]. وهو من الجماليات التي تهب الشعر حلاوة في القراءة وسلاسة وسهوله عند الإلقاء، والشعر المرصع يسهل حفظه كثيرا، وقد ورد هذا اللون الموسيقي في أمثلة عديدة في شعر الخنساء، ومثاله قولها:

المَجْـدُ حُلّتُـهُ، وَالجُودُ عِلّتُـهُ،
والصّـــدقُ حوزتهُ انْ قرنهُ هاباَ[٤٥]

اختارت الشاعرة الكلمات: (خلته، علته، حوزته) لتعبر عن صفات ذلك الأخ الغائب، وهي أبنية صرفية متشابهة، إن إلحاح تلك الصفات على الشاعرة، وحبها العظيم لأخيها استدعت مثل هذه الأبنية الصرفية المتماثلة لتكسب المعنى جرساً موسيقياً قوياً. كما تكرار صوت التاء في هذه الأبنية المتماثلة، ليضفي عليها صفة الهمس والشدة معا، إذ إن هذا الصوت مهموس شديد

٤٢- المصدر نفسه، ص: ١٥٧. الأنجية: المجالس يُتناجى بها.
٤٣- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت:٧١١ هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، مادة (صدر).
٤٤- قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٩م، ص: ٨٠,
٤٥- الخنساء، الديوان، ص: ١٥٤، علته: إذا اعتل فهو جواد، فكيف قبل أن يعتل، إذا طلبت إليه حاجة فإن علته أن يقضيها لك، حوزته، حرزه الذي يستحرز به.

"في تكونه لا يتحرك الوتران الصوتيان، بل يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصلا فجائياً سمع ذلك الصوت"(٤٦) محدثاً انفجاراً صوتياً واضحاً. وإذا كان "الترصيع يرتبط في جوهره بوقفة زمنية قصيرة، تتلو كل جزء من أجزائه، فإنه يمكننا أن نجعل منه كذلك تصريع الجملة أو البيت إلى أجزاء متساوية تقريباً، والوقوف على كل جزء منها دون أن تكون مجموعة"(٤٧). قالت الخنساء:

حَـمّـالُ ألـويَـة، قَـطّـاعُ أوديَـةٍ،
∴
شَـــهّـادُ أنجيَـةِ، للوِتْرِ طَلاّبـا(٤٨)

ويبدو الترصيع واضحاً إذا كتبنا البيت على النحو التالي:

حَمّالُ ألويَةٍ،
قَطّاعُ أوديَةٍ،
شَهّادُ أنجيَة،
للوِتْرِ طَلاّبا،

إن ما نقصده في هذا المقام ذلك الترصيع الذي تنتجه تلك الوقفة الزمنية، فقد وقفنا عند إنشاد هذا البيت أربع مرات، وإذا ما كررنا القراءة عدة مرات، سيبدو ذلك الإيقاع جلياً لا تشوبه شائبة. قالت الخنساء:

خطّـابُ محفلـة فرّاجُ مظلمـة
∴
انْ هابَ معضـــلةَ ســـنّى لهاَ باباَ(٤٩)

ويبدو الترصيع واضحاً إذا كتبنا البيت على النحو التالي:

خطَّابُ محفلةٍ
فرَّاجُ مظلمة
انْ هابَ معضلةً
سنّى لهاَ باباَ

إن تتابع صفات صخر، تجبرنا على الوقوف أربع مرات، ترتبط كل وقفة بزمن محدد، ومن مجموع هذه الوقفات يتشكل الإيقاع الواضح ترصيعاً.

قالت الشاعرة:

سُـــمُّ العـداة وفكّـاكُ العُنـاة إذا
∴
لاقى الوَغَى لم يكُنْ للمَوْتِ هَيّابا(٥٠)

سُمُّ العداةِ
وفكَّاكُ العُناةِ
إذا
لاقى الوَغَى
لم يكُنْ للمَوْتِ
هَيّابا

ثمة ست وقفات في هذا البيت، أكسبته إيقاعاً داخلياً ساحراً، قادماً من الترصيع بمفهومه الإيقاعي الواسع. تضافرت هذه الوقفات مع حالة مديح الشاعرة لأخيها في البيت، لتولد للسامع إيقاعاً مكوناً من ست نغمات، تتجاوب فيما بينها، وتأتلف من خلال ما

٤٦- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص: ٦١,
٤٧- محمد العبد، تحليل الدلالة في الشـــعر الجاهلي، ص: ١٠٠، ص: ١٠١,
٤٨- الخنســـاء، الديوان، ص: ١٥٧، أي أنه قائد وفي يده اللواء، أنجيـة: لا ينتجي القوم من دونـه، أوديـة: خروقـا مجهولة، يختبط: يســـير في الأرض بغير معرفة، قطاع أودية: يبتعد في الغزو.
٤٩- المصدر نفسه، ص: ١٥٥، خطاب: أي خطيب، يخطب فيفصـل في خطبته، ويصـيب مفصـل الحق. المعضـلة: ما غلبت الناس.
٥٠- الخنساء، الديوان، ص: ١٥٨، السم: أي يقتل الأعداء، العناة: الأسرى.

يسمى بالترصيع. هذه الوقفات الزمنية أفضت إلينا بإيقاع لامس شغاف أحاسيسنا وشدنا إلى موسيقاه الداخلية المنسابة عبر الترصيع.

الترصيع:

التصريع لغةً: من صرّع الباب: جعله ذا مصراعين، ويقال: صرّع البيت من الشعر: جعل شطريه متفقين في التقفية، واشتقاق التصريع من مصراعي الباب، وقيل: هو من الصّرعين، وهما طرفا النهار، وقال قوم: هو من الصّرع الذي هو المثل[٥١]. أما في الاصطلاح، فالتصريع أن يكون عروض البيت الأول مخالفاً لضربه في الاستعمال فيجعل الشاعر العروض كالضرب فيلزمها من اللوازم ما يلزم الضرب؛ أي ما كانت عروض البيت فيه تابعةً لضربه، تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته[٥٢]. وقد حاولت الخنساء أن تحقق التوافق الإيقاعي البلاغي بين العروض والضرب، وذلك بإشراكهما في قافية واحدة، وهذا ما سمي قديماً وحديثاً بالتصريع، ولقد درج الشعراء العرب منذ قديم الزمان على ابتداء قصائدهم بالتصريع، وربما يصرع الشعراء ليعلموا السامعين" في أول وهلة، أنهم سمعوا كلاماً موزوناً غير منثور، ولذلك وقع أول الشعر"[٥٣]، ويمكن للشاعر أن يصرع في غير الابتداء وذلك "إذا خرج من قصة إلى قصة، أو وصف شيء إلى وصف شيء آخر، فيأتي حينئذ بالتصريع، إخباراً بذلك وتنبيهاً"[٥٤]. كثرت هذه الوسيلة الإيقاعية الداخلية في مطالع قصائد الخنساء، ومن أمثلته، قول الشاعرة:

يا عَينِ بَكّي على صَخْرٍ لأشْجانِ
وهاجِسٍ في ضَميرِ القَلْبِ حرَّانِ[٥٥]

فنلاحظ التوافق الإيقاعي بين عروض البيت (أشْجانِ) وبين ضربه (حَرَّانِ) وقد اشترك كلّ منهما في قافية واحدة. ومن أمثلة التصريع، قول الخنساء:

أبَتْ عَيْني وعاوَدَها قَذاها
بعوَّارٍ فما تقْضي كَرَاهَا[٥٦]

ونلاحظ التوافق الموسيقي بين عروض البيت (قَذاها) وبين ضربه (كراها) وقد اشترك كلّ منهما في قافية واحدة. ومن أمثلته كذلك، قول الشاعرة:

يا عَيْنُ جُوْدِي بِدَمْعٍ منكِ مِغْزارِ
وابْكِي لصَخرٍ بِدمعٍ مِنكِ مِدْرَارِ[٥٧]

ونلاحظ التوافق العروضي والموسيقي بين عروض البيت (مِغْزارِ) وبين ضربه (مِدْرَارِ) وقد اشترك كلّ منهما في قافية واحدة. وأغلب الظن أن الشاعرة لا تعمد إلى التصريع في شعرها، وإنما "تأتيها الجملة الموسيقية الأولى (الصدر) على ضرب معين، فيلحق به العروض وزناً وتقفية وهذا الإلحاق لا يكون على حساب المعنى"[٥٨]. تقول الخنساء:

عين جودي بدموع مُنْهَمِرْ
وابكيا صَخْرا بكاءً غيرَ سِرْ[٥٩]

٥١- ابن منظور، لسان العرب، مادة: صرع.
٥٢- القاضي التنوخي، أبو علي عبد الباقي عبد الله بن الحسن القوافي، (ت:٣٨٣هـ) القوافي، تحقيق عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٧٨. ص: ٧٦,
٥٣- المصدر نفسه، ص: ٧٦,
٥٤- ابن رشيق القيرواني، العمدة، جـ١، ص: ١٧٣,
٥٥- الخنساء، الديوان، ص: ٤١١، أشجان: أحزان، واحدها: شجن، الهاجس: ما يهجس في القلب، أي يحدث به الرجل نفسه.
٥٦- المصدر نفسه، ص: ٢٧٨، أي أبت لا تنام، عاودها فذاها الذي كان سلف عنها، أي جاءها بعوار، يعورها: يبكيها، قذاها: همها وأرقها، كراها: نومها، العوار: الحزن.
٥٧- الخنساء، الديوان، ص: ٢٩٠,
٥٨- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر، ط١، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ص: ١٠٣,
٥٩- الخنساء، الديوان، ص: ٤١٠. المنهمر: السائل.

فتوافقت كل من (مُنْهَمِرْ) في الصدر، مع (غيرَ سِرْ) في العجز، عروضياً وصوتياً، فكلاهما متكونان من بنية صوتية واحدة:

ص ح ص + ص ح + ص ح ح

مُنْ + هـ + مِرْ

غَيـ + رَ + سِرْ

وصرعت الخنساء في مطلع إحدى قصائدها قائلة:

زهير في مطلع معلقته قائلاً:

أَلا مَـا لِـعَـيـنَـيـكِ لا تَـهـجَـعُ

وَتُـبَـكّـي لَـوَ أنَّ الـبُـكـا يَـنـفَـعُ[٦٠]

فتوافقت (تَهجَعُ)، في الصدر مع أختها (يَنفَعُ) في العجز بصورة صوتية متماثلة:

ص ح ص + ص ح + ص ح ح

تَهـ + جـ + عـ

يَنـ + فـ + عـ

وصفوة القول: يبدو التصريع جليا واضحا في شعر الخنساء، بجلاء تلك القيم الإيقاعية المتنوعة في شعرها، سواء أكان في مطالع القصائد، أو داخل جسد القصيدة، والبيت المصرع لا يثير استجابة السامع للمعنى فحسب، وإنما يحرك في دواخلة ضروباً من الطرب الداخلي؛ يحس به حال تدفق مثل هذه البِنى الموسيقية إلى مسامعه، وكما قال بعضهم أن "الشاعر يريد إيصال معانيه على أتم نغم، مثيرة استجابة السامعين للصوت، والصورة والانفعال والفكرة"[٦١].

التصدير:

هو عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالبا، أو معنوية نادرا، ما تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام[٦٢]. يعد التصدير من فنون البديع الأصيلة التي تدل على مكانة الشعراء وقدرتهم الإبداعية على صياغة الألفاظ ووضعها في مواضعها اللائقة بها, لتحقيق التلاؤم الصوتي والإيقاعي والموسيقي الذي يزيد الكلام حلاوة ويكسبه روعة ومهابة، تأخذ بمجامع القلوب والألباب[٦٣]. يقع هذا الفن البديعي في النثر والشعر، وهو من المواضع التي يتأنق فيها الأدباء والشعراء وهو في النثر: أن يجعل الأديب أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة[٦٤]. وفي الشعر أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني، و"هو أخف على المستمع وأليق بالمقام"[٦٥]. ويُعدُّ التصدير من أهم ألوان التكرار، فهو "من أنواع التكرار التي تمثل في نمطيتها حلقة مغلقة يرتبط فيها أول الكلام بآخره حيث يرد اللفظ فى الكلام، ثم ينمو بعده المعنى"[٦٦].

ويعد هذا اللون البديعي من الفنون التي تنبع من

٦٠- المصدر نفسه، ص: ٣٤٨,

٦١- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، ص: ١٠٤,

٦٢- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (د.ت) مكتبة الآداب، القاهرة، جـ٤، ص: ٧٨ وما بعدها.

٦٣- يوسف بن عبدا لله الأنصاري، البديع والتشكيل الصوتي، مجلة جامعة أم القرى، منشور بموقع الجامعة.

٦٤- السكاكي، أبو يعقوب بن أبي بكر (ت:٦٢٦) مفتاح العلوم، شرح: نعيم زرزور، ط١، ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية بيروت، ص: ٤٣٠-٤٣١,

٦٥- ابن حجة الحموى تقي الدين الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج: ١، ص: ٢٣٩,

٦٦- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مطتبة لبنان، ١٩٩٤م، ص: ٢٩٩,

الذوق العربى فى الشعر، ويرجع الحسن فيه إلى نوع الدلالة التي تهدف إلى التقرير والتبيين، وإلى ما فيه من زيادة المعنى التى ترجع إلى الإيحاء النابع من اللفظ الأول بتوقع الثانى، وهذا الإيحاء يذكر به عند الإنشاء، فهو رابط من روابط التذكر، كما أن الترديد المتمثل في اللفظتين يعطى لوناً من الإيقاع الموسيقى يتقارب مع الغناء والذي يطلب فيه ترداد بعض ألفاظ بعينها، يدركها السامعون على البديهة بمجرد الإنشاد"[٦٧].

ومن أمثلته في شعر الخنساء:

السّـــيّـدُ الـجِّـحْـجـاحُ وابـ

ـنُ السَّـــادةِ الشَّـــمِّ الجحاجحْ[٦٨]

نلاحظ أن كلمة (الجِّحْجاح) جاءت في كل من صدر البيت وعجزه، وجاء هذا التكرار ليشد من أز المعنى الذي أرادته الشاعرة، إذ إن معنى (الجِّحْجاح) ضخم الفعال، وجاءت هذه الصفة مرة مرتين لتؤكد صفة صخر هذه. قالت الخنساء:

يـاعَينِ جُودي بِـالـدُموعِ الهُمُولْ

وَابكِ لِصَـــخرٍ بِالدُّمُوعِ الهُجُولْ[٦٩]

نلاحظ أن الشاعرة قامت بتكرار مفردة (بِالدُمُوعِ) في صدر البيت، ومفردة (بِالدُّمُوعِ) في عجز البيت، لتؤكد الشاعرة بكاءها وحزنها، ولتكسبه الاستمرارية والثبات. يحقق هذا اللون البديعي جرسا موسيقيا مؤثرا في المتلقي، عن طريق تكراره لمفردتين تشتركان لفظا ومعنى، كما يعمل على تقوية العلاقة بين صدر البيت وعجزه، بربطهما بكلمة مشتركة ومتكررة، وكل ذلك يصل بالبيت الشعري إلى تلاؤم دلالي وموسيقي وبديعي مميّز.

الجناس:

إذا كان التكرار هو العنوان الكبير للتماثل الإيقاعي الصوتي في الشعر بعامة، فإن التجنيس هو فرع لهذا التكرار، ونوع من أنواعه، ومرتبط به ارتباطاً عضوياً كاملا. ولا يعني الحديث عنه منفصلاً إلا لتسهيل الدراسة وتبويب المادة العلمية، وهو في أساسه يعني التشابه بين أصوات الكلمات في النظام اللغوي للبيت الشعري الواحد، كأن تتشابه الصيغ وتتقارب في صوتها، أو وزنها الصرفي، مثل أن "يأتي الشاعر بلفظتين مسجوعتين، في تصريف واحد"[٧٠]. وقد أورده بعض المحدثين، تحت عنوان الموازنات الصوتية التي تتلاحم فيما بينها لتفصح عن إيقاع بيِّن في القول الشعري"[٧١]، وسنعرض له من زاوية التماثل الصوتي، داخل البيت الشعري الواحد، للاعتقاد أنه يؤدي من موقعه هذا وظيفة إيقاعية داخلية تبدو في صورة جلية واضحة. أفادت الخنساء من الإمكانات التجنيسية للأصوات، بصورة جلية، فبالنظر إلى شعرها، نلاحظ وجود الجناس في غير موضع، ومثاله قول الخنساء:

حَامِي الحقِيْقَةِ، مَحْمُودُ الخَلِيقَةِ مَه

دِيُّ الطَّرِيْقَـةِ، نَفَّـاعٌ، وَضَـــرَّارُ[٧٢]

تجانست الألفاظ (الحقيقة، الخليقة، الطريقة) في صدر البيت وعجزه، وقد أدّى التجانس الصوتي، داخل البيت الشعري الواحد إلى تغذية الإيقاع الشعري،

٦٧- إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٥٢م، ص: ١٢٢,

٦٨- الخنســاء، الديوان، ص: ٣٣٠. الســيد: الذي يســود بفعاله، جحجح: ضخم الفعال.

٦٩- المصدر نفسه، ص: ٣٠٦,

٧٠- قدامة بن جعفر، نقد الشعر ص: ٨٩,

٧١- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، ص: ١٢,

٧٢- الخنساء، الديوان ص: ٣٩٢. نفاع وضرار: كريم، وشديد البأس في الخصومة.

فأكسبه رنة واضحة تنبع من التماثل الصوتي الموسيقي الذي يريح نفس المتلقي ويطربها ويشدها إلى التفكر فيما وراء الصور والأنغام من معان بعيدة المرامي، يفصح عنها هذا النوع من الموسيقى، ذلك أن اتفاق لفظتين في المكونات الصوتية يشكل مصدر انسجام إيقاعي، يصدر عنه لحناً وتأثيراً في النفس. قالت الخنساء:

فَـالحَمْـدُ خِلّتُـهُ والجُودُ عِلّتُـهُ
والصِّـــدْقُ حَوْزَتُـهُ إنْ قِرْنُـهُ هَـابَـا(٧٣)

حمّـال ألويـةٍ، شـــهّـاد أنجِيـةٍ
قَـطـاع أوديـةٍ، لـلـوتْـر طَـلّابـا(٧٤)

سُـــمُّ العـداة وفكّـاكُ العُنـاة إذا
لاقى الوَغَى لَمْ يَكُنْ لِلقِرْنِ هَيّـابَـا(٧٥)

فهذه الألفاظ المتجانســـة (ألوية، أنجية، أودية، خلته، علته، حوزته، العداة، العناة) أينع فيها إيقاع قادم من ألفاظ متعددة أفرطت في التعانق فيما بينها، لتنجب لنا معزوفة موســـيقية ندر سماعها، إنها المعزوفة القـادمـة من التجنيس. كمـا يتجلى الجنـاس في قول الخنساء:

تُـذْرِي السَّـــوَافِ عَلَى السَّـــوَا
مِ وأجْـدَبَتْ سُـــبُـلُ المَسَـــارِحْ(٧٦)

جاءت اللفظتان (السواف، السوام) متجانستان، وقد أكسبها البيت الشعري إيقاعا دخل إلى زوايا النفس الإنسانية ومخابئها على وتر من الموسيقى الأكثر رقة، إنها الموسيقى القادمة من الترديد الصوتي لألفاظ بعينها داخل رقعة ضيقة تسمى البيت. ومن أمثلته قول الخنساء:

آبي الهضـــيمـة آتٍ للعظيمـة مت
لافُ الكَريمـة لا نِكْسٌ ولا وانِ(٧٧)

فاللفظتان: (الهضيمة، العظيمة)، أغدقتا بتجانسهما على وزن البيت الشعري موسيقى خفية، إنها الموسيقى الداخلية التي أفصحت عنها الشاعرة؛ لوعيها بكل إمكانات اللغة، فكانت مطواعة بين يديها.

ومن الملاحظ أن الألفاظ المتجانسة في شعر الخنساء، لم تكن على حساب المعنى، وإنما جاءت لتشد من أزره وتخدم الوظيفة الإبلاغية لإيصاله بواسطة رسالة ذات رنات متشابهة، مبعدة الرتابة والسكون، إنه ذلك الجناس الذي طلبه المعنى، واستدعاه وساقه نحوه، إنه ذلك الجناس الذي "لا يبتغي الشاعر به بدلاً ولا يجد عنه حولاً"(٧٨).

الخاتمة:

تناول هذا البحث بعض الظواهر الموسيقية والإيقاعية في شعر الخنساء؛ وقد حاول البحث التركيز على هذه الناحية التي تفحص شاعرية النصوص، وتكشف عن البِنى الموسيقية فيها، وأجاب البحث عن سؤال: ما الظواهر الموسيقية في شعر الخنساء وما

٧٣- المصـدر نفسـه، ص: ١٥٤. علته: إذا اعتل فهو جواد، فكيف قبل أن يعتل، إذا طلبت إليه حاجة فإن علته أن يقضيها لك، حوزته، حرزه الذي يستحرز به.
٧٤- الخنســاء، الديوان، ص: ١٥٧. الأنجية: المجالس يُتناجى بها.
٧٥- المصدر نفسه، ص: ١٥٨. السَّم: أي أنه يقتل الأعداء، العناة: الأسراء، واحدها عان، الوغى: الضجة والصوت.
٧٦- الخنســاء، الديوان، ص: ٣٣٤. الســوافي: الرياح، على السـوام: على المال كله، أي التراب، المسـارح: الفلوات التي تريغ الناس فيها المراتع، فلا يجدون فيها شـــيئا، لأن المال يسرح في الفلوات.
٧٧- المصـدر نفسـه، ص: ٤١٣. أي كان يأبى الظلم والجور، متلاف الكريمة، أي يتلف كرائم الإبل لضـــيوفه، النكس: الضعيف الجبان.
٧٨- عبد القاهرالجرجاني (ت:٤٧١هـ) أسـرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ١٩٩١م، ص: ٧.

طبيعتها..؟ وكانت الإجابة من خلال عرض لهذه الظواهر الإيقاعية التي امتلأ بها شعر الخنساء، وهيمنت على أجزاء كبيرة منه.

وقد عرض البحث لهذه الظواهر من خلال مبحثين:

المبحث الأول: وتم من خلاله دراسة جوانب الموسيقى الداخلية، مثل ظاهرة التدوير، وظاهرة التماثل الصوتي المقطعي، وظاهرتي التضمين الخارجي والداخلي.

أما المبحث الثاني: فقد عرض للمحسنات اللفظية، ودرس كلا من ظاهرة الترصيع، وظاهرة التصريع، وظاهرة التصدير، وظاهرة الجناس.

وقد ساهمت هذه الظواهر الموسيقية في إبراز النواحي الجمالية المؤثرة في شعر الخنساء، مثل ظواهر: التدوير، والتماثل الصوتي المقطعي، والتضمين الخارجي والداخلي، وظاهرة الترصيع، والتصريع، والتصدير، وظاهرة الجناس. ففي ظاهرة التدوير تبين من خلال هذا البحث، أن مأساة الخنساء بفقدها لأخيها، تولد عنها أحاسيس جارفة لم يكن سهلا أن تقف الشاعرة بين شطر البيت وعجزه، بل جاءت كثير من الأبيات متصلة بالتدوير؛ سائلة الجريان بدموع لا يمكن وقفها. أما ظاهرة الأصوات اللينة الطويلة، فقد كشفت أن استخدامها المتكرر، إنما جاء ليلائم حالة الشاعرة النفسية، ويتماها مع ما يجول في قلبها، فهي في حالة نداء دائمة لأخيها الغائب. كما كشفت ظاهرتا التضمين الداخلي والخارجي عن وعي الشاعرة بأدواتها الصوتية، فحرصت أن تتدفق أحاسيسها من خلال أكثر من بيت كي تتم فكرتها، وبنفس القدر حرصت على وحدة فريدة داخل البيت من الناحية الصوتية والموسيقية. أما ظواهر الترصيع، والتصريع، والتصدير، والجناس، فقد رفدت شعر الخنساء بموسيقى منسابة، وجلية، جاءت عبر استخدام الشاعرة للألفاظ المتكررة والمتجانسة.

المصادر والمراجع

المصادر:

١. ابن الأثير، ضياء الدين (ت:٦٣٧هـ) المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، جـ٢، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢. عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي; ١٩٩١م، ص٧.

٣. الباقلاني، أبو بكر بن محمد (ت:٤٠٣هـ) إعجاز القرآن تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٣، مصر بدون تاريخ. ص:٦٣.

٤. ابن حجة الحموى تقي الدين الحموي الأزراري (ت: ٨٣٧هـ) خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٥. الخنساء، تماضر بنت عمرو (ت:٢٤هـ) ديوانها بشرح ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني النحوي، تحقيق: أنور أبو سويلم، دار عمار، ١٩٨٩م.

٦. الخنساء، الديوان، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

٧. أبو يعقوب السكاكي (ت:٦٢٦هـ) مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، بيروت، ١٩٨٣م.

٨. القاضي الباقلاني، أبو بكر بن القاسم، إعجاز القرآن، ط٣، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

٩. القاضي التنوخي، أبو علي عبد الباقي عبد الله بن الحسن (ت:٣٨٣هـ) القوافي تحقيق عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٧٨، ص٧٦.

١٠. قدامة بن جعفر (ت:٣٢٧هـ) نقد الشعر تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار عطوة للطباعة، القاهرة, ١٩٧٨م.

١١. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ط٤، تحقيق محمد بن محيي الدين عبد الحميد، دار عطوة للطباعة، القاهرة، ١٩٧٨م.

١٢. القيرواني، ابن رشيق (ت:٤٢٦هـ) العمدة في محاسن الشعر وأدبه، ط١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط١، ١٩٣٤م.

١٣. أبو هلال العسكري، الصناعتين (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة ط٢، ١٩٥٢م.

المراجع:

١. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢. إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٥٢م.

٣. أماني سليمان داود (علي عبد الله) شعر الحسين بن منصور الحلاج، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، أيلول ٢٠٠١م.

٤. بيرو جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياش، ط٣، مركز الاتحاد الحضاري ١٩٩٤م.

٥. جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري، ط١، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

٦. حازم علي كمال الدين، القافية دراسة صوتية جديدة، مكتبة الآداب، مصر, ١٩٩٨م.

٧. حازم علي كمال الدين، ظاهرة المقطع الصوتي في اللغة العربية، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٤م.

٨. ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، دار الآداب، بيروت, ١٩٨٧م.

٩. رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية, ١٩٩٠م.

١٠. سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت, ١٩٨٠م.

١١. سليمان البستاني، اليادة هوميروس، معربة نظماً، مطبعة دار الهلال، مصر ١٩٠٤م.

١٢. شارل بارلي، علم الأسلوب وعلم اللغة العام، في كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري عياد، ط١، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٥م.

١٣. شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، ط١، دار الكتاب العربي، القاهرة, ١٩٨٦م.

١٤. صابر عبد الدايم، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة, ١٩٨٦م.

١٥. عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٧م.

١٦. عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ط١، دار الطليعة، بيروت, ١٩٨٣م.

١٧. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

١٨. محمد العبد، تحليل الدلالة في الشعر الجاهلي، ط١، مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٦م.

١٩. فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، ط١، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٩م.

٢٠. محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، ط١، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء ١٩٩٠م.

Rhythm In the Poetry of Al Khansa

M. H. Alazazzma
Department of Arabic language - Faculty of arts - Hail University - K.S.A.

Abstract

My research deals with rhythm in the poetry of Al Khansa as part of the poeticalness of her poetry. My research reveals the musicality of her poems. Infact, It is an attempt to answer the following question: Does Al Khansa's poetry have any distinctiveness as far as rhythm is concerned?. In this respect, my research studies recurrence, phonetic and verse partition symmetry, internal and external connotations, voiced and unvoiced sounds as well as fricatives among other features in the poetry of Al Khansa.

Keywords: Al Khansa, voiced and unvoiced sounds, recurrence, phonetic and verse partition, symmetry, internal and external connotations.

مختار الغوث

النقد الأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي "دراسة نقدية للأخبار والمأثورات"

مختار الغوث

قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية.

المُلخّص

درس هذا البحث الأخبار النقدية المنسوبة إلى عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، فبيَّن أنها مصنوعة في العصر العباسي تأييدًا لرأي يراه مَن صنعها، وبيَّن ما فيها من علائم الصناعة، كضعف الرواة، وتصريحِ المؤلفين بكذب بعضها، واشتمالِها على قضايا لم تُعرَف قبل العصر العباسي، والتناقضِ، والنمطيةِ، والتوليد، على وجه يبعد معه ألا يكون بعضها محذوا على بعض. يُستثنى من ذلك ما رُوِيَ من تلحين النحاة لبعض الشعراء. كما بيَّن أن هذه الأخبار – لو فُرِضت صحتها – ليس فيها ما يدل على حالة نقدية، أو تطوُّر لما يتوقع أنَّ النقد كان عليه في الجاهلية، فإن جلَّها لا يعدو الموازنةَ بين معان توافَق عليها الشعراء، والمفاضلةَ بين شاعر وآخر أيهما كان أشعر.

الكلمات المفتاحية: الأخبار النقدية، النقد الأدبي، المأثورات, صدر الإسلام, والعصر الأموي.

مُقدّمة

نشرتُ في "حوليات الجامعة التونسية" عام ٢٠١٠م بحثا، عنوانه "هل كان للجاهلية نقد أدبي"، أثبتُ فيه أنَّ ما أُثر عن أهل الجاهلية من أخبار نقدية، كخبر النابغة وحسانَ في عكاظ، وإقواءِ النابغة بالمدينة، وحكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة، وانتقادِ طرفة للمسيب بن عَلَس، وخبرِ الشعراء التميميين – ليس فيه ما يصح، وإنما هو حكايات، صنعها أدباء عباسيون، رمزوا بها إلى آرائهم في بعض الشعر والشعراء، ثم نحلوها أهلَ الجاهلية تأييدًا لما يرون، أو توثيقًا لشعر صنعوه. ثم تبيَّن لي أن الأخبار المنسوبة إلى الإسلاميين والأمويين بحاجة إلى بحثٍ كذلك البحث، يبيِّن حقيقتها، وحقيقةَ ما بَنى عليها مؤرخو النقد العربي، فقد تكون حكاياتٍ مصنوعةً، كالحكايات الجاهلية، وما بُنِيَ عليها خيال أُلبِس ثوب الحقيقة؛ فإن الذي صنع الحكايات الجاهلية ربما صنع هذه، والأهداف التي كان يتغيَّا قد يحمل مثلُها على وضع ما نُسب إلى الإسلاميين والأمويين. هذا إلى ما رأيت في تاريخ الأدب العربي القديم، ولا سيما الأدب الأموي، من قلة التمحيص، والخفةِ إلى التعميم، واستمداد المعلومات من مصادر، لا يصح الاستمداد منها، كشعر عمر بن أبي ربيعة وأبي نواس؛ لأنهما – في نظر بعض المؤرخين – أصدق ممثلينِ للحجاز وبغداد في عصريهما[1]، مع ما في هذا من غضِّ الطرف عن مسلَّمة من مسلَّمات النقد الأدبي، هي أنْ لا تلازمَ بين الشعر والواقع. واستمد بعضهم من مصادرَ ما ينبغي التعويل عليها إلا بعد درس وتمحيص طويلين، كـ"الأغاني" الذي كان يروي ما يبرأ من عهدته، وما يقرُّ بكذبه، ويعلن ما فيه من أمارات التوليد والصناعة؛ لأن

١– حديث الأربعاء، ٢٩٩/١ وما بعدها.

البريد الالكتروني: drmokhtar3@gmail.com

ردمد: ٦٩٠٥-١٦٥٨

التاريخ لم يكن يعنيه كما يعنيه الإطراف، وجمْعُ ما اشتهر من الأخبار التي يصلح مثلها للسمر. والنقد القديم جانب من الأدب، يصدق على تاريخه ما يصدق على تاريخه، والمصادر التي يُستَمدُّ منها هي المصادر التي يُستمَد منها. وإذا كان التعويل على مصادرَ، لا يصح التعويل عليها يُضِلُّ عن الحقيقة التي من غايات البحث أن يهدي إليها، فينبغي أن يعاد النظر في التاريخ الذي استُمد من هذه المصادر، والأصول التي بُنِي عليها، لتُجْعَل حيث ينبغي أن تكون. وهذا البحث حلقة من أعمال، هذه وجهتُها، أرجو أن تكون مما يعين على ذلك.

النقد في صدر الإسلام

لم يجدَّ في صدر الإسلام ما يمكن أن يكون داعيا من دواعي تغيُّر حال النقد عما كان عليه في الجاهلية، وإنما خفَتَ صوت الشعر، واشتغل العرب بالقرآن، والجهاد في سبيل الله، طوال عصر النبي –صلى الله عليه وسلم–، وأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –، ثم شُغلوا بالنزاع السياسي في عهد عثمان وعلي. وتظهر آثار ذلك في قلة ما نُسب إلى أهل هذا العصر من الأخبار المتعلقة بالشعر، إذا قيست بما نُسب إلى أهل العصر الأموي، فما صحَّ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الشعر أحاديثُ يسيرة، ليس فيها ما يتعلق بجانب من جوانبه الفنية، وإنما هي امتداح أو ذمٌّ مُجمَلان، أو حضٌّ على المنافحة به عن الإسلام، كقوله – عليه الصلاة والسلام –: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ"[١]، وقوله: "إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر حكمًا"[٢]، وقوله: "لأنْ يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خيرٌ من أن يمتلئ شعراً"[٣]، وقوله لحسان: "اهْجُ المشركين، فإن جبريل معك، أو: إن روح القدس معك"[٤]. وما سوى هذا إنما هو استنشاد، أو سماع، ونحو ذلك، مما يُستشهَد به على استحسانه – صلى الله عليه وسلم – للشعر، وحبِّه أن يسمعه، وثوابِه عليه[٥]. أما الأخبار المروية عن الخلفاء الراشدين، فقليلة، وليست بأحسنَ حالاً من الحكايات الجاهلية، بل فيها كلُّ ما فيها من علائم الصناعة، وإن اختلفت عنها في المضمون، من حيث كان أكثر الحكايات المنسوبة إلى الجاهليين منصبًّا على نقد أبيات بعينها، وينصبُّ أكثر الأخبار المنسوبة إلى الإسلاميين على امتداح الشعراء، وبيان مزاياهم الفنية، وتفضيل بعضهم على بعض. وسنقف عند أهم هذه الأخبار لنبين ما فيها من علامات الصناعة.

١– الخبر المروي في تفضيل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للنابغة الذبياني، بقوله:

أتيتُكَ عاريا خَلَقًا ثيابي
على خَوْفٍ، تُظَنُّ بيَ الظنونُ
فألفيتُ الأمانةَ لم تخُنْها
كذلك كان نوحٌ لا يخونُ[٦]

أو قوله:

١– أحاديث الشعر، ٣٨.
٢– السابق، ٤٧ وما بعدها. وورد برواية أخرى ليس فيها الشعر: "إنَّ مِن البيان لَسِحْرا، أو إن بعض البيان سِحْر". (صحيح البخاري، ١٣١٥/٣).
٣– الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ١١١/٣، وأحاديث الشعر، ٦٩ وما بعدها.
٤– أحاديث الشعر، ٤٠.
٥– اقتصرت على ما ورد في كتب الصحاح، ولم ألتفت إلى الأحاديث المروية في كتب الأدب وما شاكلها؛ لأنها ليست هي المصادر التي يؤخذ منها الحديث، وما وردها، مما لم يرد في كتب الحديث لا يُعتدُّ به.
٦– طبقات فحول الشعراء، ٦٠/١.

ولســـتَ بمســـتبقٍ أخًا لا تَلَمُّهُ
على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذّب؟![١]

فلا يخفى ما في البيتين الأولين من التأثر بالآية: (إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رسول أمين) [سورة الشعراء، ١٠٦-١٠٧]، وهو داع من دواعي الشك في صحتهما، يضمُّ إلى ما قال محمد بن سلام: "أجمع أهل العلم أن النابغة لم يقل هذا، ولم يسمعه عمر"[٢]. فالخبر – إذن – محمول على عمر، كما حُمِل البيتان على النابغة. ولا يدفع عدمَ صحته أن ابن سلام يرى أن الذي سأل عنه عمر بيت آخر، "ولكنهم غلطوا بغيره من شعر النابغة"[٣]؛ فإن رأيه لم يستند إلى حجة سوى قوله: "ذُكر لي أن عمر بن الخطاب سأل عن بيت النابغة:

حلفْتُ فلم أترك لنفســـك ريبـةً
وليـس وراءَ الله لـلـمـرء مـذهـبُ

وحريٌّ أن يكون هذا البيت أو البيت الأول"[٤]. فهو –إذن– يستمد رأيه من مصدر مجهول: "ذُكر لي"، وليس له دليل آخر. ولعله إنما قال ما قال توفيقا بين مصدره هذا، والخبر الذي كذَّب آنفا، وهي طريقة معروفة عند القدامى: لا يحبون النفي ما أمكن الإثبات والجمع والتوفيق، حتى في الأخبار التي لا يعرفون لها سندا. ومما يشكك في صحة ما "ذُكر له" أنه قال إن بني "سعد بن زيد مناة تدَّعي هذا البيت (فلست بمستبق...) لرجل من بني مالك بن سعد، يقال له شُقَّة، أنشدَناه له خُلابِس العُطارِدي. وأخبرني خلف الأحمر أنه سمع من أعراب بني سعد لهذا الرجل"[٥]. وما أدري في أي عصر كان شُقة، إلا أنه إن كان إسلاميا، فالبيت مزيد في قصيدة النابغة، لا محالة، فإن كان جاهليا، فربما كان النابغة "استزاده في شعره، كالمثل"[٦]، غير أن هذا مستبعد، لأمرين: أولهما أن البيت لا يلائم القصيدة المنسوبة إلى النابغة، ولا سيما الأبيات التي حُشر بينها، فإن القصيدة تكذِّب ما نُسب إليه عند النعمان، والبيت يقرُّ بصحته ضمنا. الأمر الثاني أن أكثر هذه القصيدة مصنوع، فهي في رواية الأعلم الشنتمري[٧] اثنا عشر بيتا، كلها في الاعتذار، أما في رواية ابن السكيت[٨]، فثمانية وعشرون، ثلاثةَ عشرَ منها في الغزل، والوقوفِ في الديار، ولا تلائم سائرها، وقد صرَّح الأصمعي بأن ثمانية من الثلاثة عشر، واثنين مما روى الأعلم مصنوعة[٩]، وفيها – إلى ذلك – أبيات، لا تطمئن النفس إلى صحتها، لا يعنينا الكشف عنها الآن، ولا بيانُ الأدلة على صناعتها. فالقصيدة – إذن – مزيد فيها ما ليس منها، إن لم تكن مصنوعةً كلُّها، وإذا زيد فيها ما يُقطع بصناعته، فزيادة الصحيح أولى؛ لأنها أيسر، والخديعة بها أخفى، ولا سيما إذا كان الشعر المنحول لشاعر مغمور، لا يعرفه إلا المرء ونحوه، من خواصِّ الرواة، كخلَف الأحمر، ولا يُعرَف من شعره غير هذا الذي زيد في شعر غيره، والذي زاد البيتَ الصحيح

١- السابق، ١/٥٦.
٢- السابق، ١/٦٠.
٣- السابق، ١/٦٠.
٤- الموضع السابق.
٥- السابق، ١/٥٦.
٦- السابق، ١/٥٨.
٧- انظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ١/٢٢٠.
٨- انظر: ديوان النابغة الذبياني، بصنعة يعقوب بن السكيت، ٧٣ وما بعدها.
٩- شرح ديوان النابغة الذبياني، الطاهر بن عاشور، ٥٤ و٥٨ (هامش).

هو الذي زاد الأبيات المصنوعة، وليس النابغةَ، كما يرى ابن سلام. وأكبر الظن أن هذه الأخبار كلها إنما حُملت على عمر توثيقا لنسبة هذه الأبيات إلى النابغة[١]. وغني عن القول أن ما نُسب إلى عمر لا يمكن أن يصح أو يصحَّ الشعر للنابغة.

٢- الخبر الذي يفضِّل فيه عمر زهيراً على الشعراء كافة، بأنه: "كان لا يعاظل بين الكلام, ولا يتَّبع وحشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه"[٢]. فراوي هذا الخبر هو عيسى بن دأب[٣]، وكان عيسى "يضع الشعر وأحاديث السمر، وكلاما ينسبه إلى العرب"[٤]؛ فما يروي – إذن – غير جدير بالثقة، ولا سيما إذا كان فيه ما يدعو إلى الشك. وروى أبو الفرج الأصفهاني الخبر من طرق أخرى، ليس فيها عيسى بن دأب[٥]، غير أنها كلها مرتبطة بأبيات دالية من قصيدة، تنسب إلى زهير[٦]، لا خفاء بكونها مصنوعة، وهي، إلى ذلك، ليست مما روى الأصمعي، ولا من القصائد الخمس عشرة التي اتفق رواة البصرة والكوفة على صحتها[٧].

ولا يخفى ما بين هذا الخبر وما قبله من تناقض: هذا يجعل زهيرا أشعر الشعراء، ويجعل ذلك النابغة أشعرهم. ولو فُرِض أن تقديم النابغة محمول على استجادة أبياته المذكورة فقط، من غير أن يقتضي ذلك تقديمه بإطلاق، كما هو دأب القدامى حين يقولون: "فلان أشعر الناس، حيث يقول"، لا يعنون إلا أنه "أصاب الغاية في صميمها، ولا ينبغي القيام بما هو أفضل مما فعله بشأن هذا الموضوع"[٨]؛ فإن تفضيل زهير في هذا الخبر يناقض تفضيل امرئ القيس في خبر سنعرض له، وهو داع من دواعي الشك في صحة الخبر. وداع آخر، أنْ ليس في أخبار عمر ما يدل على أنه كان يولي الشعر من العناية ما توهم هذه الأخبار؛ فقد أنكر – مثلا – على حسان أنْ ينشد الشعر في المسجد، وقال له: "أرُغاء كرغاء البعير" في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم-؟![٩]، وروى الإمام مالك أنه "بنى رَحَبة في ناحية المسجد تسمَّى البُطَيْحاء، وقال: من كان يريد أن يلْغَط، أو ينشد شعرا، أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرَّحَبَة"[١٠]. فالشعر عنده مما تنزه عنه المساجد، كاللغط، ورفع الصوت، وإن كان مباحا، وما كان هذا ليكون رأيَه فيه ثم يُعنَى به تلك العناية التي تترتب عليها أحكام كالحكم المنسوب إليه في هذا الخبر. صحيح أن الزُّبيدي روى أنه قال: "تعلَّموا العربية؛ فإنها تشبِّب

١- من دأب الرواة أن يفعلوا هذا ونحوه، وقد بينت ذلك في كتابي (الحقيقة والخيال في الغزل العذري والغزل الصريح)، ومن أمثلته البينة في الأخبار المحمولة على عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– خبرٌ يَدَّعي أنه عاتب أبا موسى الأشعري أن وَصل الحطيئة بمال، على قصيدة مدحه بها (انظر: الأغاني، ٤٨/٢)، والقصيدة من صنع حماد الراوية (انظر: طبقات فحول الشعراء، ٤٨/١).

٢- السابق، ٦٣/١.

٣- الموضع نفسه. وروى البلاذري هذا الخبر أيضا عن ابن أبي ذئب، عن شيخ من بني هاشم، عن ابن عباس (انظر: جمل من أنساب الأشراف، ٣٠٠/١٠. لكنه غير جدير بالقبول؛ لأن فيه مجهولا.

٤- معجم الأدباء، ٢١٥٠/٥.

٥- الأغاني، ١٣٩/٩ وما بعدها.

٦- انظر: شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ١٦٠ وما بعدها.

٧- انظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ٥٣٥ و٥٣٨ وما بعدها.

٨- الشعرية العربية، ١٧، وانظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ٣١.

٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢٨/١، وانظر: طبقات النحويين واللغويين، ١٦.

١٠- الموطأ، ١٢١.

العقل، وتزيد في المروءة"[١]، والمراد بـ"العربية" الشعر؛ إذ لم تكن في زمانه عربية يَحض على تعلمها غير الشعر. ونقل ابن رشيق أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: "مُرْ مَنْ قِبَلَكَ بتعلُّم الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب"[٢]، وقال الجاحظ: "قال محمد بن سلام عن بعض أشياخه قال: كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر"[٣]. غير أن هذه الأقوال – إن صحت – لا تعني أنه كان عالما بالشعر، على الوجه الذي يُفهَم من الأخبار السالفة، كما أن كثرة حفظ الأمثال والشواهد لا تستوجب بصرا بالشعر، ولا معرفة بمذاهب الشعراء، تتأتى منها المفاضلة بينهم، على هذا الوجه، وقد كان أبو بكر الصديق وبنته عائشة – رضي الله عنهما – راويين للشعر، كثيري الاستشهاد به فيما يعرض لهما[٤]، ولعلهما كانا أروى له من عمر، ولا سيما أبي بكر، لعنايته بالأنساب، ولما بين الأنساب والشعر من الترابط، ولم يُرو عنهما، مع ذلك، شيء في النقد، سوى عبارتين تنسبان إلى أبي بكر، ما نرى أنهما خير مما نُسب إلى عمر، إحداهما في النابغة الذبياني: "هو أحسنهم شعرا، وأعذبهم بحرا، وأبعدهم قعرا"[٥]، والأخرى في زهير: "أشعر شعرائكم زهير"[٦]، وعبارة تنسب إلى عائشة: "الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن، واترك القبيح"[٧]، وإن لم تكن في النقد، ولا فيها ما يدل على بصر بالشعر. وكذلك من هو أروى من أبي بكر وعائشة، من الرواة والنسابين الأولين، لا يُعرف عنهم نقد، ولا مفاضلة بين الشعراء، ولا تقويم للشعر؛ إذ لا تلازم بين سعة الرواية والبصر بالشعر، فقد كان كبار الرواة في العصر العباسي، من أمثال الأخفش، وأبي عبيدة، وأبي عمرو الشيباني، لا يحسنون نقد الشعر، على كثرة ما يروون منه، وإنما يعرفون إعرابه وتفسيره وغريبه[٨].

ولعل الدافع إلى صنع هذا الخبر هو الاحتجاج لرأي أهل الحجاز في تقديم زهير على طبقته من الجاهليين، وكان الذي تولَّى صنْعَه، فيما يبدو، هو راويه عيسى بن دأب، وهو حجازي[٩]، من أهل القرن الثاني الهجري، وكان الذين يفضلون زهيرا من أهل الحجاز هم أهل القرن الثاني، كقدامة بن موسى الجمحي[١٠].

٣- الخبر الذي يدَّعي أن عمر سأل الصحابة: أي الناس أشعر؟ فاختلفوا، فدخل ابن عباس، فسأله عمر، فقال: زهير. قال: ألا تنشدنا من شعره أبياتا، نستدل بها على ذلك، فأنشده قصيدة، أولها:

هل لتذكّر أيام الصِّبا فَنَدُ
أم هل لما فاتَ مِنْ أيّامِه رَدَدُ؟[١١]

وينتهي الخبر بكلام، صانعه شيعي، فيما يبدو[١٢]. وهو خبر متهافت، ويناقض ما تدَّعي الأخبار المتقدمة من بصر عمر بالشعر، فهو هنا لا يعرف أشعر الشعراء، حتى يسأل ابن عباس، ويستنشده ما يدل على صحة

١- طبقات النحويين واللغويين، ١٣.
٢- العمدة، ٢٨/١.
٣- البيان والتبيين، ٢٤١/١.
٤- العمدة، ٣٠/١.
٥- السابق، ٩٥/١.
٦- الفاضل في اللغة والأدب، ١٤.
٧- السابق، ٢٧/١.
٨- السابق، ١٠٥/١، والبيان والتبيين، ٢٤/٤، وإعجاز القرآن، ١١٦، وأخبار أبي تمام، ١٠١، ودلائل الإعجاز، ٢٥٣.
٩- معجم الأدباء، ١٨٧/١ وما بعدها.
١٠- طبقات فحول الشعراء، ٦٣/١ (هامش).
١١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ٢٠١، وجمهرة أشعار العرب، ٥٧.
١٢- شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ٢٠١-٢٠٥.

ما يذهب إليه، وحين يتخير ابن عباس ما يدلل به يَدَعُ عيون شعر زهير إلى قصيدة ركيكة، يقع فيها من اللحن المستقبح ما لا يكون في شعر الشعراء العاديين، فضلا عن الفحول، ولا سيما الجاهليين المطبوعين، كفكِّ الإدغام، حيث لا يجوز فكه، ثلاث مرات، (مستعدِد، نَدَد، ردَد)[١]. وهي – إلى ذلك – لم ترِد في أصل الديوان الذي صنعه ثعلب، وإنما وردت ملحقة به[٢]. فهو – إذن – خبر صنعه من أراد أن يثبت صحة هذه القصيدة لزهير.

٤- الخبر الذي يروي أن عمر كان يتعجب من صحة التقسيم في أبيات، لزهير، وعبدة بن الطبيب، وأبي قيس بن الأسلت[٣]، وبلغ من إعجابه ببيت زهير أنه كان سيولِّيه القضاء بسببه، لو أدركه[٤]. ولا يخفى أن عمر لم يكن يعرف "التقسيم"، وإن كان ربما أُعجب بالبيت، وما كان ليولِّي زهيرا القضاء لإصابته في التعبير، وهو امرؤ جاهلي، لا علم له بالشرع.

٥- ما نُسب إلى عمر وعلي بن أبي طالب من أنهما فضَّلا امرأ القيس على سائر الشعراء بأنه "خَسَف لهم عين الشعر، فافتقر عن معان عورٍ أصحَّ بَصَرٍ"[٥]، وأنه "أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة"[٦]. ولا يختلف هذان القولان في جوهرهما عن "رواياتٍ ضعاف متهافتة"، في امرئ القيس، تُرفَع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بألفاظ شتى، منها: "صاحب لواء الشعراء إلى النار امرؤ القيس؛ لأنه أول من أحكم الشعر"[٧]. وبعيد أن يكون هذا من كلام عمر وعلي، أو كلامِ معاصريهما، فإن مثْله لا يكون إلا ممن درس شعر امرئ القيس، فعرف ما سَبق إليه وما سُبِق، وما اتُّبع فيه وما اتَّبَع. ولم يكن عمر وعلي وأمثالهما، من العرب الأولين، يعرفون الشعر على هذا الوجه، أو ينحون في العناية به هذا المنحى، وهو عمل لا يكون إلا من متفرِّغ، يتاح له من أسباب الدراسة والتفكير ما يتأتى منه حكم كهذا. هذا إلى أن جل شعر امرئ القيس مشكوك في صحته؛ لأن مصدره حماد الراوية[٨]. وقد ذكر ابن قتيبة[٩]، عقب إيراد القول المنسوب إلى عمر، أن الهيثم رواه عن ابن عباس، عن الشعبي، عن دَغْفل النسابة، وبعيد أيضا أن يكون لدغفل؛ فقد كان معاصرا لعمر[١٠]، ويقال في معرفته بالشعر، على هذا الوجه، ما قيل في معرفة عمر. ومعلوم أن الهيثم كان متهما بالكذب[١١]، وكان بعض المحدثين لا يرضاه "في الحديث، ولا في الأنساب، ولا في شيء"[١٢].

١- السابق، ١٩٩ و٢٠٣.
٢- السابق، ٢٠١.
٣- انظر: البيان والتبيين، ١/٢٤٠،وكتاب الصناعتين،٣٧٦.
٤- كتاب الصناعيتين، ٣٧٦.
٥- غريب الحديث، لابن قتيبة، ٧/٢، وغريب الحديث، للخطابي، ٨١/٢، والعمدة، ٩٤/١. ومعنى الخبر كما قال الخطابي: أنه غاص على معان خفية على الناس فكشفها لهم، وضرب العَوَر مثلا لغموضها وخفائها، وصحةَ البصر مثلا في ظهورها وبيانها. (غريب الحديث، ٨٢/٢).
٦- العمدة، ٤٢/١.
٧- انظر: قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، ١٥.
٨- انظر: "هل كان للجاهلية نقد أدبي"، ١١٣.
٩- غريب الحديث، لابن قتيبة،، ٧/٢. ويبدو أن في الكلام الذي نقل ابن قتيبة خطأ، لعله من محقق الكتاب أو ناسخه، هو جعْله رواية الخبر عن الهيثم، عن ابن عباس، عن الشعبي عن دغفل، ولعل الصواب هو: وعن الشعبي عن دغفل. فيكون القول منسوبا إلى ابن عباس في رواية، وإلى دغفل في رواية أخرى.
١٠- انظر: معجم الأدباء، ١٢٨٨/٣ وما بعدها.
١١- السابق، ٢٧٨٩/٦، والثقات، ٣٣٧/٢.
١٢- تاريخ بغداد، ٥٠/١٤.

ويبدو أن هذين القولين (المنسوبين إلى عمر وعلي) إنما صنعهما من أدرك الخلاف في الطبقة الأولى من الجاهليين، في القرن الثاني الهجري، فوضعهما على لسانيهما توثيقا لرأيه، أما ما قبل القرن الثاني، ولا سيما عهدي عمر وعلي، فلم يكن فيه شيء من هذا الخلاف، ولا كان الناس يُعنَوْنَ بهذه المفاضلة، كما لم يكونوا يعنون بالفحولة، وتصنيف الشعراء طبقات، وإنما كان ذلك بعد أن استقر العرب في الأمصار، فوجدوا متسعا من الوقت لجمع الشعر وتأمله، فاختلفوا فيه على الوجه الذي ذكر ابن سلام في أهل الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، وكان الخلاف فيهم بين أهل الكوفة، والبصرة، والحجاز، بل بين أناس منهم، من مخضرمي الدولتين، ولم يكن بالبصرة والكوفة من الاستقرار في عهدي عمر وعلي ما تتأتى معه دراسة الشعر ولا غيرِه من العلوم والفنون دراسة متعمقة، فقد كانتا حديثتي النشأة، وبهما من الاشتغال بالفتوح في عهد عمر، والخلاف السياسي في عهد علي ما شغلهما عن ذلك؛ فمن ثم ضاع أكثر الشعر الجاهلي[١]. هذا إلى أن فحوى القول المنسوب إلى عمر هي فحوى قول الأصمعي: "أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتَّبعوا مذهبه"[٢]. ويبدو أن ابن سلام كان يعني قول الأصمعي هذا حين قال على لسان من قدَّم امرأ القيس: "سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبعته فيها الشعراء"[٣]. ولو علم ابن سلام في تقديم امرئ القيس قولا لعمر وعلي، لأورده، كما أورد ما نُسب إلى عمر في تفضيل زهير والنابغة، على عدم ثقته ببعضه.

ولا يخفى أن المنسوب إلى عمر من تقديم امرئ القيس يناقض ما نُسب إليه من تقديم النابغة وزهير، ولو صحت هذه الأخبار كلها لكان يفضِّل كلا من الثلاثة على غيره، بإطلاق، وهو تناقض مستبعد من عمر، ومن كلٍّ من يقول عن علم. وأكبر الظن أن مأتى التناقض من أنَّ هذه الأخبار صنعها قوم، اختلفوا في الشعراء الثلاثة، فصنع كلٌّ ما يوثِّق رأيه، ثم نسبه إلى من يوثَق بقوله، ويُسلَّم له، فكان هذا التناقض والاختلاف. أما ادعاء أن النقد في صدر الإسلام كان قائما "على التأثر الوقتي، وعلى الانتقال السريع دون أن يكون فيه شمول أو تفكير طويل، فالناقد يُعجب بأبيات من الشعر، فيقدِّم صاحبها، فإذا خلا القلب من سحر هذه الأبيات واختلفت المواطِن والأحوال، وتأثَّر بشعر آخر قدَّم صاحبه... ومن الجائز جدا أن يكون للناقد حكمان متعارضان، ما دام النقد يقوم على التأثر الخارجي"[٤] – فضرْب من التوفيق بين الأخبار التي يُسلَّم بصحتها قبل تمحيصها. وكان تفضيل عمر لزهير والنابغة وامرئ القيس في خلافته، كما يفهم من سياق الأخبار، أي في السنوات العشر الأخيرة من عمره، فتحوُّله عن رأيه، في أحد الشاعرين، غير وارد، إن صحَّ ما يرى بعضهم، من أن الناقد ربما كان يعجب بالشاعر في شبابه، فإذا كبر عدل عنه إلى غيره[٥].

٦– خبر يزعم أن سحيما عبد بني الحسحاس أنشده:

١– انظر: طبقات فحول الشعراء، ٢٥/١.
٢– سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، ٢٩ وما بعدها.
٣– طبقات فحول الشعراء، ٥٥/١.
٤– تاريخ النقد عند العرب، طه أحمد إبراهيم، ٣٠.
٥– السابق، ٣١.

عميرةَ ودِّع إن تجهَّزتَ غاديا
.:.
كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

فقال له: "لو قدَّمت الإسلام على الشيب لأجزتك"[١]. وفي رواية ابن سلام: "لو قلت شعرك مثل هذا أعطيتك عليه"، فلما أنشد قوله:

فبات وساداني إلى عَلَجانةٍ
.:.
وحِقْفٍ تهاداه الرياح تهاديا

قال له: "ويلك! إنك مقتول"[٢]. وإن لم يكن في هذا الخبر نظرة فنية، وإنما هو تعبير عن إيثار عمر لتقديم الإسلام على الشيب لسبب ديني. ولو سمع عمر هذه القصيدة لأحسن أدب سحيم، لما فيها من الفحش، والمجاهرة بالإثم، وهتْك الأعراض، هذا إنْ جرُؤ على أن ينشدها بين يديه، أو يقولها في بلد هو فيه. ومما يؤيد عدم صحة هذا الخبر أن ابن سلام لم يسنده، ولا أسند شيئا مما ذكر من أخبار سحيم، وإنما قال: و"أَنْشدَ عمرَ"[٣]، "ذكروا عن عثمان بن عفان"[٤]، فهي إذن حكايات وجدها تُروَى، فرواها.

والذي يخفى على من يصدقون هذه الأخبار ونحوها، مما قد رأينا، أنهم لا يميزون المتفرِّغ للرواية، وهي له مهنة أو كالمهنة، تُعديه على الدراسة والتفطن إلى مذاهب الشعراء، وخصائصهم الفنية؛ فيمكن أن يقول فيهم شيئا كالذي تدَّعي هذه الأخبار، من متذوقٍ كأبي بكر وعمر وعلي وأمثالهم، من سراة العرب، الذين لا يُعنون من الشعر إلا بما فيه معان وأغراض بعينها، لا يهمهم غيرها، ولا يعنون بمقارنة ما قال شاعر بما قال آخر، ولا بالسابق إلى المعنى والمسبوق، ولا بالمخترع والمتَّبع؛ لأن هذا ليس من شأنهم، ولا في ثقافتهم وواقعهم الحضاري ما يقتضيه. ومن توسَّم هذه الأخبار، وسببَ تخيُّر صانعيها لمن نسبوها إليه، تبيَّن فيها ما يومئ إلى ذلك إيماء كالتصريح: فإن فحواها أن ما تضمَّنت من الأحكام لم يكن من دأب العرب، في ذلك العصر، أن يفطنوا إليه، إلا فئةً، هيأ تميزُها الأذهانَ لقبول ما يُنسب إليها، من غير تمحيص، ولو نُسبت إلى غيرهم ما لقيت من القبول والتسليم ما توخَّى صانعوها. وتدل هذه الأخبار، من جهة أخرى، على بُعْد ما بين العرب والنقد الأدبي الذي يتجاوز الذوق الفطري: فقد كان جل الأسئلة المنسوبة إليهم بسيطا، وعاما، والإجابة عنه مثله: مَن أشعر الناس؟ ويكون الجواب: "فلان"، أو "الذي يقول". وإذا كانت هذه الأسئلة من صنْع رواة الأخبار في القرن الثاني أو الثالث، كما نرى، فإن دلالتها على بساطة تفكيرهم النقدي بليغة بلاغةَ دلالتها على حال النقد قبلهم.

وقد نفى أحد الباحثين ما نُسب إلى عمر من أنه كان "من أكبر الذين عرفهم النقد الأدبي تذوقا للشعر، وإدراكا لأسرار جماله"[٥]، وبنى نفيه على أنه "لم يدرك.. خطر هجاء الحطيئة للزبرقان ابن بدر في القصة المعروفة"[٦]. وفي ادِّعاء أن عمر – رضي الله عنه – ناقد مبالغة، كان ابن رشيق من أقدم القائلين بها، تعويلا على مثل هذه الأخبار[٧]، ثم تابعه من وثق بصحتها من مؤرخي النقد العربي[٨]. غير أن قصته مع الحطيئة

١- الأغاني، ٣/٢٠.
٢- طبقات فحول الشعراء، ١٨٧/١.
٣- الموضع السابق.
٤- الموضع السابق.
٥- مقالات في النقد الأدبي، ٢٢٨.
٦- الموضع السابق.
٧- العمدة، ٣٣/١.
٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، ٦٦.

والزبرقان لا يصح البناء عليها في هذا النفي، فقد قال محمد بن سلام: "وعمر يعلم من ذلك ما يعلم حسان، ولكنه أراد الحجة على الحطيئة"[١]، ونقل الجاحظ عن العائشي: "كان عمر – رحمه الله – أعلم الناس بالشعر، ولكنه كان، إذا ابتُلي بالحكم بين النجاشي والعجلاني، وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء، واستشهد للفريقين رجالا، مثل حسان بن ثابت وغيره، ممن تهون عليه سِبالهم، فإذا سمع كلامهم حكم بما يعلم، وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين، ويكون هو قد تخلَّص بعِرضه سليما. فلما رآه مَنْ لا علم له يسأل هذا وهذا، ظنَّ أن ذلك لجهله بما يعرف غيره"[٢]. وليس في هجاء الحطيئة معنى غامض، أو تعريض خفي، أو ما يَحتمل خلافَ ما فهم الزبرقان، وما يَفهم كل من سمع القصيدة؛ فيُدَّعى أن عمر لم يدرك ما أراد. وإن كانت معرفة عمر بما أراد الحطيئة لا تدل على أكثر من أنه يفهم العربية وأساليبها، ومذاهب القول فيها، كما يفهمها كل من يتكلم لغته عن سليقة، ولا سيما العلماء والنابهين، وإنما تظاهر عمر بإنكار أن يكون مراد الحطيئة الهجاءَ ليصلح بينه وبين الزبرقان، بحمْل البيت على معنى قد يمكن حمْله عليه، فلما لم يقبل الزبرقان "الخدعة"، وأبى إلا الإنصاف، أقام الحجة على الحطيئة بإشهاد الشعراء على أن البيت لا يمكن حمله إلا على الهجاء.

النقد في العصر الأموي

أما العصر الأموي ففيه ما يدعو إلى أن تكون الحال غيرَ الحال، فقد تحضَّر العرب عن بداوة، واستقروا بعد نُقلة، وتخففوا مما كان يشغلهم من النجعة وهموم العيش، والحرب، وجدَّت للشعر أغراض وفنون، تستدعي أن تكون للأدباء بها عناية مميزة، ولهم فيها آراء مختلفة، كالغزل في الحجاز، والنقائض في نجد والعراق. فمقتضى التحضُّر والاستقرار، والسلم والغنى، أن ينزعوا منازع، تخالف منازعهم في الجاهلية وصدر الإسلام، فيعتنوا بالعلم، وتدوين الشعر، ويكون لهم من النظر والتأمل ما لم يكن لسلفهم. ومقتضى استحداث الأغراض أن يتفاوت المشتركون فيها، وتتباين مذاهبهم، فتختلف الآراء فيهم، فيُشايَع بعضهم على بعض، ويشاد بالمزايا، ويُظهَر الفضل، ويُبيَّن القصور، وتكشف العيوب، ويُحتج للرأي بما يَنتج منه ما لم يكن في حياة العرب قبل العصر الأموي ما يقتضيه. ولعل الوراقين والأخباريين آنسوا ذلك؛ فحملوا عليهم أخبارا، قدَّروا أن تُخْفيَ ما صنعوا منها ملاءمتُه للعصر، وكان أكثر ما صنعوا المفاضلة بين الشعراء المتناقضين، والشعراء المشتركين في الغرض، والموازنة بين المعاني، يتوافى عليها الشعراء، فيُستحسن معنى، ويستهجن آخر. واتسم ما صنعوا من هذه الأخبار بالنمطية والتوليد، وأكثر ما كانت الموازنة النمطية في الأخبار المحمولة على أهل الحجاز، وكثيرا ما كانت تصنع على صورة واحدة، أيضا: ذمٌّ، يُغْلَظ فيه القول للشاعر، أو ذم يَتبعه استحسان، أو استحسان يتبعه ذم، أو ذم تتبعه موازنةُ إساءةِ شاعر بإحسان آخر في المعنى الذي توافيا عليه، كأن الناقد يقدِّم للمسيء دليلا من إحسان غيره على إساءته، على وجه يسهِّل عليه تبيُّنَها، أو يكون أبلغ في إقامة الحجة عليه. ويتسم بعضها بالحدة في النقد،

١- طبقات فحول الشعراء، ١/١١٦.

٢- البيان والتبيين، ١/٢٣٩.

والسخرية، والتنقُّص[١]، ومن أمثلة ذلك خبر، وُضع على لسان جارية سوداء، تعرَّضت لكثيِّر عزة، تنتقده وتعنِّفه، فتقول له: تبًّا لك! أتُعرَف بامرأة؟ ألست القائل:

فما روضةٌ بالحَزْن طيبةُ الثرى
يمجُّ الندى جثجاثُها وعرارُها
بأطيبَ من أَرْدانِ عزةَ مَوْهناً
وقد أَوقِدَتْ بالمَجْمَر اللّدْن نارُها

لو أُوقدت بالمجمر اللدن نار زنجية لطاب ريحها!

هلاَّ قلت كما قال سيدك، امرؤ القيس:

ألم ترَياني كلّما جئتُ زائرا
وجدتُ بها طيبا ولم تتطيَّبِ؟[٢]

ولا تخفى الإحالة في هذا الخبر: فما كان الإماء يفرغْن لرواية الشعر ولا يحسنَّ نقده والموازنة بين معانيه، ولو صح هذا وأشباهه، ما كان في العرب، في ذلك العهد، مَنْ لا يروي الشعر ويتذوقه وينقده. هذا إلى أن البيت الأخير من قصيدة يحوم حولها الشك[٣]، وإذا لم تصح القصيدة لم يصح الخبر؛ لأنه يكون مصنوعا بعد حمْل الشعر على امرئ القيس، في آخر العصر الأموي، أو أول العصر العباسي، إن كان واضعَه حمادٌ الراوية الذي ينتهي إليه جل ما ينسب إلى امرئ القيس من الشعر[٤]. والخبر – فوق ذلك – ينسب أيضا إلى امرأة من الخوارج[٥]، كما ينسب إلى غيرها[٦]. أما النمطية، فمنها نسبة كثير من حجازيِّ هذه الأخبار إلى ثلاثة: ابن أبي عتيق، وأبي السائب المخزومي، وسكينة بنت الحسين، وكونُ أكثر ما يَعرِض له الثلاثةُ شعرَ الغزل، وما تعرض له سكينة – خاصة – هو ما أساء فيه الشعراء، يليها ابن أبي عتيق، وإن كانت له استحسانات وثناء على بعض الأشعار والشعراء، وأكثر ما يعرض له أبو السائب هو ما يُحسن فيه الشعراء. وتشترك أخبار الثلاثةِ في الموازنة بين الأشعار، لكن أخبار سكينة هي أوفرها نصيبا منها. فهو – إذن – عمل تُوزَّع فيه الأدوار بين الأشخاص، عن وعي، كما يوزِّع القصاصون الأدوار على شخصياتهم.

والطريقة التي يُعرَض بها أكثرُ أخبار سكينة واحدة: فالشعراء، أو رواتهم، يفدون عليها كما يفدون على الأمراء، فتبدي رأيها في أشعارهم، ثم تبعث إليهم بالصِّلات وتصرفهم، وما تنقد من أشعارهم في النسيب كله. ولم تفطن عائشة بنت عبد الرحمن إلى أن اقتصار سكينة على النسيب من أمارات صنْع ما نُسب إليها، من هذه الأخبار، على حين عدَّته هي معبِّرا عن مذهب لها في الشعر[٧]، وهو رأي قد يكون غير دقيق: فلا تلازم بين النسيب ونبض القلب وصدق المعاناة، وأصالة الشاعر وإجادته؛ فإن الإجادة والأصالة تظهران في غير النسيب ظهورَها في النسيب. على أن سكينة – في الحق – لم تُخْصَص بنقد النسيب، وإنما شاركها فيه أبو السائب، ولم يعرض في أخباره كلها لغيره، وهو أكثر ما عرض له ابن أبي عتيق.

وإنما اختار الذين صنعوا هذه الأخبارَ شعرَ النسيب دون غيره؛ لأنه هو الذي يلائم ما أرادوا الإبانة

١- انظر: الموشح، ٢٠٣ و٢١٢ و٢١٥.
٢- الموشح، ٢٠٤.
٣- انظر: هل كان للجاهلية نقد أدبي؟، ١٢٣-١٢٧.
٤- مراتب النحويين، ١١٧.
٥- الموشح، ٢٠٥.
٦- السابق، ٢٠٣.
٧- سكينة بنت الحسين، ٢١٢.

عنه من ظرْف الحجازيين، الذي جعلوا الثلاثة رمزا له، فنسَّاك الحجاز، وسراته، رجالا ونساء، كانوا مغرمين بالنسيب، ويروون منه أكثر مما يروون من غيره، ويبدون من فقهه والإعجاب به ما ليس معهودا من غيرهم، في زمانهم، ولا يرون بذلك بأسا، بعكس فقهاء العراق الذين كانوا يوسمون بالتزمت. وقد صنع الأخباريون حكايات أصرح من هذه في الإبانة عما بين سراة أهل المصرين من التباين في الطباع والأمزجة[١]. وهو دليل آخر على أن هذه الأخبار صُنعت في العراق، ولم تنبع من الحجاز، كما يدَّعي صانعوها. صحيح أن بعض شعراء الحجاز قال كثيرا من شعره في النسيب، وفيهم من وقف شعره كله عليه، وهذا يسوِّغ أن يكون الذي يعرض له أدباء الحجاز هو ما يشيع في بلادهم؛ غير أن كثيرا من شعر الحجاز لم يكن في النسيب، ككثير من شعر نُصَيب، وكثيِّر عزة، والأحوص، وعبيد الله بن قيس الرقيات؛ فلا مسوغ لأن يُخص النسيب بالنقد دون سائر الأغراض التي لا تقل عنه، إلا ما ذكرْتُ. هذا إلى أن بعض الشعراء الذين عرَض هؤلاء لشعرهم كانوا من خارج الحجاز، كجرير، وكان غيرُ النسيب في شعره أكثر من النسيب، ولكنهم لم يعرضوا من شعره إلا للنسيب وحده. ومن القليل الذي خرج عن هذا خبر انتقاد ابن أبي عتيق بيتَ ابن قيس الرقيات في مدح عبد الله بن جعفر:

تقدَّتْ بيَ الشهباءُ نحْوَ ابنِ جعفرٍ
:::
سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها[٢]

وتُخرَج قصص أبي السائب على صورة نمطية، لا تكاد تتغير، هي الثناء على الشاعر المحسن والدعاء له؛ إذِ اهتدى إلى ما اهتدى إليه[٣]، وملازمةُ إنشاد الشعر المستحسن، والإقسام ألا ينطق بغيره سائر اليوم، وألا يأكل، اكتفاء به عن الطعام[٤]، أو يتمادى يومَه في الظهور على هيئة تعبر عن معنى البيت المستحسن[٥]. فإن استهجن الشعر دعا وقبَّحَ وتنقَّصَ، وكذَّب الشاعر فيما يدَّعي من الحب، وربما عمد إلى موازنته بما قال غيره إمعانا في توبيخه[٦]. ويُخرَج ذلك في صورة هزلية، تدل على شخصية أبي السائب، كما يريدها الأخباريون، وكما يريدون الشخصية الحجازية التي رمزوا به إليها أن تكون. أما نقد ابن أبي عتيق، وأخباره، عامة، فمشوب أكثرهما بالسخرية والتهزُّؤ بمن ينتقد، على سبيل الظرف.

وتتفق هذه الأخبار في أن جلَّها انتقاد للبيت والبيتين ونحوهما، ويقلُّ فيها ما تناول شعْرَ الشاعر كله، كالقول المنسوب إلى ابن أبي عتيق في تفضيل عمر بن أبي ربيعة على الحارث بن خالد المخزومي: "لِشعْر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب، وعُلوق بالنفس، ودَرَك للحاجة، ليست لشعر, وما عُصي الله – جل وعز – بشعر أكثر مما عصي بشعر بن أبي ربيعة، فخذ عني ما أصف لك: أشعر قريش من دقَّ معناه، ولطُف مدخله، وسهُل مخرجه، ومتُن حشوه، وتعطَّفت حواشيه، وأنارت معانيه، وأعرب عن حاجته"[٧]. وأكبر الظن أن هذا الكلام مصنوع على شاكلة كلام، يُنسب إلى مصعب

١- انظر: الأغاني، ١/١٥٥.
٢- السابق، ٤/١٦٠.
٣- انظر: الموشح، ٢٨٧ و٢٩٣.
٤- انظر: الأغاني، ١/١٥٣، و٧/٢٨ وما بعدها.
٥- السابق، ١٣/١١٣.
٦- الموشح، ٢٨٧.
٧- الأغاني، ١/ ٤٦.

الزبيري، في شعر عمر[١] أيضا، وأن أهل الحجاز في عصر ابن أبي عتيق لم يكونوا يعرفون هذا الوصف والتقسيم والمصطلحات، وحسبنا أنه لا يُعرَف لهذا القول نظير أو مقارِب في لغته ومضمونه، يُنسب إلى زمانه، وأن مثله يتطلب من درس الشعر ما لم يكن أهل ذلك العصر يفعلون، وإنما كان حسْب أحدهم أن يسمع الشعر فيروي ما استجاد منه، ويتمثل به حين تعنُّ مناسبته، ولا يزيد على ذلك.

وقد علَّق بعض الذين كتبوا في تاريخ النقد الأدبي على هذا القول بكلام، يتسم بالتعميم والإسراع إلى إلقاء الأحكام من غير فقه بالمحكوم فيه، على عادة الذين كتبوا عن الشعر الحجازي في العصر الأموي، في استخلاص الأحكام العامة من القول والخبر المفردين الخاصين، وجعْل منازع الفرد ونفسيته ورغباته منازعَ لمجتمعه كله، ونفسيته ورغباته، فقال: "أحسن الشعر عند ابن أبي عتيق الناقدِ، أو عند مجتمعه الذي يمثل ذوقَه وأهواءَه، إنما هو الشعر الذي يدعو إلى عصيان الله، أو الإغراء به! هكذا صار الفُسوق عن أوامر الدين وتعاليم الإسلام مقياسا جديدا من مقاييس النقد الأدبي في الحجاز، لا يتحرج ابن أبي عتيق من المجاهرة به في المجالس العامة، ومن المفاضلة بين شعر وشعر"[٢]. وهو تحريف للكلم عن مواضعه، وتقليب للحقائق، يُبنَى على عبارة مفردة، لو قُدِّرت صحتها ما جاز أن يبنى عليها حكْم كهذا، في عمومه، وهو – إلى ذلك – لم يفهمها، كما لم يكلف نفسه تمحيصها لمعرفة مبلغ صحتها، قبل أن يُرتِّب عليها من الحكم ما رتَّب. ومعنى العبارة: أن شعر عمر كان شديد التأثير، حتى إنه ليحمل على معصية الله؛ لأن مخالفة المرء ما يدين به، وإتيانَه ما يعتقد حرمته، لا تكون إلا من مؤثِّر، يملك القلب، ويسلب الإرادة، كشعر عمر، في رأي صاحب هذه العبارة، وهذا هو معنى الجملة الأولى منها أيضا: "لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب، وعلوق بالنفس، ودرك للحاجة ليست لشعر".

أما التوليد فأعني به استنساخ الخبر من الخبر، بحيث يتوافقان في جوهرهما، مهما يَبْدُ بين ظاهرهما من التباين. ومن صوره نسبة الخبر إلى أناس شتى، كالأخبار المروية في انتقاد بيت نصيب:

أهيم بدَعْدٍ ما حييتُ، فإن أَمُتْ
.:.
أَوَكِّلْ بدَعْدٍ مَنْ يهيمُ بها بَعْدي

فقد نسب انتقاده إلى سكينة بنت الحسين[٣]، وعبد الملك بن مروان[٤]، وكثير عزة[٥]. وكعبارة تَسِم شعر الحجازيين بالضعف، نُسِبت إلى جرير[٦]، والفرزدق[٧]، في شعر عمر بن أبي ربيعة، والأخطل، في شعر كثيِّر[٨]، وعبارةٍ نُسبت إلى ابن أبي عتيق في عمر بن أبي ربيعة: "م تَنْسب بها، إنما نسبتَ بنفسك"[٩]، ونسبت إلى كثيِّر[١٠]، والعبارةِ الشهيرة في شعر ذي الرمة، أنه "أبعار غزلان، ونقط عروس"، فقد نسبت إلى جرير[١١]، والفرزدق[١٢]، وأبي عمرو بن العلاء[١٣]. ومن

١- السابق، ١/ ٥١.
٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، ١٢٣.
٣- الموشح، ٢١٣.
٤- السابق، ٢٤٧.
٥- السابق، ٢١٨.
٦- السابق، ٢٦١.
٧- السابق، ٢٦٥.
٨- طبقات فحول الشعراء، ٢/٥٤١.
٩- الموشح، ٢٦٣.
١٠- السابق، ٢١٦.
١١- السابق، ٢٢٥ و٢٢٦ و٢٢٧.
١٢- السابق، ٢٢٦.
١٣- السابق، ٢٢٦.

المستبعد أن يقول هذا أعرابي، كجرير والفرزدق، لا يجمع الشعر، ولا يدرسه دراسة يتأتى منها حكم كهذا في إيجازه وشموله ودقته، أما أبو عمرو بن العلاء فالذي يؤثَر عنه أنه لم يكن يروي الشعر الإسلامي، كشعر جرير والفرزدق، وروى الأصمعي أنه جلس إليه "ثماني حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي"[١]. وإذا صح هذا، فبعيد أن يروي شعرَ ذي الرمة، وهو بعْدَ جرير والفرزدق في الزمان، ودونهما في المنزلة والسليقة اللغوية. على أن أبا عمرو أولى بهذا القول من جرير والفرزدق؛ لما بين حاله وحالهما من التباين، فضلا عن أن أبا خليفة رواه عن ابن سلام، عن أبي عمرو[٢]، وهما ثقتان، وبصريان، كأبي عمرو، وأدرك ابن سلام آخر عصر أبي عمرو، فقد ولد عام ١٣٩هـ[٣]، وتوفي أبو عمرو عام ١٥٤هـ[٤]. وهذا أجدر بأن يجعل نسبة الخبر إلى أبي عمرو أصح من نسبته إلى جرير والفرزدق. من التوليد قصة جلوس سكينة لرواة بعض الشعراء، وقد احتكموا إليها: أيُّ أصحابهم أشعر، فانتقدتهم جميعا وقبَّحتهم[٥]، فقد وُلِّد منه، فيما يبدو، خبر آخر، يدخل فيه شعراء سكينة هؤلاء بأنفسهم على عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، فتتنقصهم جميعا[٦]. فالخبران، فيما يبدو، واحد، لم يغيَّر منه إلا الأشخاص والأبيات التي قُبِّح لها الشعراء. وتوافُق الأخبار وتشاكُلها، على هذا الوجه، ونسبتها إلى أناس، بينهم علاقة، يترتب عليها أن يُتذَكَّر أحدهم بالآخر، دليل على أنها مصنوعة، وأن الخبر مولَّد من الخبر، ومحذو عليه، وأن كل ما فعل صانعو هذه الأخبار أن أحلُّوا الاسم محل الاسم، يقترن به في الذهن، كاقتران جرير والفرزق والأخطل في النقائض، وعمر بن أبي ربيعة وكثير في النسيب، وكونهما حجازيين، وسكينة بنت الحسين وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب في النسب. ولا يعسر على المتلقين تقبُّل هذا ونحوه، لكثرة ما في التراث من الخلاف، بسبب اعتماد بعضه على الذاكرة والرواية الشفهية، وسهولة الغلط في هذه الأسماء ونحوها، وإحلال بعضها محل بعضها؛ لما بينها من التلازم في الأذهان. وهذا الصنيع أثر من ضعف الخيال وعدم القدرة على التصرف في الأخبار تصرفا يخفي استنساخها، إلا على من يجهل أصلها، أو لا يعرف منها إلا الخبر المفرد. على أن بعض هؤلاء الأشخاص ليس له وجود تاريخي، كعقيلة بنت عقيل، فليس في بني عقيل بن أبي طالب امرأة تدعى عقيلة. وقد روى الأصفهاني عن ابن بنت الماجشون، عن خاله أن عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين، "أكنى عنها بعقيلة"[٧].

١- العمدة، ٩١/١. غير أن أبا عمرو-مع هذا-رُوي عنه ما يدل على أنه كان على معرفة بشعر جرير والفرزدق والأخطل، فقد كان يشبه جريرا بالأعشى، والأخطل بالنابغة الذبياني، والفرزدق بزهير، كما نقل ابن سلام، (طبقات فحول الشعراء، ٦٦/١). وقد يفهم من هذا أنه كان عارفا بشعرهم راويا له، ومعرفته به تخالف عدم عنايته به، كما تخالف ما روي من أنه قال: "لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته" (العمدة، ٩١/١). وهذه الأخبار المتناقضة تمنع الباحث من أن يجزم في هذه القضية بشيء. غير أن من الممكن التوفيق بينها، إذا صحت، بأن أبا عمرو كان لا يروي شعر هؤلاء، وإنما سمعه كثيرا، فعرفه. وإدراك الشبه بين شاعر وآخر لا يحتاج إلى دراسة شعره كله وروايته، وإنما يكفي فيه أن يسمع منه ما يميز به مذهبه العام، كجودة الإيقاع، وحسن الديباجة، ومجافاة الغريب، وقلة التكلف، والإيجاز، وكثرة الاختراع. وقد يكون الأمر كذلك في شعر ذي الرمة، يقول فيه ما يقول على السماع، من غير أن يرويه.

٢- طبقات فحول الشعراء، ٥٥١/٢.

٣- السابق، ٣٥/١ (المقدمة).

٤- طبقات النحويين واللغويين، ٤٠.

٥- الموشح، ٢١٢.

٦- السابق، ٢١٥.

٧- الأغاني، ٥٥/٤.

وهو خبر يؤكد أن أخبار سكينة كلها خيالية، وإنما نسبت إليها لإيهام صحتها.

ومن صور التوليد استنساخ الخبر من الخبر لمناسبة بين الأبيات التي يُبنَيان عليها، ككونها مطالع، لا يحسن أن يستهل بها المديح، لعدم ملاءمتها لمقتضى الحال، أو كونها دون أبيات، قالها الشاعر أو غيره في ممدوح آخر، كتطيِّر الخلفاء بالمطلع يُنشَد بحضرتهم، واستهجانهم المطلع، لكونه يمس عيبا في أحدهم، لم يتحاش الشاعر ما يلمِّح إليه، كخبر هشام بن عبد الملك مع أبي النجم، حين أنشده:

والشمسُ قد صارتْ كعَينِ الأحولِ

وكان هشام أحول[١]، وخبره مع ذي الرمة لماَّ أنشده:

ما بالُ عينكَ منها الماءُ يَنْسكبُ

فردَّ عليه وأسكته[٢]، أو قال له: "بل عينك"[٣]. وجعل بعضهم هذا الخبر مع عبد الملك بن مروان، "وكانت بعين عبد الملك ريشة، فهي تدمع أبدا، فتوهَّم أنه خاطبه أو عرَّض به،... فمقته وأمر بإخراجه"[٤]، وكخبرين له مع جرير[٥]، والأخطل[٦]، في مطلع قصيدتيهما في مدحه:

أتصحو؟ أم فؤادُك غيرُ صاحِ
.:.
عشيةَ همَّ صَحبُكَ بالرَّواحِ؟
خفَّ القَطينُ، فراحوا منك أو بَكَروا
.:.
وأزعجتهم نوًى في صرفها غِيَرُ

ومنه استهجان عبد الملك بن مروان بيتا مدحه به عبيد الله بن قيس الرقيات في بيتٍ مدح به مصعبَ ابن الزبير[٧]، وانتقادِه بيتا مدحه به كثيِّر في بيت مدح به الأعشى قيسَ بن معديكرب[٨]، وانتقادِ الوليد بن عبد الملك العجاجَ فيما قال فيه فيما قال في عمرَ بن عبيد الله بن معمر[٩]. فهذه الأخبار مستنسخ بعضها من بعض، والمناسبة بينها بيِّنة، وإن صح شيء منها في بابه فهو واحد، ثم حُذي عليه غيره. ويؤيد هذا تصريحُ الرواة بكذب بعضها، كخبر الوليد مع العجاج، فقد كذَّبه يونس بن حبيب، وابن شبَّة، بأن الوليد كان لحَّانا، لا يُحسن مثل هذا النقد[١٠]، مع أن المرزباني أورده بسندين مختلفين[١١]، وتعدُّد الطرق مظنة أن يصح يصح الخبر من أحدها، إنْ لم يصح الآخر، غير أن عدم صلاحية الوليد بن عبد الملك لما نُسب إليه تبعِّد احتمال صحة الخبر، مهما بلغت طرقه. ومما صرَّح الأخباريون بكذبه الخبر الذي أورده المرزباني عن البعيث، ينتقد فيه أشعارا للفرزدق والأخطل وجرير والأشهب بن رميلة، بحضرة الوليد بن عبد الملك، ثم عقَّب عليه بأنَّ ذِكْر الفرزدق فيه غلط، لأنه ما ورد على خليفة قبل سليمان[١٢]. وفي بعضها ما يتضمن أدلة بيِّنة على كذبه، غيرَ ما تقدم، كمخالفة حقائق التاريخ، كخبر ذي الرمة مع عبد الملك بن مروان، فقد مات عبد الملك وذو الرمة ابن تسع سنوات أو عشر[١٣].

١- الموشح، ٢٧٤.
٢- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، (ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية)، ٢١.
٣- الإيضاح في علوم البلاغة، ٥٩٢ وما بعدها.
٤- العمدة، ٢٢٢/١.
٥- السابق، ٢٢٢/١.
٦- الموشح، ١٩٣.
٧- السابق، ٢٤٣ وما بعدها.
٨- طبقات فحول الشعراء، ٤٤٢/٢.
٩- الموشح، ٢٧٧.
١٠- السابق، ٢٧٧.
١١- السابق، ٢٧٥ و٢٧٦.
١٢- الموشح، ٢١٩ وما بعدها.
١٣- انظر: ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، ١٨.

ومما يخالف حقائق التاريخ خبر الحطيئة في مجلس سعيد بن العاص بالمدينة المنورة: أنه قال لمن كان معه –وقد خاضوا في الشعر–: أشْعر العرب الذي يقول:

لا أعـدُّ الإقتـارَ عُـدْمـا ولكـنْ
فَـقْـدُ مـن قـد رُزئتُـه الإعـدامُ

(يعني أبا دواد الإيادي)، قال سعيد: فمَنْ؟ قال الذي يقول:

أفلحْ بما شـئتَ, فقد يُبلَغ بالضْـ
ـضَـعْـفِ، وقـد يُـخـدَعُ الأريـبُ

يعني عبيد بن الأبرص[١]. فالخبر على هذا الوجه غير صحيح، إن فرضت صحته على الوجه الذي روى ابن سلام، فالبيت الأخير من قصيدةٍ، شك ابن سلام في صحتها، كما شك في صحة شعر عبيد كله[٢]، وفيها –إلى ذلك – من علائم الوضع ما ليس يخفى، نحو:

مـن يَسـألِ النـاسَ يَـحْـرمـوهُ
وسـائـلُ اللهِ لا يـخـيـبُ
بـالله يُـدرَكُ كـلُّ خـيـرٍ
والـقـولُ فـي بـعضـه تـلّـغـيـبُ
واللهُ لـيـس لـه شـريـكٌ
عـلاَّمُ مـا أخْـفَـتِ الـقـلـوبُ[٣]

فهذا لا يقوله جاهلي، وعدم صحة البيت دليل على عدم صحة الخبر.

ومن هذا القبيل أخبار تعرِض لقضايا لم تكن معروفة في عصر مَنْ نُسِبت إليهم، بعضها يطابق أقوالا مأثورة عن بعض علماء العصر العباسي، كالخبر الذي زعم صانعه أن الفرزدق مرَّ على ذي الرمة وهو ينشد:

أَمَنْزِلَتيْ مَيٍّ، سـلامٌ عليكمـا!
هـلِ الأزمُن اللائي مَضَـيْنَ رواجِعُ؟!

فوقف حتى فرغ منها، فقال له ذو الرمة: "كيف ترى يا أبا فراس؟ قال: أرى خيرا! قال: فما لي لا أُعَدُّ في الفحول؟ قال: يمنعك من ذلك صفة الصحاري، وأبعار الإبل"[٤]، وفي رواية: "لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار"[٥]؛ فتصنيف الشعراء فحولا إنما عُني به أهل القرن الثاني والثالث، وأول من خاض فيه – فيما أعلم – الأصمعي وبن سلام. وهذا الخبر إنما هو فحوى قول البَطين – وقد سئل عن ذي الرمة –: إنَّ أركان الشعر أربعة: المديح، والهجاء، والتشبيب، والفخر، وهي مجموعة لجرير والفرزدق والأخطل، وإنما يُحسنُ ذو الرمة التشبيب، فهو ربع شاعر[٦]. ومنه تلحين مَنْ لا يُتوقَّع أن يلحِّن، كما يُدَّعَى من تلحين أحد جلساء عبد العزيز بن مروان لكثيِّر في قوله:

لا أنـزُر الـنـائـلَ الـخـلـيـلَ إذا
مـا اعـتـلَّ نـزْرُ الـظّـؤرِ لـم تَـرَمِ

فقال له: "إنما هو لم ترْأم"[٧]. فنَقْلُ الهمز في هذه الكلمة وما شاكلها هو لغة أهل الحجاز، ومنهم كثيِّر، وبها قرئ القرآن الكريم، في القراءات السبع، وهي اللغة العالية. فمن غير المتوقع أن يُلحَّن فيها كثيِّر، إن فرض أن العرب في العصر الأموي، غيرَ النحاة، كانوا يفطنون إلى هذا ونحوه، ويؤاخذون به الشعراء. وإنما هذا شيء

١– الشعر والشعراء، ٣١٣/١ وما بعدها.
٢– طبقات فحول الشعراء، ١٣٨/١.
٣– جمهرة أشعار العرب، ١٧٤.
٤– طبقات فحول الشعراء، ٥٥٢/٢. وهو خبر لم يرد في أصل الكتاب، ولكن محققه أضافه من (الموشح)، وقال إن الأصفهاني أورده عن غير ابن سلام.
٥– الموشح، ٢٢٨.
٦– الموشح، ٢٢٧.
٧– السابق، ١٩٨.

صـــنعه المتأخرون المتأثرون بقراء الكوفة، وكانوا أكثر القراء همزا، بســبب تأثرهم بلغات أهل نجد. ثم إن ترك الهمز، إن فرض أنه ليس هو اللغة العالية، ليس مما يعاب به الشعراء، كما قال ابن قتيبة: "وأما ترك الهمز، فكثير واسع، لا عيب فيه على الشاعر، والذي لا يجوز أن يهمز غير المهموز"(١).

وفي خبر أورده المرزباني أن عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب قالت لكثير: "أما أنت يا كثير، فألأم العرب عهدا في قولك:

أريـدُ لأنســى ذكرَهـا فكـأنمـا
تَمثَّـلُ لي ليلى بكـلِّ ســبيـلِ"(٢)

فهذا قول قال ابن ســلام إنه سمعه من أحد معاصريه: يطعن به على كثيِّر، "يقول: ما له يريد ينسى ذكرها؟"(٣). ومثله الخبر المروي عن ابن أبي عتيق في انتقاد عمر بن أبي ربيعة في قوله:

بينـمـا ينعتنَني أبصـــرنَـني
دونَ قِيـد المِيـل يَعْـدُو بي الأغرُّ...

فقال له: "أنت لم تنْسِب بها، إنما نسَبْتَ بنفسك، وإنما كان ينبغي أن تقول: قلت لها، فقالت لي، فوضعت خدِّي، فوطئتْ عليه"(٤)، فإن شطره الأول هو فحوى قول المفضَّل بن سلمة في عمر بن أبي ربيعة: "لم يرِقَّ كما رَقَّ الشعراء؛ لأنه ما شكا قطُّ من حبيب هجرا، ولا تألَّم لصدٍّ، وأكثر أوصافه لنفسه وتشبيبه بها، وأن أحبابه يجِدُون به أكثر مما يَجِد بهم، ويتحسَّرون عليه أكثر مما يتحسر عليهم"(٥).

والشـــطر الثاني من الخبر ليس مما يُتوقَّع أن يقوله ابن أبي عتيق، ولا أحد من أهل القرن الأول الهجري؛ فلم تكن علاقة الرجال بالنساء على ذلك الوجه، وإنما عُرِف امتهان الرجال أنفسَهم لمن يحبون في العصور التالية، في خارج الجزيرة، غالبا، وربما كان ذلك بتأثير من الشعوب غير العربية، أما شعر أهل الجزيرة في الجاهلية وما قبل القرن الثاني، فكان ربما نطق بشيء من الضراعة والاستعطاف(٦)، ولكنه لا يبلغ امتهان النفس للمحبوب، بل ربما وُجِد فيه تكافؤ بين الرجل ومحبوبته، كقول لبيد:

فاقطعْ لُبانةَ من تعرَّضَ وصلُه
ولشـرُّ واصـلِ خُلّةٍ صَـرَّامُها(٧)

وقولِ المثقب العبدي:

فإني لو تخالفني شمالي
خلافَكِ ما وصلتُ بها يميني
إذن لقطعتُها ولقلتُ: بِيني،
كذلك أجْتوي من يجتويني(٨)

وقولِ عمر بن أبي ربيعة لصاحبته – على ما يَذْكُر من تعلُّقه النساء –:

لن تقوديـنيَ بالهجر ولنْ
تـدْرِكـي وُدِّي بِـجَـدٍّ واطِّـراحْ(٩)

وقول أبو صخر الهذلي:

هجرْتكِ حتى قيل: ما يعرفُ
وزرتُكِ، حتى قيل: ليس له صبرُ(١٠)

مع أنه يقول قبل هذا:

ويمنعني من بعضِ إنكارِ ظلمِها
إذا ظلمتْ يومًا، وإنْ كانَ لي عُذْرُ

١- الشعر والشعراء، ١٠٢/١.
٢- السابق، ٢١٤.
٣- طبقات فحول الشعراء، ٥٤٦/٢.
٤- الموشح، ٢٦٣.
٥- السابق، ٢٦٤.
٦- انظر: الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى، ٢٠٠/١.
٧- شرح المعلقات السبع، ٩٨.
٨- المفضليات، ٢٨٨.
٩- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص: ٨٧.
١٠- خزانة الأدب، ٢٥٩/٣.

مخافةُ أني قد علمتُ لئن بدا
.:.
ليَ الهجرُ منها ما على هجرِها صبْرُ
وأنيَ لا أدري إذا النفسُ أشرفتْ
.:.
على هجرِها ما يَبْلغنَّ بيَ الهَجْرُ[1]

وإذا كانت هذه ثقافةَ ابن أبي عتيق، التي لا يُعرَف من تاريخه ما يغيِّره عنها، فبعيد أن يصحَّ عنه ما يخالفها. ومن هذا القبيل خبر يقول إن نصيبا والكميت وذا الرمة اجتمعوا، فأنشد الكميت أبياتا له، أخذ عليه نصيب بعض معانيها، كقوله: "تكامل فيها الدَّلُّ والشَّنَب"، وقوله: "يجاوبن بالفلوات الوِبارا"، وقوله: "أراجيز أسلم تهجو غفارا"، فأخذ عليه أن لا علاقة بين الدَّلِّ والشنب، تسوِّغ جمعهما على هذا الوجه، وأن الوبار لا تسكن الفلوات، وأسلم لم تهج غفارا قط[2]. فهذا نقد الأصمعي، أو شيء يصنع على شاكلته، وليس نقدا أمويا، فلم يكن نصيب مؤرِّخا، ولا نسَّابة، واجتماعه هو والكميت مستبعد؛ فنصيب من أهل وَدَّان[3]، والكميت من أهل الكوفة[4]، وذو الرمة نجدي من أهل الدهناء، ولكن الوضاعين من الأخباريين يجمعون سهيلا والثريا!

هذا إلى أن بعض هذه الأخبار يساق على وجه يُستبعد معه أن يكون صحيحا، كالخبر الذي يدعي أن عبد الملك بن مروان قال للراعي النميري، لما أنشده قوله:

أخليفةَ الرحمنِ، إنا معشرٌ
.:.
حُنَفاءُ نسجدُ بكرةً وأصيلا
عربٌ نرى لله في أموالنا
.:.
حقَّ الزكاة مُنزَّلاً تنزيلا

"ليس هذا شعرا، هذا شرح إسلام، وقراءة آية"[5]، فمن غير المتوقع أن يقول عبد الملك هذا للراعي، والمقام مقام شكوى وتظلُّم، وليس مقام مديح، وإنما هذا شيء ينتقد به المتأخرون البيتين، ثم يضعونه على لسان عبد الملك. وقد خلا من أكثر هذه الأخبار "طبقات فحول الشعراء"، وابن سلام أوثق وأقدم من المرزباني والأصفهاني ومن ينقلان عنه، مع أن كتابه لم يخْلُ أيضا من الأخبار المصنوعة، وهذا دليل آخر على ما نرى من عدم صحة هذه الأخبار، وأنها ربما صُنعت بعد ابن سلاَّم، إن لم يكن تنكَّب ذكرها عمدا؛ لأنه لا يثق بها. وليس في وسعنا أن نأتي على الحكايات المنسوبة إلى أهل العصر الأموي كلها، لكثرتها، وإنما حسْبنا أن نثبت ما في أشهرها من علائم الصناعة، ليَثْبُتَ أن سائرها غير جدير بالثقة، وغير جدير بأن يُبنَى عليه حكم علمي في تاريخ النقد والأدب، في العصرين الإسلامي والأموي؛ لما رأينا في أكثرها من النمطية والتوليد اللذين يجعلان ما يقال في بعضها يصدق على سائرها.

نستثني من هذه الأخبار بعضَ ما رُوي من بدايات النقد اللغوي، فإنه يختلف عن كل ما تقدم، إذ يُفرَض أنه حدث في مجالس عامة، يغشاها العلماء وطلاب العلم، وذلك من دواعي حفظه وصيانته حتى يدوَّن، فضلاً عن أن من رُوي عنهم كانوا في زمان بدأ فيه تدوين الشعر، والتأليف في النحو، وأن بعضه أقوال مأثورة عن نحويين معروفين، معروفة مذاهبهم، فحكمه، من حيث الصحة، كحكم ما يُسنَد إليهم من الآراء

١- السابق، ٢٥٨/٣ وما بعدها.
٢- الموشح، ٢٥٢.
٣- الأغاني، ١٢٥/١. ووَدَّان قرية ساحلية على الطريق القديم بين مكة والمدينة، وتبعد عن المدينة نحوا من ٢٤٠كم، وتعرف اليوم بمستورة، أو هي قرية قريبة منها.
٤- السابق، ١٠٩/١٥.
٥- الموشح، ٢١٠.

النحوية. ومن أمثلته ما ينسب إلى عيسى بن عمر من أنه خطَّأ النابغة الذبياني في قوله:

فبتُّ كأني ساورتْني ضئيلةٌ
من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ ناقِعُ

فقال إن صوابه: "السم ناقعاً"[١]، على الحال، وكما خطَّأ ابن أبي إسحاق الفرزدق في قوله:

على عمائمِنا يُلقى وأرْحُلِنا
على زواحفَ تُزجَى مخُّها ريرِ

فجرَّ الخبرَ (ريرِ)، وحقه أن يُرفع، وخطَّأه في قوله:

فلو أن عبدَ اللهِ مولَى هجوتُه
ولكنَّ عبدَ الله مولى مَوالِيَا[٢]

وهي مآخذ لا تتجاوز التنبيه على الخطأ، على هذا النحو، ولا علاقة لها – على أهميتها – بالنواحي الجمالية من الشعر. وقد كان استنباط قواعد النحو، وما صاحبه، من وضع الأصول، ومدِّ القياس، داعيا إلى توقُّع أن ينتقل النقد نُقلة جديدة، تلائم نقلة النحو؛ فإن ذلك نذير بأن العقل قد نحا منحى العلم والنظر، وخرج من طور الحفظ والرواية والذوق الفطري إلى الدراسة، وتلمُّس العلل الجامعة بين الأشياء المتباينة في ظاهرها، المتفقة في ماهيتها، أو أسبابها، وهو تحوُّل فكري، أقلُّ ما يُتوقَّع أن يتبعه في جانب النقد شيء غير هذا الذي ينسب إلى أهل العصرين الإسلامي والأموي. غير أن من الحق أن هذا التحول لم يجاوز فئة قليلة من العرب، هي تلك التي عُنيت بالنحو، أما سائرهم، فظلوا على ما كانوا عليه، فأهل البوادي لم يختلفوا في شيء عن أعراب الجاهلية، من حيث التفكير، وقلة العلم، ولم يختلف كبار شعرائهم عما كان عليه سلفهم، من حيث الطبع، وقلة التخير، وما يستتبع ذلك من تشريد الألفاظ[٣]، وكثرة الاختلال، وعدم التفطن إلى ما قد يقعون فيه من اللحن الجلي، كما يُرى في لحن الفرزدق. أما أهل الحاضرة، غيرَ أهل البصرة، فلم يجدَّ في ثقافتهم تغيُّر كبير، سوى المعرفة الشرعية التي كان بعضها أقرب إلى الحفظ منه إلى التفكير والنظر، وهي معرفة ليس فيها ما يمس الأدب. وحسبنا دليلا على صحة هذا الرأي أن ملوك بني أمية في الشام، وكانوا، غير الوليد بن عبد الملك، متعلمين، ليس فيهم من نُسب إليه ما يدل على تغير في الذوق والتفكير، والبصر بالشعر، على ما كانوا فيه من الدعة والاستقرار، وإنما ظلوا وظلت دولتهم "عربية أعرابية، وفي أجناد شامية،... وجرت (العرب في عهدهم) من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليتها"[٤]. ولا تختلف الأخبار التي نسبت إليهم عما قد رأينا من الأخبار التي نسبت إلى غيرهم، مع أننا لا نثق بها كما لا نثق بتلك، وهذا دليل على أن الرواة لم يعرفوا عنهم ما يميزهم من سائر العرب في عصرهم؛ فوضعوا عليهم من الأخبار ما وضعوا على غيرهم، فالأخبار المنسوبة إلى عبد الملك بن مروان – مثلا –، وكان من كبار فقهاء الحجاز، حتى ليعد في طبقة عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، لا تتجاوز استحسان تعبير، واستهجان آخر، والسؤالَ عن أشعر الشعراء، أو أجودِ ما قيل في غرض من الأغراض، أو معنى من المعاني. وتفكيره النقدي – كما يبدو من هذه الأخبار – لا يختلف عن تفكير بعض معاصريه من أهل البادية، فقد استحسن – مثلا –، قول جرير:

١– انظر: طبقات فحول الشعراء، ١٦/١، وطبقات النحويين واللغويين، ٤١.
٢– انظر: طبقات فحول الشعراء، ١٨/١، طبقات النحويين واللغويين، ٣٢.
٣– الموشح، ١٧١.
٤– البيان والتبيين، ٣٦٦/٣.

ألســـتم خيرَ مَنْ ركِـبَ المطـايـا
.:.
وأنـدى الـعـالـمـيـنَ بـطـونَ راحِ؟

حتى أعطاه مائة لِقْحَة برعاتها، وصُـــحْفةً من الذهب، فيما تزعم الأخبار[١]، ولكنه لم يُبِنْ عن وجه استحسانه له، كما يدعي خبر آخر أن جريرا استحسن بيت عدي بن الرقاع:

تُـزْجـي أغَـنَّ كـأن إبـرةَ رَوْقـه
.:.
قلمٌ أصـــاب من الـدواة مـدادَهـا

فرحمه لما سمع صدره، ثم رحم نفسه منه لما أنشد عجزه[٢]، ولم يبيِّن وجه الحسن فيه.

ولم يُرْوَ عن نحاة البصـــرة الأولين، غيرَ تنبيهاتهم النحوية واللغوية، ما يدل على بصر بالشعر ونقده، بل لم يُرْوَ عنهم ما رُوِيَ عن أهل زمانهم من الأخبار، بغض النظر عن صحتها، إلا ما قال يونس بن حبيب، من أن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كان يرى أن مرقشـــا أشـــعر أهل الجاهلية، وكثيِّرًا أشـــعر أهل الإسلام[٣]، وهو رأي كان يونس يتعجب منه، وقال إنه لم يُقبل ولم يُشيَّع[٤]. وهو تعجب في محله، فليس لمرقش شعر يُعتدُّ به، إن فُرِض أن ما ينسب إليه في الباقي من كتب الأدب ليس بمنحول، فكيف يجعل به أشعر أهل الجاهلية؟ وإذا صح هذا القول عن ابن أبي إسحاق كان دليلا على بُعْد ما بين النحويين الأولين ونقد الشـــعر، كما يدل على بعْد ما بين العرب، في ذلك الزمان، وبينه. وهذا مما يؤكد الشـــك في الأخبار التي رأينا من أمرها ما قد رأينا، فإن الذي هو أولى بالنقد إذا لم يكن له علم به، ولم يؤثَر عنه شـــيء فيه ذو بال، وأُثِر عمن هو دونه، كان ذلك داعيا للشـك؛ لأنه قلب للمنطق.

وقد كان هؤلاء النحويون أجدر أهل زمانهم بأن يكون لهم في نقد الشعر والبصر به ما لم يكن لغيرهم، لكثرة ما يروون منه، لو كانت ســـعة الرواية وحدها تغني في نقـد الشـــعر، ولمعرفتهم بلغتـه، ومعرفتهم من المنهج العلمي ما لم يعرف معاصـــروهم؛ وجمْعِهم إلى ذلك السليقةَ اللغوية التي لا يختلفون فيها عن معاصريهم من العرب الخلص، لكونهم إما عربا صـــليبة، وإما عربا بالنشـــأة والثقافة. وهم في هذا يختلفون عن النحاة المتأخرين الذين كانت معرفة بعضهم لا تتجاوز القواعد المجردة التي لا تستوجب سليقة ولا ذوقا، ولا بصـــرا بالأدب، ولا رواية للشعر. صحيح أن للنقد شأنا غير شأن اللغة، فهو مزيج من الخبرة، والموهبة، والمشاعر التي يثيرها النص، يصعب وصفها، أو معرفة سببها بدقة، أحيانا، كما يصعب استنباط معايير موضوعية منها، وفيها ما لا يمكن تعليله، ولا معرفة حقيقته، والنحو حقائق موضـــوعية، مثل الظواهر الطبيعية، لا علاقة لها بالمشـــاعر. ففي وســـع المرء أن يدرك حقائق النحو، ويدرك عللها، من غير أن يكون له بصر بالشعر، ولا اقتدار على نقده وتذوقه، كما أن إدراك حقائق الطبيعة، وعللها والعلاقات بينها لا تستوجب شيئا من ذلك.

أما نحويو العصـــر الأموي الذين أدركوا العصـــر العباســـي، فلبعضـــهم أقاويل قليلة في المفاضـــلة بين الشعراء، وفيما عرضوا له من المعاني والأغراض، والمقارنة بين مذاهبهم، نقتصـــر منها على ما ذكر ابن ســـلام؛ لأننا لا نثق بما روى غيره، وإن كنا لا نســـلِّم بكل ما

١- انظر: الشعر والشعراء، ٤٦٠/١، والأغاني، ٦٣/٧.
٢- الأغاني، ١٧٦/٨ وما بعدها.
٣- طبقات فحول الشعراء، ٥٢/١، و٥٤٠.
٤- السابق، ٥٢/١، و٥٤٠.

روى؛ فإن بعض مَن نَسب إليهم هذه الأقوال كانوا من معاصريه، وهم – إلى ذلك – مثله، من أهل البصرة. وإذا كان في كتابه ما يطمأن إليه، فمنه هذه الأقوال، كقول أبي عمرو بن العلاء في الأعشى: "مَثَله مثَل البازي، يضرب كبير الطير وصغيره... نظيره في الإسلام جرير، ونظير النابغة الأخطل، ونظير زهير الفرزدق"[١]، وقوله في خداش بن زهير: "هو أشعر في قريحة الشعر من لبيد، وأبى الناسُ إلا تقدمة لبيد"[٢]، وقوله في المقارنة بين أبي النجم العجلي والعجاج: "كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج"[٣]، وقول يونس بن حبيب: "كان عبد الله[٤] بن قيس الرقيات أشد قريش أسْرَ شعر بعد ابن الزبعرى"[٥]، وقوله: "الشعر كالسَّراء والشجاعة والجمال: لا يُنتَهى منه إلى غاية"[٦].

فهذه الأقوال بسيطة، بيد أن بعضها يبين عن روح جديد، ونظر إلى جوانب من الشعر، لم يكد شيء من تلك الأخبار يحوم حولها، كما تتسم بفقه، نظن أنه لم يكن متاحا في حياة العرب قبل أواخر العصر الأموي، يظهر في الوصف الموضوعي، والبصرِ، شيئا، بجوانب من حقيقة الشعر، ككون المقارنة فيه لا تنتهي إلى حكم دقيق؛ لأن مردها إلى الذوق، وكالتنبه إلى الفرق بين الطبع والتكلف، ومزايا الطبع على الشعر، وإن كان في ذلك غموض، سببه اعتساف الطريق، وقلة الزاد من المصطلح، فقد أراد أبو عمرو أن خداشا أمكن من لبيد في الشعر وأطبع، وإن قدَّم الناس لبيدا، فكان في عبارته من الغموض ما ليس يخفى. ونسب إليه المرزباني عبارة أخرى، عبَّر فيها عن غرابة شعر لبيد وما فيه من الوحشي، قد تكون أبين من تلك: "ولكن شعره رحى بَزْر"[٧]، وعبر الأصمعي عن معنى هذين القولين بعبارة كأنها مستوحاة منهما، إلا أنها أوضح منهما: "شعر لبيد كأنه طيلسان طبري"[٨]، "يعني أنه جيد الصنعة، وليست له حلاوة"[٩]. فالذي فضَّل به أبو عمرو خداشا على لبيد هو الحلاوة المتأتية من الطبع وقلة التكلف ومجافاة ما كان لبيد يركب من الغريب. والحلاوة التي ذكر الأصمعي هي التي سماها ابن قتيبة: "رونق الطبع، ووشي الغريزة"[١٠]. وما فطن إليه أبو عمرو يدل على تنبه إلى قضية مهمة من قضايا الفن، ينبئ بفكر جديد.

وقد ظهر في بعض هذه الأقوال تلفُّت إلى خصائص الشعراء الأسلوبية، ممثلا في "قوة الأسْر"، وبعض معايير الفحولة التي اعتمد الرواة في القرن الثالث، كالأصمعي وابن سلام، كتعدد الأغراض، والإجادة، كما بدا من قول أبي عمرو في الأعشى، الذي توسع فيه من تلاه ممن فضلوه على طبقته، حين قالوا إنه: "أكثرهم عروضا، وأذهبهم في فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم مدحا، وهجاء، وفخرا، ووصفا"[١١]، فجمعوا له معايير الفحولة الثلاثة: الإجادة، وتنوع الأغراض، والإغزار. ولا جرم أن مرد هذا كله إلى تقدم العلم، ورقي العقل، فهو الذي لفت

١- طبقات فحول الشعراء، ٦٦/١.
٢- السابق، ١٤٤/١.
٣- السابق، ٧٥٣/٢.
٤- كذا ورد في الكتاب، وصوابه: عبيد الله.
٥- السابق، ٦٤٨/٢.
٦- السابق، ٦٦/١.
٧- الموشح، ٨٩.
٨- الموضع نفسه.
٩- الموضع نفسه.
١٠- الشعر والشعراء، ٩١/١.
١١- طبقات فحول الشعراء، ٢٤٥/١.

العقول إلى ما لم يكن العرب الأولون ليلتفتوا إليه، لتباين الحالين.

وصاحبا هذه الأقوال (أبو عمرو، ويونس، ت١٨٢هـ)[١] من مخضرمي الدولتين، غير أننا ما ندري في أيهما كانت هذه الأقوال، إلا أن ما ينسب إلى أبي عمرو – خاصة – ربما كان في العصر الأموي؛ لأن المدة التي عاشها فيه أطول من التي عاش في العصر العباسي، وتوفي ولم يجدَّ في العصر العباسي تغير كبير، يمكن أن يُجِدَّ له فكرا ونظرا غير فكره ونظره في العصر الأموي.

على أننا لو تناسينا ما بسطنا من الحجج على كون ما تقدم من الأخبار مصنوع، وفرضنا صحتها بدلا من ذلك، ونظرنا فيها نظر المقوِّم، لم نجد فيها ما يمكن عده نقدا، أو بدايات للنقد, أو ما يمكن أن يستخرج من مجموعه سمات تدل على تطور في فهم الأدب وتذوقه ونقده، يلائم نُقلة العرب الحضارية والعلمية، ويختلف عما يتوقع أن يكون عليه حال النقد في الجاهلية، فإن ما اشتملت عليه لا يزيد على أحكام مجملة، غير معللة في الغالب، مثلُها "لا يُحصَل منه على تحقيق"[٢]، تلقى على هذا الوجه من التعميم، ولا تتجاوز تفضيل شاعر على آخر، أو تعبيرٍ على تعبير، وبيانَ خطأ شاعر في معنى رام التعبير عنه، فجاء على غير ما ينبغي أن يكون، من غير تعليل ولا تدليل، ومفاضلةً بين الشعراء لا تستبين حيثيات أكثرها، مما نتوقع ألا يعجز عنه امرؤ يفقه لغته، مهما بلغ من الجهل والإغراق في البداوة؛ لأن هذا ونحوه من مقتضيات النباهة والسليقة اللغوية.

١- السابق، ٦٥/١.

٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣٧٦/٢.

المراجع

١. أحاديث الشعر، أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق خير الدين الشريف. ط١، د.م، ١٤١٣هـ.

٢. أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد الصولي، تحقيق خليل محمود عساكر وآخرين، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

٣. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم يوسف بن سليمان الشنتمري، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

٥. الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، ط. الساسي، د.ت.

٦. الأمالي في لغة العرب، هل كان للجاهلية، القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣٢٤هـ. قد أدبي؟".

٧. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط٥، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٨. البيان والتبيين، الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني تحقيق عبد السلام هارون، ط٥، القاهرة،

مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ٥٠/١٤.

١٠. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، عبد العزيز عتيق، ط٤، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١. تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، طه أحمد إبراهيم، بيروت، دار الحكمة، ١٩٣٧م.

١٢. الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي،تحقيق عبد العليم البستوي، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٣٣٧/٢.

١٣. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتُّوح الحميدي، تحقيق علي البواب، ط٢، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٤. جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٥. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، بيروت، دار بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

١٦. حديث الأربعاء، طه حسين، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.

١٧. الحقيقة والخيال في الغزل العذري والغزل الصريح، مختار الغوث، ط١، جدة، دار كنوز المعرفة، ١٤٣١هـ.

١٨. حوليات الجامعة التونسية، العدد ٥٥، السنة ٢٠١٠م. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري.

١٩. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت.

٢٠. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، ط٣، القاهرة، مطبعة المدني، وجدة، دار المدني، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٢١. ديوان الحطيئة، محمد بن حبيب، بيروت، دار صادر، د.ت.

٢٢. ديوان الحطيئة، يعقوب بن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٣. ديوان عمر بن أبي ربيعة بيروت، دار صادر، د.ت.

٢٤. ديوان النابغة الذبياني، يعقوب بن السكيت، ط٢، تحقيق شكري فيصل، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٥. ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، يوسف خليف، القاهرة، مكتبة غريب، د.ت.

٢٦. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط

شعره، الحاتمي ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٢٧. سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي ورده عليه فحولة الشعراء، أبو حاتم السجستاني، تحقيق محمد عودة أبو جرى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٨. سكينة بنت الحسين، عائشة بنت عبد الرحمن، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

٢٩. شرح ديوان النابغة الذبياني، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، والجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٦م.

٣٠. شرح شعر زهير بن أبي سلمى، ثعلب أحمد بن يحيى، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣١. شرح المعلقات السبع، بيروت، دار صادر، د.ت.

٣٢. الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى، مختار الغوث، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣٣. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م.

٣٤. الشعرية العربية، جمال الدين ابن الشيخ، ترجمة مبارك حنون وآخرين، ط٢، الدار البيضاء، دار توبقال، ٢٠٠٨م.

٣٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد تامر، ط١، القاهرة، مؤسسة المختار، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ضمن المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٣٧. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٣٨. طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

٣٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، د. م، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

٤٠. غريب الحديث، أبو سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم الخطابي تحقيق عبد الكريم العزباوي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.

٤١. الفهرست، محمد بن إسحاق بن النديم ط، دار المعرفة، د.ت.

٤٢. قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، محمود شاكر، ط١، جدة، دار المدني، والقاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٣. غريب الحديث، ابن قتيبة، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٧م.

٤٤. الفاضل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، د.م، ١٩٥٥م.

٤٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة،

شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

٤٦. كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري، تحقيق مفيد قميحة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٤٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الشيباني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥م.

٤٨. مراتب النحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٤٩. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

٥٠. معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.

٥١. المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

٥٢. مقالات في النقد الأدبي، محمد مصطفى هدارة، ط١، الرياض، دار العلوم، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. من تاريخ النحو، سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر، د.ت.

٥٣. الموشح، المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٥٤. الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي، مالك بن أنس، ط١، بيروت، دار النفائس، ١٣٩٧-١٩٧٧م.

٥٥. النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

Literary Criticism in the First Islamic Era and the Umayyad Period Critical Study of Works and Adages

M. Alghoth

Department of Arabic language– Faculty of Arts - Taiba University - K.S.A.

Abstract

This research discusses the critical works attributed to the first Islamic era and the Umayyad period. The research concludes that these works were fabricated and made up in the Abbasid period in support of the view of people who made them up. Also, the research pointed out the signs of these fabrications such as the weakness of the narrators, and the admission of the authors who made them up. Among these signs were the fact that these works discussed issues that were not known before the Abbasid period in addition to the contradiction, stereotypical patterns , and similarities of the topics. An exception to that was what has been narrated that some grammarians composed some lyrics of some poets in addition to some sayings of the people of the second Hijri century. Some of these sayings may have been said in the Umayyad period. The research also showed that even if these narrations were true, there was nothing in them indicating a state of literary criticism or a development of what is expected to be a literary criticism in the pre-Islamic period. Most of these works were nothing but a comparison of some meanings agreed upon by the poets or a kind of judgment who was the best poet in that time.

Keywords: Literary criticism, Critical works, bbasid period, first Islamic era, Umayyad period.

أبحاث باللغة الإنجليزية

Relationship Between Students' Academic Achievement and Each of: Study Approaches, Gender, and Socio-Economic Status

M. Z. T. Bataineh
Psychology Department - Faculty of Education - King Saud University.

Abstract

This study examined the relationship between student's academic achievment and each of study approaches, gender and socio-economic status. Data was collected using the following; Approaches and study skills inventory for students (ASSIST), gender, GPA, and socio-economic status. In this study, study approaches (deep, strategic, and surface) were predictor variables. The criterion variable was academic achievement as measured by students GPA. A sample of 204 subjects (101 female, 103 males) were obtained from the Yarmouk University (Irbid-Jordan). Three questions were tested using bivariate and multivariate correlational statistics (MANOVA), correlations and multiple regressions which display the specific dependent and independent variables. The results showed that the predictor deep approache contributing to almost 6%, and prdictor strategic approache contributing to almost 2% to academic achievement. However, surface approache was not contributing. Moreover, there were a significant difference in the mean score of strategic approach between male and female students, (F value (1, 197) = 12.989, $p = 0.00 < 0.05$) and there were a significant differences in the mean score of deep approach based on socio-economic status, (F (2, 196) = 5.589, $p = 0.00 < 0.05$). SES less 300 (mean = 2.84), SES 310 to 500 (mean = 3.30), and SES more 510 (mean = 3.072).

Keywords: study approaches, gender, socio-economic status, academic achievement.

1.INTRODUCTION:

The idea of approaches to learning and studying has had a powerful influence on both theory and practice related to teaching and learning in higher education. There are different approaches that students adopt when they facing learning situations. The way that students approach to learning plays an important role in determining the students academic performance. Deep, strategic, and surface are the three basic learning approaches adopted by students (Biggs, 1986). The construct of deep and surface approaches to learning were introduced by (Marten & Saljo 1976) cited in (Diseth, 2003). A student with a deep approach has an intention to understand the learning material and is motivated by an interest in the subject matter. Use of evidence and the relation of ideas are the predominant strategies. These strategies reflect operation and comprehension learning respectively. In contrast, a surface approach refers to the intention to reproduce the learning material. Surface approach is related to different forms of rote learning, with fear of failure as the predominant motive. Instead of restructuring the learning material, the surface learner will adopt the structure already presented by learning the sign, rather than what is signified by the sign (Diseth, 2003).

In addition to the deep and surface ap-

proaches, a strategic approach was later introduced by (Entwistle & Waterston 1988; Ramsden, 1981). A strategic approach refers to the intention to achieve the best grades possible by adapting to the assessment demands. This is obtained by managing time and intellectual resources in line with the perceived criteria for high grades. Competing with others is the predominant motivation. Contrary to the deep and surface approaches, the strategic approach is not related to any distinct learning strategy. Instead, the student will utilize whatever strategy (whether operation, comprehension, or rote learning) that serves the purpose of achieving success.

The present study aims to examine the role of study approaches which includes (Deep, surface, and strategic approaches) to investigate the effect of these approaches on students' academic achievement and their ability to predict a high academic performance. Romainville (1994) asserts that university students must be able to manage their own cognitive strategies for them to succeed. Students must be able to adapt the strategies to their personal characteristics and to the context of their learning. The first stage in this process is probably that students must be aware of their cognitive strategies and should be able to describe and critically reflect on them. Indeed, the high failure rate experienced at the end of the first academic year in continental universities is adduced to the absence of appropriate and guided use of meta-cognitive strategies and of studies to improve understanding of the difficulties students face in learning at the university level.

1.1.Approaches to learning and academic success according to gender:

Vermunt (1987) found that student in law and economics were more apt to depend on others to regulate their learning processes and used more surface processes, while students in the humanities tended to be more self-regulating and used deeper strategies. This could be explained by different styles and methods of teaching used in particular subject areas (Ramsden & Entwistle, 1981).The findings concerning gender differences in approaches to learning are less clear. Wilson, smart, and Watson (1996) reviewed work using either theapproaches to students inventory (ASI) or the study process questionnaire (SPQ). Investigations utilizing the SPQ "offer a far from definitive picture on gender differences. By comparison, research using versions of the revised approaches to studying inventory (RASI) identifies males scoring higher on deep approach and females scoring higher in surface approach (Duff 1999, 2002; Sadler-smith 1996; Sadler-smith & Tsang, 1998). A research paper conducted by Elias (2005) on learning approach and gender found that there might be differences between the male and female students in their study approach. On the other hand, research done by Bilgin and Crowe (2008) showed that there is no significant difference in the approaches to learning between local and international students; male and female students. However, there is a significant difference between undergraduate and postgraduate students, with postgraduate students more likely to adopt deep strategies to learning. Dincer and Riza (2008) examining learning approach of science students based on class level and gender found that science students generally have deep learning approaches. However, there is no significant difference when it comes to gender.

1.2. The Problem:

Students of higher learning should possess the necessary skills for knowledge achievement. Students of higher institutions are required to adapt meta-cognitive strategies and be motivated by setting high

learning goals for their studies in order to continue as they come across different tasks for courses as they go through examination questions which are most likely to emphasize the need for understanding, elaboration, organization and less in memorization. Researchers often study the differential academic achievement amongst students and strive to find clarification to reasons for low achieving students.

In this study, First year Jordanian university students suffer from the decline of academic achievement, generally. The study sought to discover the variables associated with academic achievement of Jordanian students. More specifically, the problem was to look at variables that maybe manipulated to improve the academic achievement of first year student's in a selected educational institution. Based on the above matter the researcher addressed the following specific questions, which will guide this study; Do study approaches (deep, strategic, and sarfuce) predict academic achievement among first year Jordanian students? Is there any significant relationship between approaches to learning (surface, deep, strategic) and academic achievement among male and female Jordanian students'? Is there a significant difference between approaches to learning (deep, strategic, surface) according to socio-economic status (SES)?

1.3. The Purposes

1. To identify whether study approaches (deep, strategic, and surface), predict academic achievement among first year Jordanian students at Yarmouk University.
2. To investigate whether study approaches and their relationships with academic achievement differ between males and females Jordanian students at Yarmouk Uinversity.
3. To examine the differences between study approaches (deep, surface and strategic) according to socio-economic status.

1.4.The significance

1. This study provided a clear insight into the effect of study approaches on the B.A students' achievement in higher education which helping students become better learning and improving the effeciveness of their teaching.
2. Profiles of these students can be beneficial to inform officials about student's study approaches to learning in order to improve their learning approaches and monitoring students who are using ineffective study approaches.

2. METHODOLOGY

The aim of this section is to clarify the methodology of this research. Thus, gives an account of the research sample, the site of the study, procedures, and the instrument that were used for data collection. The validity and reliability were also discussed in details. At the end of this section, the procedures of data collection and data analysis were also discussed.

2.1.Sample

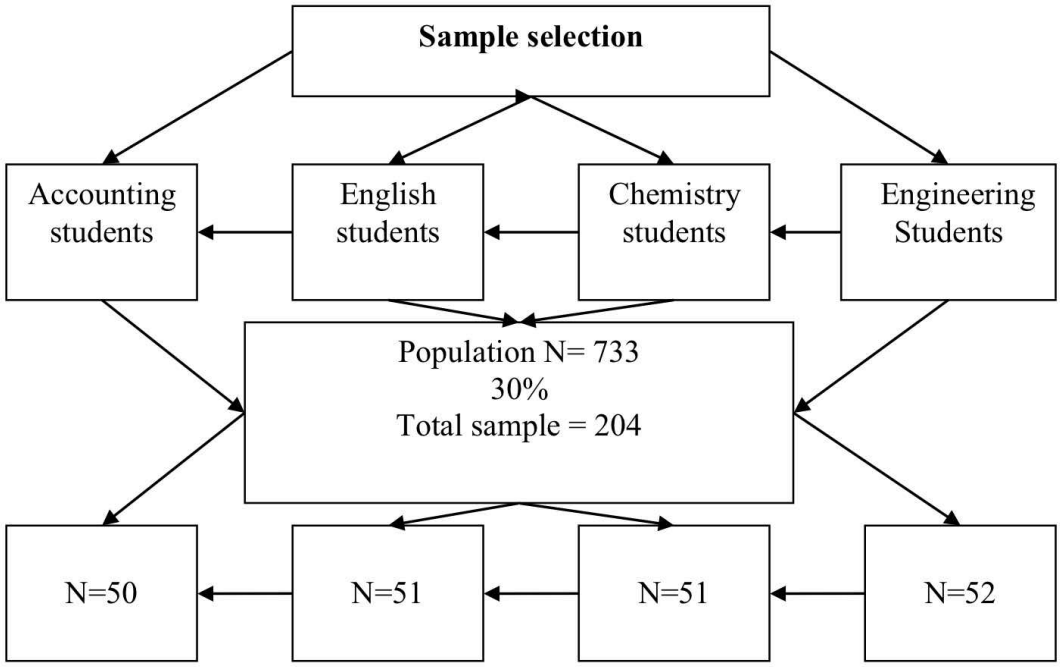

Fig 1. Sample Selections.

This study adopted a limited stratified random sampling. The population of the study included 733 first year students from four departments namely Engineering, English, Chemistry and Accounting from Yarmouk University, Irbid, Jordan. The sample of the study included 220 students which represents almost 30% of the population from the study. The sampling was stratified according to gender (male, female), and abilities (high, medium, and low achievement).

The first year students were selected for this study because academic achievement was the most diverse in the first year. The students came from various backgrounds in terms of gender, their father's occupation and different field of study. The age of the first year students ranged from 18 to 24 years with a mean age of 19 years.

2.2.Instrument

Description of Approach to study skills inventory for students (ASSIST)

ASSIST (Entwistle, 1997) is last in a line of inventories (the ASI and the RASI) that has been refined and developed over the years. Although the ASSIST inventory consists of several sections, only the second section with 52 items is designed to measure the deep, strategic, and surface approaches to learning as was used in the present study. These three approaches to learning are further divided into subscale and motive scales but only the three main approaches were analyzed in the present context because only the major approaches are of theoretical interest. A five- point scale (where 5 is "agree" and 1 is "disagree") is used for each item, and the sums of the items for each of the three approaches are used in further analyses.

2.3. Reliability (ASSIST)

The Cornbach alpha analysis for reliability was conducted on the instrumentation and it was found that the all reliability values (for the instrument, the different competencies, and domains) have values of more than 0.8. Table 1 shows the values.

Table (1): Reliability Values for Study Approaches Scale.

Category	Alpha values
Total instrument ASSIST.	92
Domains:	
a. deep approach.	82
b. strategic approach.	91
c. surface approach.	89

2.4.Content Validity

Content validity refers to the degree to which a test measures an intended content area. The content validity for the instrument was determined through the help of experts in the relevant field. These experts were from the Faculty of Education, Yarmouk University. The items of the questionnaires were adjusted and evaluated according to the judge's comments. The items of the questionnaires were suitable by the judge's.

2.5.Procedures

Permission from Yarmouk University was obtained to collect the data from the students' population. The researcher requested the admission and registration office in Yarmouk University to provide the accumulative average for the students used in this study. All these students were from different departments (Accounting, Engineering, English and Chemistry). The researcher translated the questionnaire from English to Arabic then from Arabic to English. The questionnaire was given to eight specialists, two professors in Translation and six professors in Educational Psychology. They were asked to evaluate the translated questionnaire. The items of the questionnaire were modified according to the comments received. The Questionnaire was distributed to the sample study group to collect the students' responses.

2.6. Data Collection

The questionnaires were administered over a 2-week period. The questionnaire was distributed to the students by the course lecturers during tutorial classes. They were asked to respond and return the questionnaire at the end of the tutorial period. Out of 220 survey forms distributed, only 204 usable forms were returned. So 204 students took part in the questionnaire and used to achieve the researcher's purpose. The breakdown is as follows:

Table (2): Distributions of the Questionnaires.

Department	Distributed	Usable returns
Accounting	55	50
Engineering	55	52
English	55	51
Chemistry	55	51
Total	220	204

2.7 Data Analysis

The quantitative data collected through the survey questionnaire were analyzed statistically. In relation to the interval data collected, relevant measures of descriptive statistic and inferential statistics were engaged. This process of deriving statistical results would lead to the interpretation and the drawing of conclusions (Green, Salkind, & Akey, 2000).

2.8 Academic Achievement

As a measure of academic achievement, the first year students' accumulative average for Engineering students, English

students, Chemistry students and Accounting students were considered for all academic subjects during their first year. The researcher requested the admission and registration office in Yarmouk University to get the accumulative average of students for this study.

Table (3): Academic Achievement Scale in Yarmouk University.

Accumulative Average	Rating
84 – 100%	Excellent
76 – Less than 84%	Very good
68 – Less than 76%	Good
60 – Less than 68%	Acceptable

Source: Yarmouk students guide, 2007.

2.9. Description of the Sample

The sample consisted of 204 first year students (103 male and 101 female) from different majors namely Accounting, English language, Engineering and Chemistry at Yarmouk University in 2011/2012. Their biographical details are as follows.

Table 4 shows the distribution statistics of the sample. A total of 220 from students responded to the survey questionnaire, which had a high return rate off 95%. The students were from Yarmouk University in the selected research sites. The Table suggests that the male students constituted a slightly higher percentage of the sample populations which was of 50.5% (n = 103). Female students made up 49.5% (n = 101) of the total respondents which deals with the fact that female students were higher than male students in Yarmouk University. The sample consisted from different majors namely (Accounting, English, Engineering and Chemistry. The socio-economic status of the sample was as following: (1) 65 families have more than 510 (High Income), (2) 74 families between 310 to 510 (Medium Income), (3) 65 families have less than 300 (Low Income).

Table (4): Descriptive of the Sample.

Gender	N	%
Male	103	50.5
Female	101	49.5
Total	**204**	**100.0**
Major		
Accounting	50	24.5
English	51	25.0
Engineering	52	25.5
Chemistry	51	25.0
Total	**204**	**100.0**
Socio-economic status SES		
Less 300	65	31.9
310-500	74	36.3
More 510	65	31.9
Total	**204**	**100.0**

2.10 Description Statistics

Table 5 shows the description statistics of the variables as follows: study approaches (m = 3.275), (sd = .3122), and academic achievement (m = 72.583), (sd = 8.704).

Table (5): Mean and Standard Deviation for the Variables.

Construct	M	S.d
Study approaches	3.275	.3122
Academic Achievement	72.58	8.704

3. THE RESULTS

The first question: Do study approach (deep, strategic, surface) predict academic achievement among first year university students? To answer question 1, Multiple Regression and Stepwise Method was used to find predictors (deep. Strategic, and surface approaches) that influence or contribute to academic achievement. The stepwise method was appropriate to be applied for multiple regressions. The method was able to extract variables which are assumed as contributive predictors to dependent variables.

Regression analysis was conducted on three predictors, (a) deep approaches, (b) strategic approaches (c) and surface approaches. Academic achievement was a criterion toward the three variables. Table 6 and 7, shows the results of Multiple Regressions with Stepwise Method. The result shows that there were statistically significant variants (deep and strategic approaches) on academic achievement, with the value $F = 20.218$, $p < 0.05$ (deep approaches) and $F = 12.634$, $P < 0.05$ (strategic approaches).

Table (6): Variants of study approaches (deep, strategic, surface) and academic Achievement.

Model		Sum of Squares	Df	Mean Square	F	Sig.
1	Regression	1399.357	1	1399.357	20.218	.000(a)
	Residual	13981.206	202	69.214		
	Total	15380.563	203			
2	Regression	1717.589	2	858.794	12.634	.000(b)
	Residual	13662.975	201	67.975		
	Total	15380.563	203			

Significant level at 0.05

Predictors A:(Constant),Deep approaches.
Predictors B: (Constant), Strategic approaches.
Dependent Variable C: Academic Achievement.

Table 7 presents the strength of the predictor. The Multiple Regressions shows that $R^2 = 0.112$, thus constituting the combination of contributions approaches to learning predictor to academic achievement. The predictor was deep approaches, and it yielded $ß = 0.144$, $t = 2.164$ at a significant level $p < 0.05$ and contributed almost 6% to academic achie-vement. The second predictor was strategic approache, and it yielded $ß = 0.144$, $t = 2.164$ at a significant level $p < 0.05$ and contributed almost 2% to academic achievement. However, surface approache was no contributed.

Table (7): Regression of Study Approach (Deep, Strategic and Surface) toward Academic Achievement.

Predictor	B	Std. Error	Beta	T	Sig	R^2	Contribution
Deep	4.391	.975	.299	4.505	.000	.091	6%
Strategic	4.002	1.850	.144	2.164	.032	.112	2%
Constant	58.599	3.164		18.519	.000		

R = 0.302 (a), .334 (deep) **R2 = 0.91 (a), 0.112 (strategic).**
AdjustedR 2 = 0.086 (deep), .103 (strategic) **Constant = 0.38**
Standard Deviation = 0.61

The second question: Is the relationship between approaches to learning (deep, strategic, surface) and academic achievement different for male and female Jordanian students?

This study also examined the differences of study approaches (deep, strategic and surface) according to academic achievement. Thus, all the mean scores of the three academic achievement levels towards study approaches (deep, strategic and surface) were computed in order to use the MANOVA test, with the confidence level of 95% (Alpha value of 0.05). However before MANOVA was conducted, normality and homogeneity of the academic achievement across study approaches which are underlying MANOVA was obtained. Table 8 shows the result of the homogeneity test of covariance matrices. Before proceeding with the MANOVA tests analysis the Box's M test was carried out to determine the homogeneity of the variance covariance matrices. Table 8 shows the results of the Box's M test. It was found that the variance covariances of the dependent variable across study approaches are equal between groups. ($F = 2.204$, $p = 0.09 > 0.05$). These findings allowed the MANOVA to be used to analyze the differences.

Table (8): Box's Test of Equality of Covariance Matrices.

Box's M	F value	DF1	DF2	Sig
27.054	2.204	12	183752.66	.09

The preliminary results of the MANOVA test analyses were shown in Table 9. For the purposes of this research, the Pillai's Trace test were chosen to be a powerful and robust violation of assumptions and revealed highly significant differences as it was often used in social science research. The difference in mean scores of the dependent variables based on the first independent factor: academic achievement was $F(6,196) = 0.774$ and $p = 0.615 > 0.05$. This indicated statistically that there was no significant difference in the mean scores of dependent variables between the three groups of academic achievement level.

Table (9): MANOVA of study approaches (deep, strategic and surface) on academic achievement levels.

Effect	N		Pillai's Trace	F	DF1	DF2	Sig.
Academic Achievement	Below 65	63	0.23	.774	6	192	0.615
	65 to 74	67					
	75 above	69					

Significant level at 0.05

MANOVA Differences on Mean Score Study Approaches (Deep, Strategic, Surface) According to Genders. Table 10 shows the findings of Box's M test to see the homogeneity of variance and covariance between groups of gender. The findings show that covariance matrices of dependent variable across independent variable are equal between groups of gender. It was shown by the F value = 0.535 and $p = 0.782 > 0.05$. These findings allowed the MANOVA to be used to analyze the level of differences between groups of gender in academic achievement.

Table (10): Box's Test of Equality of Covariance Matrices.

Box's M	F value	DF1	DF2	Sig.
3.266	.535	6	281104.59	.782

The preliminary results of the MANOVA test as shown in Table 10. This yielded the result F (1, 197) = 4.84 and p =.00 < .05. The result means that there were significant different mean scores of study approaches (deep, strategic and surface) between males and females (see Table 11).

Table (11): MANOVA of study approaches (deep, strategic, surface) and Gender.

Effect	N		Pillai's Trace	F	DF1	DF2	Sig.
Gender	Male Female	100 99	.069	4.84	3	198	.00

Significant level at 0.05

Due to the significant differences detected in the mean scores between males and females towards study approaches (deep, strategic and surface), an analysis of variance test (Multiple ANOVA) on each independent variable were conducted. The procedure served as follow-up tests to the MANOVA, aiming to identify the dependent variables affected. The results are displayed in Table 12. The first finding in Table 12 shows that there was no significant difference (F (1,197) = 0.087, p = 0.768 > 0.05) in mean scores 'deep' approach between males (mean = 3.0644) and females (mean = 3.0985). The second finding reveals that there were a significant differences in mean scores of 'strategic' approach between males (mean = 2.89) and females (mean = 3.28). The differences were shown by the F value (1, 197) = 12.989, p = 0.00 < 0.05. The third finding shows that there was no significant difference in mean scores of surface approach between males (mean = 3.17) and females (mean = 3.28). The insignificant difference was shown by the F value (1, 197) = 2.969, p = 0.00 < 0.05.

Table (12): Analysis of Variance Test (Multiple ANOVA) on study approaches (deep, strategic and surface).

Dependent Variable	Group	Mean	Df	Mean Square	F	Sig.
Deep	Male Female	3.0644 3.0985	1	.058	.087	.768
Strategic	Male Female	2.8945 3.2848	1	7.580	12.989	.000
Surface	Male Female	3.1784 3.2823	1	.538	2.969	.086

Significant level at 0.05

The third question: Is there significant difference between study approaches (deep, strategic, surface) Based on SES?

Table 13 shows the findings of Box's M test to see the homogeneity of Varian's and co-varians between groups of SES. The results yielded the F value = 25.058 and p = 0.017 < 0.05. The finding shows that covariance matrices of dependent variables across independent variables are equal between groups of SES. However, the test may be conducted if the sample size is at moderate and above. Fifty samples and above in each cell may yield reasonably accurate p values even if homogeneity was violated (Green & Salkind, 2005). The statement above allowed the MANOVA to be run.

Table (13): Box's Test of Equality of Covariance Matrices.

Box's M	F value	DF1	DF2	Sig.
25.058	2.042	12	183690.07	.017

Table 14 present the MANOVA results of study approaches based on SES. F = (2, 197) = 2.60 and P =.018 < .05. The results suggests that there were a significant different mean score of study approaches (deep, strategic and surface) between SES at (income less than 300 income 310 to 500 and income more than 500) (P = 0.018).

Table (14): MANOVA of SES and study approaches (deep, strategic, surface).

Effect	N		Pillai's Trace	F	DF1	DF2	Sig.
SES	less 300	65	.077	2.60	6	192	0.018
	310-500	70					
	More 500	64					

Significant level at 0.05

In order to know the significant differences in the mean scores between Socio economic status (SES) levels toward study approaches (deep, strategic and surface), and to identify the dependent variables affected by the analysis of variance test (Multiple ANOVA) on each dependent variable were conducted. The results are displayed in Table 15.

The three major findings are shown in Table 15 the first finding shows a significant difference (F (2,196) = 5.589, p = 0.00 < 0.05) in mean scores deep approach between SES less 300 (mean = 2.84), SES 310 to 500 (mean = 3.30), and SES more 510 (mean = 3.072). The second finding reveals that there were no significant differences in mean scores of strategic approach between SES less 300JD (mean = 2.97), SES 310 to 500 (mean = 3.05), and SES more 510 (mean = 3.24). The insignificant difference were shown by the F value (2, 196) = 2.124, p = 0.12 > 0.05. The third finding also shows that there were no significant differences in mean scores of the surface approach between SES less 300 (mean = 3.21), SES 310 to 500 (mean = 3.20), and SES more 510 (mean = 3.25). The insignificant difference was shown by the F (2, 196) = 0.133, p = 0.87 > 0.05.

Table (15): Analysis of Variance Test (Multiple ANOVA) on each Independent Variable.

Dependent Variable	Group	Mean	Df	Mean Square	F	Sig.
Deep	less 300	2.848	2	3.541	5.589	.00
	310-500	3.306				
	more 510	3.072				
Strategy	less 300	2.970	2	1.300	2.12	.12
	310-500	3.054				
	more 510	3.246				
Surface	less 300	3.219	2	.024	.133	.87
	310-500	3.209				
	more 510	3.252				

4. THE DISCUSSION

The first question: Do study approach (deep, strategic, and surface) predict academic achievement among first year university students?. In this study academic achievement and study approaches

(deep, strategic, and surface) were examined using a total sample of 204 students. Generally deep approach was found to be a significant predictor of academic achievement. In the present study deep approach predict 6%, and strategic approach predict 2% of the variability in first year university student's academic achievement (GPA for the year in all courses). Whilst, surface approach does not found any prediction. The level of the prediction found in this study is in a close agreement with the findings of, New-stead (1992) found performance to be positively correlated with the meaning orientation (deep approach) ($r = 0.22$, $p = 0.05$) and with the achieving orientation (strategic approach) ($r = 0.32$, $p < 0.01$). This is in line with the results from a study by Chamorro and Furnham (2008) deep approach was found to predicit 33% and achieving approach to predicit 18% of student's academic performance. Entwistle, Tait & McCune (2000) argued that a relationship between the deep approach and academic success is typically found among graduate students.Studies by (Jadeed and Mansor, 2010; Sha'aer and Mansy, 1998) found positive correlation between study approaches and academic achievement. Where the deep approach lead to high academic achievement, and negative correlation between surface approach and academic achievement.

The second question: Is there a relationship between study approaches (surface, deep, strategic) and academic achievement for male and female Jordanian students'?. Although the correlations between study approaches and academic achievement were similar and consistent with the theory for both male and female students, there were some differences in the specific correlations found. For the male and female students, adopting the deep approach and surface approach does not seem to influence the level of academic achievement they achieve. On the other hand, the strategic approach appears to lead to higher academic achievement for both genders with primacy for female Jordanian students as being more organized and steady with strategic approach to learning, more attention and interactions during classes, which facilitate better academic performance. Maria (2004) reported the use of learning strategies, however, the results do not show differences between boys' and girls' use of support strategies. However, differences were found as a function of the gender in the use of information processing and self-evaluation strategies; female students make a greater use of these learning strategies. Moreover, many of the students were excited to continue with graduate studies, which require that the students obtained a high GPA. This may explain the positive relationships between the strategic approach and achievement. This finding was consistent with findings from a research on medical students, by Newble and Hejka (1991). They found a weak relationship between the deep approach and superior performance. They also found the strategic approach to be the best predictors of academic performance. On the other hand, study by Harputlu (2011) reports findings with regard to approaches to learning of 160 Turkish students that female students adopt surface approach more than male students.

Entwistle, Tait and McCune (2000) found relationships between approaches to learning and academic achievements, the typical findings were positive correlations between strategic approaches and achievement, and negative correlations between surface approaches and achievement (Entwistle & Ramsden, 1983). Deep approach was more likely to relate to academic success in the later years of a de-

gree course and when the assessment procedure directly rewards a demonstration of conceptual understanding. However, combination of surface and strategic approaches may be beneficial for undergraduate science students and whenever fact-oriented assessment is to be utilized.

The third question: Is there a significant difference between study approaches (deep, strategic, surface) according to socio-economic status (SES)?. Individuals of a higher socioeconomic status appear to perform better on deep approaches more than surface and strategic approaches in general. It may be that socioeconomic status itself a type of cultural difference leading to the social expectations and the good conditions available for the students from a high socioeconomic status. This was in agreement with findings by Valle, Gonzalez, Gomez, Vieiro, Cuevas and Gonzalez (1997) that a deep approach to learning was associated with a high degree of involvement and intrinsic interest toward learning, in those cases where results were consistently attributed to internal causes (ability and effort), while assuming that results were due to external causes like luck influences positively toward adopting a superficial learning approach. Moreover, Majorbanks (1996) reported that there were several topical areas that were most commonly linked to academic achievement and approaches to learning for students including student's role performance factors, university factors, family factors and peer factors. Research has found that socioeconomic status, parental involvement and family size are particularly important family factors. Family background was the key to a students' life inside and outside of university. It was the most important influence on students learning and includes factors such as socioeconomic status, family size, and neighbourhood. The environment at home is a primary socialization agent and influence on students' interest in university and an aspiration for the future.

5. CONTRIBUTIONS AND RECOMMENDATIONS

A major finding of the study were to contribute to the limited information available regarding study approaches, and to bring study approaches factor which are vital, but little investigated of Jordanian undergraduate students. other finding of the study to understand the influence students' study approach and academic achievement which guide instructors to adjust their approaches of teaching and learning activities in order to help students learn through appropriate study approach to enhance their academic achievemnt. Moreover, This study suggests that motivating undergraduates to apply deep approach and strategic approach to studying, which lead to avhieve the expected performance and goals in their future career.

6. LIMITATIONS

One important limitation of this study was using a small sample of students, drawn from just one university in jordan. This finding cannot be generalized for students in other university degree programs. Repeat of this study with a larger, startified random sample would expand knowledge of study approahes among other students. Another limitations is the sample consisted of first year undergraduates, however, other years undergraduats were not an included. Further research would expand the understanding of study approaches to learning among undergraduates with different year of study.

المراجع العربية والانجليزية

١. لبنى، جديد و منصور، على. (٢٠١٠م)، "العلاقة بين أساليب التعلم كنمط من أنماط معالجة المعلومات وقلق الامتحان وأثرهما على التحصيل الدراسي" دراسة ميدانية لدى عينة من طلبة الصف الثاني ثانوي في مدارس محافظة دمشق الرسمية، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٦، سوريا.

٢. شعير، علي و منسي، محمود عبدالحليم. (١٩٩٨م)، "دراسة أثر استخدام أسلوب النماذج في التدريس بالتعليم الجامعي على أساليب التعلم وطرق الاستذكار ودافعية الطالبات نحو الدراسة" مجلة جامعة الملك عبدالعزيز للعلوم التربوية، المجلد ١، السعودية.

3. Biggs, J.B. (1986). Enhancing learning skills: the role of meta-cognition. In J.A., Bowden, (Ed.). Students learning Research into practice, pp.56-71. Parkville: University of Melbourne, Centre for the Study of Higher Education.
4. Bilgin, A. & Crowe, S. (2008). Approaches to learning in statistics. Asian Social Science. 4(3): 36-42.
5. Chamorro, P.T. & Furnham, A. (2008). Personality, intelligence and approaches to learning as predictors of academic performance. Personality and Individual Differences. 44, 1596-1603.
6. Dincer, T.G. & Riza, A.A. (2008). Examining Learning Approaches of Science Student Teachers According to the Class Level and Gender. US- China Education Review, 5(12): 54-59.
7. Diseth, A.Ê. & Martinsen, Q. (2003). Approaches to learning, cognitive style and motives as predictors of academic achievement. Educational Psychology 23 (2).
8. Duff, A., & Duffy, T. (2002). Psychometric Properties of Honey & Mumford's Learning Styles Questionnaire. Personality and Individual Differences, 33, 147-163.
9. Duff, A. (1999). Access policy and approaches to learning. Accounting Education: An International Journal, 8(2), 99-110.
10. Elias, R.Z. (2005). Student's approaches to study in introductory accounting course. Journal of Education for Business.194-199.
11. Entwistle, N.J.F. Marton, J.D. Hounsell and N.J. Entwistle (Eds.). (1997).Contrasting perspectives on learning. In The experience of learning, Edinburgh: Scottish Academic Press.
12. Entwistle, N.J. & Ramsden, P. (1983). Understanding student learning. London: Croom Helm.
13. Entwistle, N., Tait, H. & McCune, V. (2000). Patterns of response to an approach to studying inventory across contrasting groups and contexts. European Journal of Psychology of Education 15(1): 33-48.
14. Entwiatle, N.J. & Waterson, S. (1998). Approaches to studying and levels of processing in university students. British Journal of Educational Psychology 58: 258-265.
15. Green, S.B, Salkind, N.J. & Akey, T.M. (2005). Using spss for windows - analyzing and understanding data. Upper Saddle River, New Jersey: Prentice Hall.
16. Harputlu, L. (2011). Approaches to Learning and academic performance of Turkish University students. Mevlana International Journal of Education (MIJE). Vol. 1(2), pp.35-43.
17. Maria, T., Cerezo, R., Pedro, F. & Casanova, A. (2004). Gender differences in academic motivation of secondary school students. Department of

Psychology, Spain: University of Jean.
18. Majorbanks, Kevin. (1996). Family learning environments and students' outcomes: A review. Journal of Comparative Family Studies 27(2): 373-394.
19. Newble, D. & Hejka, E.J. (1991). Approach to Learning of medical students and practicing physicians: some empirical evidence and its implications for medical education. Educational Psychology 11: 333-342.
20. Newstead, S. (1992). A Study of Two "Quick-and-Easy" Methods of Assessing Individual Differences in Student Learning. British Journal of Educational Psychology, 62(3), 299-312.
21. Romainville, M. (1994). Awareness of cognitive strategies: The relationship between university students' metacognition. Studies in Higher Education 19(3): 359-366.
22. Ramsden, P. & Entwistle, N.J. (1981). Effects of academic departments on students' approaches to studying. British Journal of Educational Psychology 51: 368-383.
23. Ramsden, P. (1983). The lancaster approaches to studying and course perceptions questionnaire: Lecturers' handbook. Mimeograph, Educational Methods Unit, Oxford: Polytechnic.
24. Sadler-Smith, E. (1996). Approach to studying age, gender and academic performance. Educational Studies 22(3): 367-379.
25. Sadler-Smith, E., & Tsang, F. (1998). A comparative study of approaches to studying in Hong Kong and the United Kingdom. British Journal of Educational Psychology, 68, 81–93.
26. Valle, A., Gonzalez, R., Gomez, M.L., Vieiro, P., Guevas, L.M. & Gonzalez, R.M. (1997). Causal attributions and approaches to learning in university students. Revista de Orientacion Psicopedagogica.
27. Vermunt, J.D.H.M. In Simons, P.R.J., Beukhof, G. (Eds.). (1987). Regulation of learning, approaches to studying and learning styles of adult students. Regulation of learning (pp.15-32). Den Haag: SVO-Selecta.
28. Wilson, K.L., Smart, R.M., & Watson, R.J. (1996). Gender differences in approaches to learning in first year psychology students. British Journal of Educational Psychology, 66, 59-71.

العلاقة بين التحصيل الأكاديمي للطلبة وكل من: مناحي التعلم، الجنس، والحالة الاقتصادية والاجتماعية

مروان زايد بطاينه
قسم علم النفس– كلية التربية– جامعة الملك سعود– الرياض – المملكة العربية السعودية

المُلخّص

تناولت هذه الدراسة العلاقة بين التحصيل الأكاديمي وكل من: مناحي التعلم، الجنس، والحالة الاجتماعية والاقتصادية. وحيث قام الباحث بجمع البيانات مستخدما: مقياس طرق ومهارات الدراسة؛ الجنس؛ المعدلات التراكمية بالدرجات؛ والحالة الاقتصادية والاجتماعية. حيث أن مناحي التعلم بمستوياتها الثلاثة (الطريقة العميقة، الطريقة الإستراتيجية، والطريقة السطحية) المتغير المستقل في الدراسة والتحصيل الأكاديمي هو المتغير التابع ويقاس بمعدلات الطلاب التراكمية. تألفت عينة الدراسة من ٢٠٤ حالة موزعين إلى (١٠٣ طالبات و١٠١ طالب) من طلبة جامعة اليرموك في الأردن – محافظة اربد. ولقد أجابت الدراسة على ثلاثة أسئلة باستخدام طرق الإحصاء ثنائية المتغير؛ والمتغيرات المتعددة؛ والانحدار الإحصائي المتعدد. ولقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن هنالك علاقة بين الطريقة العميقة في الدراسة حيث أسهمت بما نسبته ٦% والطريقة الإستراتيجية في الدراسة بما نسبته ٢% بالتنبؤ بالتحصيل الأكاديمي للطلاب. غير أن الطريقة السطحية في الدراسة لم تكن دالة إحصائيا كمنبئ بالتحصيل الأكاديمي. ومن نتائج الدراسة وجود فروق في متوسط درجات الطلاب الذين يستخدمون الطريقة الإستراتيجية في الدراسة بين الذكور والإناث ولصالح الإناث عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = ٠,٠٠ \leq ٠,٠٥$) وهنالك فروق في متوسط درجات الطلاب الذين يستخدمون الطريقة العميقة في الدراسة والحالة الاقتصادية عند مستوى الدلالة الإحصائية ($\alpha = ٠,٠٠ \leq ٠,٠٥$) لمستويات الحالة الاقتصادية والاجتماعية، أقل من ٣٠٠ دينار وبمتوسط حسابي (٢,٨٤) و٣١٠ دينار إلى ٥٠٠ دينار وبمتوسط حسابي (٣,٣٠)، وأكثر من ٥١٠ دينار وبمتوسط حسابي (٣,٠٧٢).

الكلمات المفتاحية: مناحي التعلم؛ الجنس؛ الحالة الاقتصادية والاجتماعية؛ والتحصيل الأكاديمي.

Editorial Preface

In order for the continuity of its pioneering role in the field of developing its academic research capacity to be fulfilled, the administrative authority of Jazan university has realized that such a development and progress should be supported by taken several steps forward that sustain scientific research enterprises. The launching of the university Journal was certainly a significant step in this direction; a launching that was marked with great confidence and pride. The first volume of the Journal was published in the month of Muharam 1433H (December, 2011) in two parts, one is devoted to the gamut of researches in Humanities while the other to researches in Applied Sciences. Since this date, however, the journal of Jazan university is steady in its periodic publication of original high-quality research papers in various fields, with the goal of attaining a high classification within the accreditation system in order to be part of the international scientific journals. To succeed in this endeavor, the editorial board insists to remain committed to continue with publishing high quality refereed scientific research papers that will be of paramount interest to researchers in academic institutions and vocational ones. The Journal's core mission, therefore, is to be one of the internationally well-recognized scientific journals - a mission that can be achieved only by publishing research papers that conform to a high academic standards and include appropriate scholarly apparatus. We are also attempting to make the Journal, in the very near future, available for the researchers and scholars via international publishing channels and online databases. However, in recognition of the incredibly growth of interest and requests addressed by the researchers, especially in the field of Humanities, to publish their research papers in the Journal of Jazan University, we would like to assure that our current effort is directed not only to increase the number of the periodic volumes of the Journal but also to exert every possible effort in selecting a Consultancy Board from highly experienced scholars in all fields who, by their contributions, would sustain us to achieve the core mission of the Journal referred to above.

We are therefore confident enough, above all by the will of the Almighty and the continual support of the university administration, that the journal of Jazan university will remain an important and significant platform and a forum for thought-provoking, reflecting the ambitions not only of the editorial and the administrative boards of the Journal but of the researchers as well.

Editor-in-Cheif

Prof.Dr. Abdallah Y. Basahy

Contents

Page

Arabization at Jurists Terms Collecting and Taesela Book "Dictionary of the Language of Scholars" Model
M. A. A. Mohammed……. 1-48

Women Figure at Saudi Proverb
E. M. Al Essam and A. M. A. Bani Amer…… 49-67

The Incentives of the Voluntary Behavior in the Islamic Jurisprudence
R. G. R. Al-Amrat and M. G. R. Al-Amrat……. 68-93

Rhythm In the Poetry of Al Khansa
M. H. Alazazzma……... 94-117

Literary Criticism in the First Islamic Era and the Umayyad Period Critical Study of Works and Adages
M. Alghoth……...……... 118-142

Researches In English

Relationship Between Students' Academic Achievement and Each of: Study Approaches, Gender, and Socio-Economic Status
M. Z. T. Bataineh…… 1-15

Journal of Jazan University

Human Sciences Branch

A Refereed Scientific Periodical

Vol.4 No.1 January 2015 (Rabie' Awal 1436 H)

General Supervisor

Prof. Mohammed A. Rubiya

Editor-in-Chief

Prof. Abdallah Y. Basahy

Managing Editor

Mr. Ibrahim A. Masmali

Editorial Board

Prof. Ali M. Arishi

Prof. Ali A. Al-Kamli

Prof. Sultan H. Al-Hazmi

Prof. Yahya M. Hakami

Dr. Mohammed H. Abu-Rasain

Correspondence

Address correspondence to an appropriate Division Editor as follows:

Journal of Jazan University

421- Arrawabi

Unit No. 8

Jazan 82822-6561

Kingdom of Saudi Arabia

E-Mail: jju@jazanu.edu.sa

© 2015 (1435 H) Jazan University

All rights are reserved to the *Journal of Jazan University*. No part of the journal may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission from the Editor-in-Chief.